مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب — الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية — مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء السابع عشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق بما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

﴿ ١ – الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَمَضَانَ أَبُو الْجُودِ النَّحْوِيُّ * ﴾

القاسم بن محمد العجلانى

الْعَجْلَانِيُّ: كَانَ فِي عَصْرِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ جِنِّيٍّ وَفِي طَبَقَتِهِ وَهُوَ بَصْرِيٌّ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْمُخْتَصَرِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ، كِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، كِتَابُ الْفَرْقِ.

﴿ ٢ – الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُبَاشِرٍ الْوَاسِطِيُّ أَبُو نَصْرٍ * ﴾

القاسم بن محمد الواسطى

النَّحْوِيُّ، لَقِيَ بِبَغْدَادَ أَصْحَابَ أَبِي عَلِيٍّ، وَتَنَقَّلَ فِي الْبِلَادِ حَتَّى نَزَلَ مِصْرَ فَاسْتَوْطَنَهَا فَقَرَأَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ طَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَابَشَاذَ وَبِهِ تَخَرَّجَ (١)، وَزَوَّجَهُ مِنْ أُخْتِهِ، وَكَانَ ابْنُ بَابَشَاذَ يَخْدُمُهُ وَبِهِ انْتَفَعَ، وَمَاتَ بِمِصْرَ. وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ، كِتَابٌ فِي النَّحْوِ رَتَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْجُمَلِ، وَشَرَحَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مَسْأَلَةً.

﴿ ٣ – الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ الْمَسْعُودِيُّ * ﴾

القاسم بن معن المسعودى

هُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنِ غَافِلِ

---

(١) تخرج : تدرب وتعلم

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان ، وترجم له كذلك فى بغية الوعاة

(*) ترجم له فى بغية الوعاة ص ٣٨١

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان ص ٢١

ٱبْنِ حبيبِ بنِ شمخِ بنِ فادَ بنِ مخزومِ بنِ صاهلةَ بنِ كاهلِ ٱبْنِ الحارثِ بنِ تميمِ بنِ سعدِ بنِ هذيلِ بنِ مدركةَ بنِ إلياسَ ٱبْنِ مضرَ بنِ نزارِ بنِ معدِّ بنِ عدنانَ مِنْ أهلِ الكوفةِ ، وكانَ فقيهاً على رأيِ أبي حنيفةَ ولقيَهُ ، وكانَ عالماً وُلِّيَ القضاءَ بالكوفةِ وماتَ سنةَ خمسٍ وسبعينَ ومائةٍ ، خرجَ معَ بعضِ أسبابِ الرَّشيدِ (١) إلى الرَّقَّةِ فماتَ فِى رأسِ عينٍ .

وقالَ أحمدُ بنُ كاملٍ القاضى : ماتَ القاسمُ بنُ معنٍ فى سنةِ ثمانٍ وثمانينَ ومائةٍ . قالَ المرزبانيُّ : والأوَّلُ أصحُّ . وقالَ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ : مِنْ علماءِ الكوفةِ بالعربيَّةِ والفقهِ والشِّعرِ والأخبارِ والنَّسبِ ، القاسمُ بنُ معنِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ الهذليِّ صاحبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكانَ فقيهاً محدِّثاً قاضياً ، ولهُ فى اللُّغةِ : كتابُ النَّوادرِ ، كتابُ غريبِ المصنَّفِ ، وكتبٌ فى النَّحوِ ، ومذهبٌ متروكٌ .
وكانَ اللَّيثُ بنُ المظفَّرِ صاحبُ الخليلِ بنِ أحمدَ أحدَ مَنْ أخذَ عنهُ النَّحوَ واللُّغةَ وروى عنهُ ، وأدخلَ فى كتابِ الخليلِ مِنْ علمِ القومِ شيئاً كثيراً فأفسدَ الكتابَ بذلكَ ، إلَّا أنَّ القاسمَ مِنَ المحدِّثينَ والفقهاءِ والزُّهَّادِ والثِّقاتِ ، ولَمْ

(١) أسباب الرشيد : من يتعلقون به بقرابة جمع سبب

يَكُنْ لَهُ بِالْكُوفَةِ فِي عَصْرِهِ نَظِيرٌ وَلَا أَحَدٌ يُخَالِفُهُ فِي شَيْءٍ يَقُولُهُ، وَالْفَرَّاءُ كَثِيرُ الرِّوَايَةِ عَنْهُ.

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللهِ وَلِيَ قَضَاءَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يُرْزَقْ عَلَيْهِ شَيْئًا [1] حَتَّى مَاتَ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالشِّعْرِ وَالنَّسَبِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ شَعْبِيُّ زَمَانِهِ، وَكَانَ ثِقَةً سَخِيًّا.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ: كَانَ الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ الْهُذَلِيُّ قَاضِيَ الْكُوفَةِ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ الْأَثْبَاتِ [2] فِي النَّقْلِ، الرُّفَعَاءِ فِي اللُّغَةِ وَالْفِقْهِ.

وَحَدَّثَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كُنَاسَةَ قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مَعْنٍ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى فَقَالَ لِي: مَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ إِلَّا لِخَيْرٍ. قَالَ: فَهَانَ وَاللهِ فِي عَيْنِي [3] حَتَّى جَلَسْتُ وَاحْتَبَيْتُ [4] فِي مَجْلِسِهِ. فَقَالَ لِي: تَحْتَبِي فِي مَجْلِسِي؟ يَا غُلَامُ حُلَّ حَبْوَتَهُ. قَالَ: قُلْتُ لَا عَدِمْتُ تَقْوِيمَ الْأَمِيرِ. قَالَ: بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأُوَلِّيَكَ الْقَضَاءَ. قُلْتُ: لَا أَفْعَلُ. قَالَ: إِنْ أَبَيْتَ ضَرَبْتُكَ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ سَوْطًا.

---

(١) لم يعط عليه راتبا (٢) الاثبات جمع ثبت بالتحريك: أى حجة (٣) هان والله الخ، من الهوان: حقر وضعف (٤) احتبي: قرفص وهو أن يجمع نفسه ويشد يديه تحت رجليه، والعامة تقول قرفص الرجل: أى قعد على قدميه وألصق فخذيه بساقيه وإن لم يحتب، وهو الاستيفاز «مصدر استوفز: أى جلس غير متمكن».

قَالَ : قُلْتُ لَا يَجِيءُ مِنْ بَعْدِ السَّبْعِينَ[1] . قَالَ قُلْتُ : وَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ فَعَلْتَ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : قُلْتُ فَذَا إِلَيَّ .

وَحَدَّثَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ : اُسْتَقْضَى الْمَنْصُورُ عَلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، شَرِيكَ بْنَ عَبْدِ اللهِ النَّخَعِيَّ فَلَمْ يَزَلْ قَاضِياً حَتَّى كَانَتْ خِلَافَةُ الرَّشِيدِ فَاسْتَقْضَى نُوحَ بْنَ دَرَّاجٍ . وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْقَاسِمِ اُبْنِ مَعْنٍ قَالَ : عُدْتُ خَشَّافاً فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، مَا أَشْوَقَنِي إِلَيْكَ ! وَلَوْ كَانَ لِي نُهُوضٌ خَرَجْتُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنَّ بَيْتِي قَدْ آلَى فَأَكْرَسَ لَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْخُلَهُ « يُرِيدُ بِالْمُوَالَاةِ الْبَعَرَ بَعَرَ الشَّاءِ ، وَأَكْرَسَ مِنَ الْكِرْسِ وَهُوَ السِّرْجِينُ » . قَالَ الْعَجَّاجُ :

« يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرِساً[2] »

وَكَانَ خَشَّافٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِاللُّغَةِ . وَحَدَّثَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ قَالَ : قَالَ اُبْنُ حُبَيْبَاتٍ الْكُوفِيُّ لِلْقَاسِمِ بْنِ مَعْنٍ الْمَسْعُودِيِّ الْقَاضِي :

يَا أَيُّهَا الْعَادِلُ الْمُوَفَّقُ وَالْـ ـقَاسِمُ بَيْنَ الْأَرَامِلِ الصَّدَقَهْ

---

(١) لا يجىء الخ : أى لا يصبح بعد بلوغى السبعين عاما ، وقد كانت بالأصل هكذا « بعد الأسابعين » وكذلك زيدت ألف فى سبعين السابقة لها وعلق الهامش عليهما بقوله « يريد أن الناس سيقولون كما قال عيسى بن موسى » (٢) يريد رسم الدار : وهو ما كان من آثارها لاصقاً بالكرس وهو البول والبعر المتلبد

مَا ذَا تَرَى فِى عَجَائِزٍ رُزُحٍ (١) أَمْسَيْنَ يَشْكِينَ قِلَّةَ النَّفَقَهْ ؟
مَا إِنْ لَهُنَّ الْغَدَاةَ مِنْ نَشَبٍ يُعْرَفُ إِلَّا قَطِيفَةً خَلَقَهْ (٢)
بَنَاتُ تِسْعِينَ قَدْ خَرِفْنَ (٣) فَمَا يَفْصِلْنَ بَيْنَ الشِّوَاءِ وَالْمَرَقَهْ
فَهُنَّ لَوْلَا انْتِظَارُهُنَّ دَنَا نِيرَكَ قُطِّعْنَ (٤) بَعْدُ فِى السَّرِقَهْ

قَالَ : فَقَالَ الْقَاسِمُ : الْعَجَبُ أَنَّهُ يُوجِبُ عَلَيْنَا دَنَانِيرَ وَلَا يُوجِبُ دَرَاهِمَ . قَالَ : وَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ .

﴿ ٤ — قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِىُّ أَبُو الْخَطَّابِ * ﴾

قتادة بن دعامة السدوسى

وَكَانَ أَكْمَهَ وُلِدَ أَعْمَى ، وَكَانَ أَبُوهُ أَعْرَابِيًّا ، وُلِدَ بِالْبَادِيَةِ وَأُمُّهُ سُرِّيَّةٌ (٥) مِنْ مُوَلَّدَاتِ الْأَعْرَابِ ، وَكَانَ يَقُولُ بِشَىْءٍ مِنَ الْقَدَرِ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ . وَيُقَالُ أَيْضًا : إِنَّهُ كَانَ ذَا عِلْمٍ فِى الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ .

قَالَ الْأَصْمَعِىُّ : وَقَتَادَةُ حَاطِبُ لَيْلٍ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ النَّابِغِينَ بِالْبَصْرَةِ ، مَاتَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ فِى أَيَّامِ

---

(١) رزح جمع رزاح : وهي الهالكة هزالا (٢) النشب محركة : العقار والمال الناطق والصامت وخلقة بالتحريك : بالية (٣) خرفن : هرمن وفسد عقلهن وخف من الكبر (٤) قطعن : قطعت أيديهن لأن هذا حد السرقة (٥) السرية : الأمة ينزلها الرجل بيتا ، منسوبة إلى السر وهو الجماع أو الاخفاء ، لأن الانسان كثيرا ما يسرها أى يخفيها عن حرته ، وإنما ضمت السين لأن الأبنية قد تغير فى النسبة على خلاف أصلها

(*) ترجم له فى نزهة العيون ص ٢٠٧ ، وترجم له أيضاً فى كتاب أنباء الرواة ج ثان وترجم له فى طبقات المفسرين ، وفى طبقات القراء ج ثان

هِشَامِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ ، وَأَخذَ القِرَاءَةَ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِىِّ وَابْنِ سِيرِينَ . عَنِ التَوَّزِىِّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : مَا كُنَّا نَفْقِدُ فِي كُلِّ أَيَّامٍ رَاكِباً مِنْ نَاحِيَةِ بَنِي أُمَيَّةَ يُنِيخُ عَلَى بَابِ قَتَادَةَ يَسْأَلُهُ عَنْ خَبَرٍ أَوْ نَسَبٍ أَوْ شِعْرٍ ، وَكَانَ قَتَادَةُ أَجْمَعَ النَّاسِ . ابْنُ دُرَيْدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ عَنْ عَمِّهِ الأَصْمَعِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ الجُمَحِيِّ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ المِسْمَعِيِّ قَالَ : لَقَدْ كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ يَخْتَلِفَانِ فِي بَيْتِ شِعْرٍ فَيُرْسِلَانِ رَاكِباً إِلَى قَتَادَةَ يَسْأَلُهُ قَالَ : وَلَقَدْ قَدِمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ عِنْدِ بَعْضِ الخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ فَقَالَ لِقَتَادَةَ : مَنْ قَتَلَ عَمْراً وَعَامِراً ؟ فَقَالَ : قَتَلَهُمَا جَحْدَرُ بْنُ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ . قَالَ : فَشَخَصَ بِهَا ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَجَلْ ، قَتَلَهُمَا جَحْدَرٌ وَلَكِنْ كَيْفَ قَتَلَهُمَا جَمِيعاً [1] ؟ فَقَالَ : اعْتَوَرَاهُ فَطَعَنَ هَذَا بِالسِّنَانِ وَهَذَا بِالزُّجِّ [2] ، فَعَادَى [3] بَيْنَهُمَا .

قَالَ أَبُو يَحْيَى السَّاجِيُّ : حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيُّ مَوْلَايَ عَنْ خَالِدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : قَالَ قَتَادَةُ : مَا نَسِيتُ شَيْئاً قَطُّ ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامُ نَاوِلْنِي نَعْلِي ، قَالَ : نَعْلُكَ فِي رِجْلِكَ .

---

(١) بهامش الأصل « راجع شرح قصيدة ابن عبدون طبع ليدن ص ١١٣ »

(٢) الزج بالضم : الحديدة التى فى أسفل الرمح (٣) فعادى بينهما : والى وتابع ؛ يصرع أحدهما على إثر الآخر

٥ – قُثَمُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ *

قثم بن طلحة الزينبي

ابْنِ الْحَسَنِ ، الزَّيْنَبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ، يُعْرَفُ بِابْنِ الأَتْقَى ، وَهُوَ لَقَبُ أَبِيهِ طَلْحَةَ ، تَوَلَّى قُثَمُ نِقَابَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ مَرَّتَيْنِ (١) : أُولَاهُمَا فِي أَيَّامِ الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَعُزِلَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ . وَالثَّانِيَةُ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ ، وَعُزِلَ فِي سَابِعَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعِينَ ، وَوُلِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ حِجَابَةَ بَابِ النُّوبِيِّ يَوْمَ الْخَمِيسِ خَامِسَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتِّمِائَةٍ ، فَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْدَادَ بَيْنَ أَهْلِ بَابِ الأَزَجِ وَالْمَأْمُونِيَّةِ فَرَكِبَ لِيُسَكِّنَ الْفِتْنَةَ فَلَمْ تَسْكُنْ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَرْبَةً وَحَمَلَ عَلَى إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَنَادَى يَالَهَاشِمٍ ، وَتَدَارَكَهُ الشِّحْنَةُ (٢) حَتَّى سَكَنَتِ الْفِتْنَةُ ، فَعِيبَ عَلَيْهِ وَقِيلَ : أَرَدْتَ خَرْقَ الْهَيْبَةِ ، لَوْ ضَرَبَكَ أَحَدُ الْعَوَامِّ فَقَتَلَكَ ، فَعُزِلَ عَنْ حِجَبَةِ الْبَابِ فِي ثَالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ وَلَمْ يُسْتَخْدَمْ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَكَانَ فِيهِ فَضْلٌ وَتَمَيُّزٌ وَمَعْرِفَةٌ بِالْعِلْمِ وَحِرْصٌ عَلَيْهِ

(١) تولى نقابة الخ . أى جعل نقيباً عليهم . والنقيب : شاهد القوم وضمينهم وعريفهم

(٢) الشحنة بالكسر من الخيل : الرابطة ، ومن الرجال : من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات ج سابع قسم أول ص ٣٩

جِدًّا ، خُصُوصاً مَا يَتعَلَّقُ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ ، وَجَمَعَ فِي ذَلِكَ جُمُوعاً بِأَيْدِي النَّاسِ ، وَكَتَبَ الْكَثِيرَ بِخَطِّهِ الْمَلِيحِ إِلَّا أَنَّ خَطَّهُ لَا يَخْلُو مِنَ السَّقَطِ(١) مَعَ ذَلِكَ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْغَزِّيِّ ، وَأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْمُقَرَّبِ الْكَرْخِيِّ ، وَأَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ سُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمْ . وَسُئِلَ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : فِي سَابِعِ مُحَرَّمٍ سَنَةَ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَاتَ فِي سَادِسِ رَجَبٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّمِائَةٍ .

﴿ ٦ – قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ قُدَامَةَ الْكَاتِبُ* ﴾

قدامة بن جعفر الكاتب

أَبُو الْفَرَجِ ، كَانَ نَصْرَانِيًّا وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ الْمُكْتَفِي بِاللهِ ، وَكَانَ أَحَدَ الْبُلَغَاءِ الْفُصَحَاءِ ، وَالْفَلَاسِفَةِ الْفُضَلَاءِ ، وَمِمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي عِلْمِ الْمَنْطِقِ ، وَكَانَ أَبُوهُ جَعْفَرٌ مِمَّنْ لَا يُفَكَّرُ فِيهِ وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُ .

وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَارِيخِهِ : قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ قُدَامَةَ أَبُو الْفَرَجِ الْكَاتِبُ ، لَهُ كِتَابٌ فِي الْخَرَاجِ وَصِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ، وَقَدْ سَأَلَ ثَعْلَباً عَنْ أَشْيَاءَ . مَاتَ فِي سَنَةِ

(١) السقط محركة : الخطأ فى الحساب والقول وفى الكتابة ، ومنه سقط المصحف

(*) راجع نزهة العيون ص ٢٠٧ ، وترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات جزء ٧ قسم أول ص ٤١

سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ فِي أَيَّامِ الْمُطِيعِ، وَأَنَا لَا أَعْتَمِدُ عَلَى مَا تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ لِأَنَّهُ عِنْدِي كَثِيرُ التَّخْلِيطِ، وَلَكِنْ آخِرَ مَا عَلِمْنَا مِنْ أَمْرِ قُدَامَةَ أَنَّ أَبَا حَيَّانَ ذَكَرَ أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ الْوَزِيرِ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ وَقْتَ مُنَاظَرَةِ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ وَمَتَّى الْمَنْطِقِيِّ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْخَرَاجِ تِسْعُ مَنَازِلَ، كَانَ ثَمَانِيَةَ مَنَازِلَ فَأَضَافَ إِلَيْهِ تَاسِعاً، كِتَابُ نَقْدِ الشِّعْرِ، كِتَابُ صَابُونِ الْغَمِّ، كِتَابُ صَرْفِ الْهَمِّ، كِتَابُ جَلَاءِ الْحُزْنِ، كِتَابُ دِرْيَاقِ[1] الْفِكْرِ، كِتَابُ السِّيَاسَةِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ الْمُعْتَزِّ فِيمَا عَابَ بِهِ أَبَا تَمَّامٍ، كِتَابُ حَشْوِ حِشَاءِ الْجَلِيسِ، كِتَابُ صِنَاعَةِ الْجَدَلِ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ فِي أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ وَتُعْرَفُ بِالنَّجْمِ الثَّاقِبِ[2]، كِتَابُ نُزْهَةِ الْقُلُوبِ وَزَادِ الْمُسَافِرِ، كِتَابُ زَهْرِ الرَّبِيعِ فِي الْأَخْبَارِ[3].

وَبَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ مُتَعَاطِي عِلْمِ الْأَدَبِ أَنَّهُ شَرَحَ كِتَابَ الْمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ فَقَالَ عِنْدَ قَوْلِهِ: «وَلَوْ أُوتِيَ بَلَاغَةَ قُدَامَةَ[4]». إِنَّ قُدَامَةَ بْنَ جَعْفَرٍ كَانَ كَاتِباً لِبَنِي بُوَيْهِ، وَجَهِلَ فِي هَذَا الْقَوْلِ

---

(١) درياق الفكر: ترياقه — والترياق: دواء مركب قيل من اثنين وسبعين جزءا يدفع السموم، والترياق معرب درياق. (٢) بهامش الأصل «لم يذكره صاحب الفهرست ص ١٣٠» (٣) بهامش الأصل «لم يذكره صاحب الفهرست ص ١٣٠»
(٤) زاد بهامش الأصل «في الديباجة»

فَإِنَّ قدامة كان أقدم عهداً . أدرك زمن ثعلب والمبرد وأبي سعيد السكري وابن قتيبة وطبقتهم ، والأدب يومئذ طريء [(١)] فقرأ واجتهد ، وبرع في صناعتي البلاغة والحساب ، وقرأ صدراً صالحاً من المنطق وهو لائح على ديباجة تصانيفه ، وإن كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرز تحريره الآن [(٢)] ، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر ، وصنف في ذلك كتباً منها : كتاب نقد الشعر له وقد تعرض ابن بشر الآمدي إلى الرد عليه فيه ، وله كتاب في الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه ، وهو من الكتب الحسان إلى غير ذلك من الكتب ، ولم يزل يتردد في أوساط الخدم الديوانية بدار السلام إلى سنة سبع وتسعين ومائتين ، فإن الوزير أبا الحسن ابن الفرات لما توفي أخوه أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الفرات في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، وكان أسن من أخيه أبي الحسن بن محمد الوزير بثلاث سنين ، رد ما كان إليه من الديوان المعروف بمجلس الجماعة إلى ولده أبي الفتح الفضل بن جعفر وإليه ديوان

(١) طريء : أي غض ، ضد الذاوي (٢) لم يتحرر : لم يقوم ولم يحسن بإقامة حروفه وإصلاح سقطه .

الْمَشْرِقِ ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ اخْتِلَالٌ مِنَ النُّوَّابِ فَوَلَّاهُ لِوَلَدِهِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُحَسِّنِ ، وَاسْتَخْلَفَ الْمُحَسِّنُ عَلَيْهِ الْقَاسِمَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَجَعَلَ قُدَامَةَ بْنَ جَعْفَرٍ يَتَوَلَّى مَجْلِسَ الزِّمَامِ فِي هَذَا الدِّيوَانِ ، وَبَانَتْ عِنْدَ ذَلِكَ صِنَاعَةُ الْمُحَسِّنِ ، وَأَثَارَ مِنْ جِهَةِ الْعُمَّالِ أَمْوَالًا جَلِيلَةً .

٧ — قَعْنَبُ بْنُ الْمُحَرَّرِ الْبَاهِلِيُّ أَبُو عَمْرٍو *

قعنب بن المحرر الباهلى

الرَّاوِيَةُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الْمُكْثِرِينَ ، وَكَانَ أَبُو هَفَّانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ فَأَخَذَ عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَ عَلَيْهِ (١) فَهَجَاهُ . حَدَّثَ قَعْنَبٌ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ سَلْمٍ الْبَاهِلِيِّ وَهُوَ يَضْحَكُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقَالَ : جَاءَتْنِي جَارِيَةٌ لَيْسَتْ عِنْدِي كَغَيْرِهَا فَغَمَزَتْنِي فَانْتَشَرْتُ فَقُلْتُ : ادْعِي لِي فُلَانَةَ لِجَارِيَةٍ كُنْتُ أَهْوَاهَا ، فَقَالَتْ لَا وَاللهِ ، فَقُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَتْ لِأَنَّكَ تَرْوِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا (٢) فَهِيَ لَهُ » . وَقَدْ أَحْيَيْتُ أَنَا هَذَا فَهُوَ لِي فَوَاقَعْتُهَا وَمَا كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ قَبْلُ ، وَقَرُبَتْ مِنْ قَلْبِي .

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ : كَانَ قَعْنَبٌ الْبَاهِلِيُّ قَدْ تَعَشَّقَ فَتًى

---

(١) أى غضب عليه (٢) الموات : أرض لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد لانقطاع الماء عنها ، وإحياؤها بإيصال الماء إليها وزرعها وتعميرها

(*) ترجم له فى كتاب طبقات القراء ج ثان ، وترجم له أيضاً فى كتاب بغية الوعاة

مِنْ فِتيَانِ الْمَهَالِبَةِ وَاتَّصلَ بِأَبِيهِ وَبِخَادِمٍ لَهُ ثُمَّ نَذِرَ بِهِ (١) . فَدَعَاهُ الْفَتَى وَقَدْ جَمَعَ لَهُ عِدَّةً مِنَ الْمَهَالِبَةِ وَمَوَالِيهِمْ إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا ، ثُمَّ حَمَلَهُمْ عَلَى قَعْنَبٍ فَهَتَكُوا سِتْرَهُ . فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ الشَّامِيُّ :

نُبِّئْتُ أَنَّ الْمَرْءَ قَعْنَبْ ... دَمَرَتْ عَلَيْهِ (٢) بَنُو الْمُهَلَّبْ
بِأَسِنَّةٍ تَدَعُ الْكَمِيَّ ... وَأَنْفُهُ دَامٍ مُتَرَّبْ
فَتَجَلَّتِ الْغُمَّى (٣) وَكُلُّ ... سِلَاحِهِمْ بِدَمٍ مُخَضَّبْ

قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : تُحُدِّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْأَصْمَعِيُّ بِحَضْرَتِي ، فَذَهَبْتُ أَذُبُّ عَنْ قَعْنَبٍ تَقَرُّبًا إِلَى الْأَصْمَعِيِّ لِلْبَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمَا (٤) . فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : اسْكُتْ يَا بُنَيَّ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ لَقِيَ بِكَرٍ كَكِيزَانِ الْفِقَاعِ عِنْدَهَا إِرْزَازٌ (٥) . وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمُعَذَّلِ فِي قَعْنَبٍ :

أَرَاكِ اللهُ يَا دَلْفَاءُ مَا قَدْ ... لَقِيهِ قَعْنَبٌ يَوْمَ الْهَنِيَّهْ
غَدَا يَبْغِي النِّكَاحَ فَعَادَ فِيهِ ... أُيُورٌ كَالْعِصِيِّ مُهَلَّبِيَّهْ
تُشَقِّقُ دُبْرَهُ وَيَقُولُ هَذَا ... جَزَاءُ ذَوِي التَّلَوُّطِ بِالنَّشِيَّهْ (٦)

---

(١) نذر به من باب علم : علمه فحذره (٢) دمرت عليه : دخلت عليه بغير إذن وهجمت هجوم الشر (٣) الغمى والغمية : ضبابة لا يرى فيها الهلال فتحول بينه وبين السماء (٤) أى لأن كليهما من باهلة (٥) الكمر بالتحريك اسم جنس لكمرة : وهى رأس الذكر ، والكيزان جمع كوز معروف ، والفقاع بالكسر جمع نفعة بالفتح : وهى البيضاء من الكمأة ، والإرزاز مصدر أرزه : طعنه ، أو أرزت السحابة : صوتت وكلا المعنيين صالح . (٦) النشية : النشوة والسكر ، والباء الداخلة عليها سببية .

وَحَدَّثَ عُمَرُ بنُ مُحَمَّدٍ الفقيهُ قالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عُثْمانَ ابْنِ أَبِى شَيْبَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَمِّى القَاسِمَ بْنَ أَبِى شَيْبَةَ يُعَاتِبُ قَعْنَبَ بْنَ الْمُحَرَّرِ فى شُرْبِهِ النَّبِيذَ وَيَقُولُ لَهُ: قَدْ كَبِرْتَ وَشِخْتَ فَلَوْ تَرَكْتَهُ. فَقَالَ لَهُ قَعْنَبٌ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَمْ تَجِدْ وَقْتاً تُعَاتِبُنِى فِيهِ إِلَّا أَيَّامَ الْوَرْدِ

٨ – قُنْبُلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ (*)

قنبل بن عبد الرحمن المكى

ابْنِ سَعِيدِ بْنِ جَرْجَةَ الْمَكِّىُّ. قَالَ أَبُو عَلِىٍّ الْأَهْوَازِىُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْعِجْلِىَّ الْمُقْرِىءَ بِالْبَصْرَةِ يَقُولُ: هُوَ أَبُو عُمَرَ قُنْبُلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَقُنْبُلٌ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا سُمِّىَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَسْتَعْمِلُ دَوَاءً يُقَالُ لَهُ قُنْبِيلٌ يُسْقَى لِلْبَقَرِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعَطَّارِينَ لِمَرَضٍ كَانَ بِهِ فَسُمِّىَ بِذَلِكَ. وَقِيلَ: بَلْ هُوَ مِنْ قَوْمٍ يُقَالُ لَهُمُ الْقَنَابِلَةُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ لَهُ قُنْبُلِىٌّ. مَاتَ فِى سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِى أَيَّامِ الْمُكْتَفِى عَنْ سِتٍّ وَتِسْعِينَ سَنَةً، لِأَنَّ مَوْلِدَهُ فِى سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ فِى أَيَّامِ الْأَمِينِ، وَكَانَ قَدْ قَطَعَ الْإِقْرَاءَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَشْرِ سِنِينَ. قَرَأَ عَلَى عَبْدِ اللهِ

(*) راجع كتاب النشر ج أول ص ٢٠

ابْنِ كَثِيرٍ وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ أَصْحَابِهِ[١] ، وَمِنْ جِهَتِهِ انْتَشَرَتْ قِرَاءَتُهُ ، وَكَانَ قُنْبُلٌ يَلِي الشُّرْطَةَ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ لَا يَلِيهَا إِلَّا أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ لِتَقُومَ بِوَاجِبَاتِهَا ، وَكَانَ ابْنُ مُجَاهِدٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ ابْنُ شَنَبُوذَ يَدْفَعُ ذَلِكَ ، وَكَانَ ابْنُ مُجَاهِدٍ يَقُولُ : قَرَأْتُ عَلَى قُنْبُلٍ وَلَا يَقُولُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ عَلَيْهِ .

حَدَّثَ ابْنُ طَرَّادَةَ الْحُلْوَانِيُّ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ الْمُنَادِي وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ ابْنَ مُجَاهِدٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى قُنْبُلٍ وَابْنِ شَنَبُوذَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَنَحْنُ عَلَى نِيَّةِ الْقِرَاءَةِ عَلَى قُنْبُلٍ فَوَجَدْنَاهُ قَدِ اخْتَلَّ وَاضْطَرَبَ وَخَلَطَ فِي الْقِرَاءَاتِ ، فَأَمَّا أَنَا فَلَمْ أَقْرَأْ عَلَيْهِ وَلَا حَرْفًا وَاحِدًا ، وَأَمَّا ابْنُ مُجَاهِدٍ فَإِنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ بَعْضَ الْقُرْآنِ فَخَلَّطَ عَلَيْهِ فَتَرَكَ الْقِرَاءَةَ وَأَخْرَجَ لَهُ تَعْلِيقَ ابْنِ عَوْنٍ الْوَاسِطِيِّ عَنْهُ ، وَكَانَ مَعَهُ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِهِ ، وَأَمَّا ابْنُ شَنَبُوذَ فَإِنَّهُ جَاوَرَ سَنَتَيْنِ بِمَكَّةَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ خَتْمَتَيْنِ . فَقَوْلُ ابْنِ مُجَاهِدٍ قَرَأْتُ عَلَيْهِ يُصَدَّقُ ، يَعْنِي بَعْضَ الْقُرْآنِ ، وَقَوْلُ ابْنِ شَنَبُوذَ لَمْ يَقْرَأْ عَلَيْهِ يُصَدَّقُ يَعْنِي الْقُرْآنَ كُلَّهُ لَمْ يَقْرَأْهُ عَلَيْهِ .

---

(١) أى من عظمائهم وسادتهم ، جمع جليل

٩ – كَامِلُ بْنُ الْفَتْحِ *

كامل بن الفتح الضرير

ابْنِ ثَابِتِ بْنِ سَابُورَ أَبُو تَمَّامٍ الضَّرِيرُ مِنْ أَهْلِ بَادَرَايَا[(١)] سَكَنَ بَغْدَادَ ، وَكَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا ذَكِيًّا جِدًّا ، قَرَأَ فُنُونَ الْعِلْمِ وَحَفِظَ الْأَشْعَارَ وَالْأَخْبَارَ ، وَأَخَذَ أَهْلُ الْأَدَبِ بِبَغْدَادَ عَنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا وَكَانَ مُتَّهَمًا فِي دِينِهِ . مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ يَسْكُنُ بَابَ الْأَزَجِ ، وَصَاهَرَ بَنِي زَهْمُويَهْ الْكُتَّابَ وَلَهُ تَرَسُّلٌ وَشِعْرٌ ، وَقَدْ سَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ مِنْ أَبِي الْفَتْحِ عَلِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ زَهْمُويَهْ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى النَّاصِرِ وَيُحَاضِرُهُ وَيَخْلُو مَعَهُ ، وَأَنَّهُ عَلَّمَهُ عِلْمَ الْأَوَائِلِ وَهَوَّنَ عَلَيْهِ عِلْمَ الشَّرَائِعِ وَاللهُ أَعْلَمُ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

وَفِي الْأَوَانِسِ مِنْ بَغْدَادَ آنِسَةٌ
لَهَا مِنَ الْقَلْبِ مَا تَهْوَى وَتَخْتَارُ
سَاوَمْتُهَا نَفْثَةً مِنْ رِيقِهَا بِدَمِي
وَلَيْسَ إِلَّا خَفِيُّ الطَّرْفِ سِمْسَارُ[(٢)]
عِنْدَ الْعَذُولِ اعْتِرَاضَاتٌ وَلَائِمَةٌ
وَعِنْدَ قَلْبِي جَوَابَاتٌ وَأَعْذَارُ

(١) بليدة بالنهروان قرب نواحي واسط (٢) السمسار : المتوسط بين البائع والمشترى ، والساعى للواحد منهما فى استجلاب الآخر ، وهو غير الدلال معرب سيب سار بالفارسية ، وجمعه سماسرة وسماسر وسماسير .

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان ، وترجم له كذلك فى كتاب بغية الوعاة

١٠ – كِلابُ بنُ حَمْزَةَ العُقَيليُّ أبو الهَيْذَامِ اللُّغَوِيُّ (*)

كلاب بن حمزة العقيلي

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ(١) : هُوَ مِنْ أَهْلِ حَرَّانَ أَقَامَ بِالْبَادِيَةِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ مُعَلِّماً وَدَخَلَ الْحَضْرَةَ أَيَّامَ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَمَدَحَهُ ، وَكَانَ عَالِماً بِالشِّعْرِ وَخَطُّهُ مَعْرُوفٌ وَخَلَطَ الْمَذْهَبَيْنِ ، وَكَانَ أَبُو الْحَسَيْنِ مُحَمَّدُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ لَنْكَكَ الْبَصْرِيُّ الشَّاعِرُ مُولَعاً بِهَجْوِهِ ، وَكَانَ أَبُو الْهَيْذَامِ قَدْ وَرَدَ الْبَصْرَةَ . فَمِنْ قَوْلِ ابْنِ لَنْكَكَ فِيهِ :

نَفْسِي تَقِيكَ أَبَا الْهَيْذَامِ كُلَّ أَذًى
إِنِّي بِكُلِّ الَّذِي تَرْضَاهُ لِي رَاضِي
مَا بَالُ جَعْسِكَ مَرْكُوماً عَلَى ذَكَرِي(٢)
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مِنْ بَاقٍ وَمِنْ مَاضِي
مَا كَانَ أَيْرِي فَقِيهاً إِذْ ظَفِرْتَ بِهِ
فَكَيْفَ أَلْبَسْتَهُ دَنِّيَةَ الْقَاضِي(٣) ؟

وَوَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِي أَحْمَدَ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ لِلُّغَوِيِّ مَا صُورَتُهُ :

مِسْعَاحٌ أَصْدَرَ عُكْلًا وَلَهُ ... ضِغْثٌ تُشْجِذُ قَيْظَ بْنَ نِخْزْ

(١) ص ٨٢ (٢) الجعس : الرجيع ؛ وهو مولد (٣) دنية القاضي : قلنسوته شبهت بالدن

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة

هَذَا البَيْتُ لِأَبِى الْهَيْذَامِ كِلَابِ بْنِ حَمْزَةَ الْعُقَيْلِىّ جَمَعَ فِيهِ حُرُوفَ الْمُعْجَمِ ، فَجَعَلَ مَا لَا يُنْقَطُ فِى الصَّدْرِ وَمَا يُنْقَطُ فِى الْعَجُزِ ، أَنْشَدَنِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِىُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآمِدِىُّ النَّحْوِىُّ – رَحِمَهُ اللهُ – .

وَذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِىُّ فِى كِتَابِ الْمُعْجَمِ فَقَالَ : أَبُو الْهَيْذَامِ كِلَابُ بْنُ حَمْزَةَ الْعُقَيْلِىُّ مُحَدِّثٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ يَرْثِى أَبَا أَحْمَدَ يَحْيَى بْنَ عَلِىٍّ الْمُنَجِّمَ ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ قَصِيدَةٍ :

لَقَدْ عَاشَ يَحْيَى وَهْوَ مَحْمُودُ عِيشَةٍ
وَمَاتَ فَقِيداً وَاحِدَ الْعِلْمِ وَالْجُودِ
فَإِنْ كَانَ صَرْفُ الدَّهْرِ خَلَّى كُنُوزَهُ
وَأَفْقَدَنَا مِنْهُ بِأَنْفَسِ مَفْقُودِ
فَمَا زَالَ حُكْمُ الْبِيضِ وَالسُّودِ نَافِذاً
بِحُكْمِ الرَّدَى فِى أَنْفُسِ الْبِيضِ وَالسُّودِ (١)
فَلِلثُّكْلِ يُرْجَى حَمْلُهَا كُلُّ حَامِلٍ
وَلِلْمَوْتِ يَغْذُو وَالِدٌ كُلَّ مَوْلُودِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ جَامِعِ النَّحْوِ ، كِتَابُ الْأَرَاكَةِ ، كِتَابُ مَا يَلْحَنُ فِيهِ الْعَامَّةُ .

---

(١) يعنى حكم السيوف والأقلام فى أنفس الناس من بيض وسود

وَأَنْشَدَ الخَالِدِىُّ فِى كِتَابِ الدِّيرَةِ لِأَبِى الهَيْذَامِ :

سَقْياً لِحَرَّانَ إِنَّهُ بَلَدٌ أَصْبَحَ لِلَّهْوِ وَهْوَ مِضْمَارُ
بِقِيعَةٍ سَجْسَجٍ تُخَرِّقُهَا وَمِنْ حَوَاشِى الرِّيَاضِ أَنْهَارُ (١)
يَشْرَعُ فِيهِ مِنَ الصَّنَوْبَرِ وَالْـ ـعَرْعَرِ وَالزَّوْرَفِينِ أَشْجَارُ (٢)
فِى يَوْمِ بَاعُوثِهِمْ (٣) وَقَدْ نَشَرُوا الصُّـ ـلْبَانَ وَالْمُسْلِمُونَ نُظَّارُ
فَمِنْ مَهَاةٍ هُنَاكَ هِبَلَّةٍ وَمِنْ غَزَالٍ عَلَيْهِ زُنَّارُ (٤)
أَزْحَمُ هَذَا وَتِلْكَ تَزْحَمُنِى وَفِى الْحَشَا وَالْفُؤَادِ إِسْعَارُ (٥)
فَعَارَضَتْنِى هُنَـــاكَ شَاطِرَةٌ مِنْهُمْ بِهَا فِى الذِّرَاعِ أُسْوَارُ (٦)
تَقُولُ لِى وَالدَّلَالُ يَصْرَعُهَا أَنَحْنُ يَا مُسْلِمُونَ كُفَّارُ؟
فَقُلْتُ : يَاغَايَتِى وَيَا أَمَلِى بَلْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنُونَ أَخْيَارُ

---

(١) القيعة : بمعنى القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . وسجسج : أى ليست بصلبة ولا سهلة . وحواشى الأنهار : جوانبها (٢) الصنوبر : شجر يحمل حباً صغيراً مستطيلا فى داخله لب أبيض دسم فى الغاية وورقه دقيق جدا يتخذ من عروقه الزفت وهو أشبه شىء بالأرز . والعرعر : شجر السرو ، فارسية . والمشهور أن العرعر شجر لا ساق له ينبت بالجبال يشبه السرو . والزورفين : شجر ، وأشجار فى الأصل « أسحار » تحريف . وجاء بهامش الأصل عن الزورفين : « لعله نبات سماه ابن البيطار زوفرا » . (٣) الباعوث : صلاة ثانى عيد الفصح عند النصارى الشرقيين ، سريانية معناها : الطلبة والابتهال (٤) المهاة : البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة فى سمنها وجمالها وحسن عينيها . وهبلة : طويلة ، والزنار : ما يشد على وسط رهبان النصارى والمجوس (٥) الاسعار : الايقاد والاشعال والتهييج

(٦) الأسوار : السوار : حلية كالطوق تلبسه المرأة فى زندها

أَطْلُبُ مِنهَا بِذَاكَ تَقرِبَةً ... وَالشُّعَرَاءُ الْخِبَاثُ فُجَّارُ
فَرَقَّ لِى قَلبُهَا وَمِلْتُ بِهَا ... فِى دَيْرِ زَكِّى[1] وَنِعمَتِ الدَّارُ
تَقُولُ لِى عِندَ وَقتِ مُنصَرَفِى ... إِنَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَدَّارُ
حَلَلْتَ عَقْدَ الأَمَانِ مِنْكَ لَنَا ... فَمَا لِعَقْدٍ لَدَيْكَ إِمْرَارُ
لَا أَنْسَ يَوْمِى مِنَ الْفَتَاةِ لَدَى الدَّيْـ ... ـرَيْنِ وَالْمُشْرِكُونَ حُضَّارُ
فَقُلْتُ: قَدْ كَانَ ذَاكَ عَنْ خَطَإٍ ... لَا قَوَدٌ عِنْدَنَا وَلَا ثَارُ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ ثُمَّ أَسْأَلُهُ التَّوْ ... بَ فَلِى بِالذُّنُوبِ إِقْرَارُ

قَرَأْتُ فِى جُزَازَةٍ[2] عَتِيقَةٍ أَمْلَاهَا أَبُو الْهَيْذَامِ كِلَابُ ابْنُ حَمْزَةَ الْعُقَيْلِىُّ مَا صُورَتُهُ: قَالَ أَبُو الْهَيْذَامِ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِى الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الزَّيْنَبِىِّ الْهَاشِمِىِّ بِالْبَصْرَةِ بِمَا تَوَهَّمَ أَنَّهُ مَدِيحٌ لَهُ وَهُوَ:

إِسْلَمْ عَلَى الدَّهْرِ يَا أَبَا حَسَنٍ ... وَعِشْ عَلَى مَا تَوَدُّ أَلْفَ سَنَهْ
فَأَنْتَ عِنْدِى حَلِيفُ ضِدِّ سِوَى ... غَيْرِ حَلِيفِ الشَّمَائِلِ الْحَسَنَهْ
وَأَنْتَ سِلْمٌ لِحَرْبِ سِلْمِ عِدَى ... حَرْبُ عُدَاةِ اللِّئَامِ وَالْخَوَنَهْ
يَعْجَبُ مِنْكَ الْكِرَامُ أَعْجَبَ مَا ... يَدْعُو بِهِ اللهَ عَاقِلٌ فَتَنَهْ

---

(١) هذا الدير بإزائها إزاء تل زفر أو بالرقة على نهر البليخ (٢) الجزازة: اشتهرت عندهم فيما صغر من القراطيس ، وهى فى الأصل: سقاطة الأديم إذا جز أى قطع

فَهْوَ يَرَى فُرْقَةَ الفِرَاقِ لِمَا   يَخْشَى مِنَ الْخَيْرِ غَايَةَ الأَمَنَهْ

إِذَا بِنُورِ الْهُدَى تَوَسَّمَ أَعْـ
ـرَاضَ مَعَارِيضِ دَهْرِهِ الدَّرِنَهْ (١)

كَمْ سَائِلٍ عَنْكَ يَا مُحَمَّدُ لَا   يَأْذَنُ خَلْقٌ لِجَابَتِي أَذِنَهْ (٢)

أَلْقَيْتُ فِي رُوعِهِ جَوَابَ فَتًى   لَوْ غَبَنَ الدَّهْرُ عَاقِلًا غَبَنَهْ

إِنْ قُلْتُ شَرْوَى أَبِي حَسَنٍ (٣)
لِلْعِرْضِ بِالْمَالِ أَصْوَنُ الصَّوَنَهْ

سُنَّتُهُ غُرَّةٌ وَنَاصِيَةٌ لِلزْ   زَيْنَبِيِّينَ فَاجْتَنِبْ سُنَنَهْ

لَا سِيَّمَا وَهْوَ قُلْقُلٌ ذَهِنٌ (٤)
يَهْرُبُ مِنْ رَجْمِ ذِهْنِهِ الشَّطَنَهْ (٥)

قَدْ كَانَ بِالأَمْسِ قَالَ لِي وَجَرَى   ذِكْرُ شَقِيٍّ حَرَمْتُهُ وَسَنَهْ

بُعْداً وَسُحْقاً لِمَنْ يُشَرَّفُ بِالْـ   ـمَدْحِ وَلَمْ يُعْطِ شَاعِراً ثَمَنَهْ

وَكَيْفَ تَحْتَالُ فِيهِ إِنْ خَزَنَ الْـ
ـبَذْلَ وَأَعْطَاكَ خَازِناً رَسَنَهْ ؟

فَقُلْتُ : أُبْدِي بِكُلِّ سَيِّئَةٍ   مِنْ مَدْحِهِ فِي هِجَائِهِ حَسَنَهْ

---

(٢) معاريض الدهر : ما يعرض للانسان من مرض ونحوه ، جمع معرض : والدرنة : ذات الدرن وهو الوسخ أو التلطخ به (٢) الجابة : الجواب كالاجابة ، والأذن محركا : الاذن بكسر فسكون (٣) الشروى : المثل ، وجاء بهامش الأصل « المصراع ناقص » (٤) القلقل كهدهد : الخفيف ، والذهن كفرح : الحاد الذهن (٥) الشطنة جمع شاطن : الخبيث المتمرد ومن هذه المادة الشيطان

لَعَلَّ رَبَّ الْعِبَادِ يَغْفِرُ بِالْـ ... ـعَفْوِ أَبَاطِيلَ مَدْحِهِ اللُّحَنَهْ (١)

كَقَاتِلِ الصَّيْدِ وَهْوَ فِي حَرَمِ الْـ ... ـلَّهِ يُجَازِي الْحِمَارَ بِالْبَدَنَهْ (٢)

وَالثَّوْرَ بِالثَّوْرِ وَالْغَزَالَةَ بِالشْـ
ـشَاةِ وَجَفْراً بِالْأَرْنَبِ الْأَرِنَهْ (٣)

أَلَيْسَ هَذَا الْجَزَاءُ أَثْقَلَ إِذْ ... أُحْضِرَ لِلْوَزْنِ وَالْحِسَابِ زِنَهْ

وَلَا تُطِعْ فِي السَّمَاحِ مُتَّهَماً ... أَخْلَاقُهُ بِالسَّفَالِ (٤) مُمْتَحَنَهْ

فَأَنْتَ مِنْ أُسْرَةٍ مُفَضَّلَةٍ ... عَلَى كِرَامِ الْأَخْلَاقِ مُؤْتَمَنَهْ

وَالزَّيْنَبِيُّونَ مَعْشَرٌ زُهُرٌ ... لَا سِرَّ يُلْقَى وَهُمْ لَهُ خَزَنَهْ (٥)

غَيْرَ سِوَى ضِدٍّ غَيْرِ غَيْرِهِمُ ... أَيْدِيهِمُ بِالسَّمَاحِ مُرْتَهَنَهْ

فَلَا تُضِعْ يَا ابْنَ خَيْرِهِمْ أَمَلِي ... فِيكَ فَعُقْبَى الْفِعَالِ مُخْتَزَنَهْ

﴿ ١١ — بِنْتُ الْكُنَيْزِيِّ * ﴾

بنت الكنيزي

حَدَّثَ أَبُو نَصْرٍ قَالَ : وَمِنْ طَرِيفِ مَا شَاهَدْتُهُ أَنَا : أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ امْرَأَةٌ تُعْرَفُ بِبِنْتِ الْكُنَيْزِيِّ وَكَانَتْ نِهَايَةً فِي الْفَضْلِ ، وَلَهَا أَخٌ غَايَةٌ فِي

(١) اللحنة كهمزة : الكثيرة اللحن (٢) يعني بالحمار : الفرا ، والبدنة : من الابل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة فتنحر بها (٣) يريد الثور الوحشي بالثور الأهلي ، والجفر من أولاد الشاة : ما عظم واستكرش ، أو بلغ أربعة أشهر ، وجفر جانباه وفصل عن أمه . وقيل : هو من أولاد المعز ، والأرنة : النشيطة السمينة .

(٤) السفال كسحاب : الخساسة والنذالة (٥) يلقى : يلقاه أحد ، وخزنة جمع خازن وهو الحافظ للسر الأمين عليه ، وجاء بالهامش فى الأصل « زهريون »

(*) ترجم له فى بغية الوعاة

الْجَهْلِ ، وَكَانَتْ حَسَنَةَ الْمَعْرِفَةِ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَلَهَا تَصَانِيفُ فِيهِمَا تُعْرَفُ بِهَا ، وَاخْتَصَمَا فِي مِيرَاثِ وَالِدِهِمَا فَطَالَ التَّنَازُعُ بَيْنَهُمَا ، وَحَضَرَا يَوْماً مَجْلِسَ وَالِدِي وَزَادَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا وَنَقَصَ ، فَاغْتَاظَ وَالِدِي مِنْ تَفَيْهُقِهَا وَحُوشِيِّ كَلَامِهَا [1] ، وَمِنْ سَقَطِهِ [2] وَعَامِيَّتِهِ فِي مُنَاقَضَتِهَا ، فَفَطِنَتْ لِذَلِكَ فَقَالَتْ : أَغَاظَ سَيِّدَنَا الشَّيْخَ — أَيَّدَهُ اللهُ — مَا يَرَى مِنِّي وَمِنْ هَذَا الْأَخِ أَصْلَحَهُ اللهُ ؟ . قَالَ : كَلَّا — إِنْ شَاءَ اللهُ — ، وَلَكِنْ جَرِّدِي الدَّعْوَى فَإِنَّهُ أَقْرَبُ لِلْإِنْجَازِ . فَقَالَتْ : — أَيَّدَ اللهُ الشَّيْخَ — ، فِي ذِمَّتِهِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ دِينَاراً مُطِيعِيَّةً سَلَامِيَّةً . فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي تَقُولُ ؟ فَقَالَ : أَمَا لَهَا عِنْدِي اثْنَانِ وَسَكَتَ ، وَرَامَ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ مَا قَالَتْ فَلَمْ يَقْدِرْ فَقَالَ : بِاللهِ يَا سَيِّدِي كَيْفَ قَالَتْ فَقَدْ وَاللهِ صَدَّعَتْنَا ؟ . فَقَالَ لَهُ : فُضُولُكَ ، قُلْ كَمَا تُحْسِنُ ، وَضَحِكَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ وَصَارَ طَنْزاً [3] ، وَانْدَفَعَتِ الْخُصُومَةُ ذَلِكَ الْيَوْمَ .

﴿ ١٢ — كُلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَّابِيُّ الشَّاعِرُ [*] ﴾

كلثوم بن عمرو العتابى

قَدْ ذَكَرْنَا أَخْبَارَهُ مُسْتَوْفَاةً فِي كِتَابِنَا أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ ،

(١) تفيهقها : تزيدها وتوسعها فى الكلام ، والحوشى : الغريب (٢) السقط محركة : مالا خير فيه ، والضمير فى سقطه يرجع على أخيها (٣) أى سخرية

(*) ترجم له فى كتاب نزهة العيون ص ٢٠٩ وترجم له كذلك فى كتاب فهرست ابن النديم ص ١٥٧

وأمّا نسبُه فهو كُلثومُ بنُ عمرِو بنِ أيّوبَ بنِ عُبيدِ بنِ حُبيشِ ابنِ أوسِ بنِ مسعودِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو الشاعرِ بنِ كُلثومِ بنِ مالكِ بنِ عتّابِ بنِ سعدِ بنِ زُهيرِ بنِ جُشَمَ بنِ بكرِ بنِ حبيبِ ابنِ عمرِو بنِ غُنمِ بنِ تغلِبَ بنِ وائلٍ . وعمرُو بنُ كُلثومٍ المذكورُ فى أجدادِهِ هو شاعرُ السبعِ الطِّوالِ (١) ، وكُنيةُ العتّابىِّ أبو عمرٍو ، وأصلُه من الشّامِ من أرضِ قِنَّسْرينَ ، صَحِبَ البرامكةَ ثمّ صحِبَ طاهرَ بنَ الحُسَينِ ، وعلىَّ بنَ هشامٍ القائدَيْنِ . وكانَ حسَنَ الاعتذارِ فى رسائلِهِ وشعرِهِ ، يُشَبَّهُ فى المُحْدَثِينَ بالنّابغةِ فى الجاهليّةِ ، فمِنْ ذلكَ قولُه فى جعفرِ بنِ يحيَى وقد كانَ بلغَ الرّشيدَ عنهُ ما أهدرَ به دمَهُ (٢) ، فخلّصَهُ جعفرٌ فقالَ فيهِ :

مَا زِلْتُ فِى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ مُطَّرَحًا (٣)
يَضيقُ عنّى فَسيحُ الرَّأْىِ مِنْ حِيَلِى
فَلَمْ تَزَلْ دَائِبًا تَسْعَى بِلُطْفِكَ لِى
حَتَّى اخْتَلَسْتَ حَيَاتِى مِنْ يَدَىْ أَجَلِى

قالَ محمّدُ بنُ إسحاقَ النّديمُ : وكانَ العتّابىُّ أديبًا مُصَنِّفًا ، ولهُ من الكُتُبِ : كتابُ المنطقِ ، كتابُ الآدابِ ،

(١) السبع الطوال : هى المعلقات السبع المشهورة (٢) أى أبطله وأباحه بسببه (٣) غمرات الموت : شدائده ومكارهه ، ومطرحا : مقذوفا مرميا

كِتَابُ فنونِ الحِكَمِ ، كِتَابُ الخليلِ لَطِيفٌ ، كِتَابُ الألفاظِ رواهُ أبو عُمَرَ الزَّاهِدُ عن المُبَرِّدِ عنهُ (١) .

قَالَ العَتَّابِيُّ : وَقفتُ ببابِ المأمونِ أنتظرُ مَنْ يَستأذِنُ لِي عَلَيهِ فإذا أنا بِيَحيَى بنِ أكثمَ فقُلتُ : استأذِنْ لِي على أميرِ المؤمنينَ . قالَ : لَستُ بحاجِبٍ . قُلتُ : صدَقتَ ، ولكِنَّكَ ذُو فضلٍ وذُو الفضلِ مِعْوانٌ . قَالَ : سَلَكتَ بِي غَيرَ سَبِيلِي . قُلتُ : إنَّ اللهَ أتحفَكَ بجاهٍ وهُوَ عليكَ مُقبِلٌ بالزِّيادةِ إنْ شكَرتَ ، وبالتَّغييرِ إنْ كفَرتَ ، وأنا لِنَفسِكَ خيرٌ منكَ لها ، أدْعُوكَ إلى زِيادةِ النِّعمةِ وبقائِها عليكَ فتأباها . قالَ : فدَخلَ على المأمونِ وحكَى لهُ ما جرَى بيني وبينَهُ ، فاستحسَنَهُ وأذِنَ لي .

قَالَ جَحظَةُ في أماليهِ : كلَّمَ العَتَّابِيُّ يَحيَى بنَ خالدٍ في حاجةٍ لهُ كلماتٍ قليلةً . فقالَ لهُ يَحيَى : لقَدْ نَزُرَ كلامُكَ اليومَ وقَلَّ . فقالَ لهُ : وكيفَ لا يَقِلُّ وقَدْ تَكنَّفَنِي (٢) ذُلُّ المسألةِ وحَيرةُ الطَّلبِ وخَوفُ الرَّدِّ ؟ فقالَ لهُ يَحيَى : لئِنْ قَلَّ كلامُكَ لقَدْ كثُرَتْ فوائدُهُ . وقالَ في أماليهِ : قالَ العَتَّابِيُّ : لَوْ سَكَتَ مَنْ لا يَعلَمُ عَمَّا لا يَعلَمُ سَقَطَ الاختِلافُ .

ومِنْ شِعرِهِ :

(١) جاء بهامش الأصل : « زاد فى الفهرست ص ١٢١ كتاب أجواد »
(٢) تكنفنى : أحاط بى وكان منى يمنة ويسرة

وَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَاجِدٌ
لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُلُوِّ مَكَانِ
لَمَا أَمَرَ اللهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ فَقَالَ اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ: بَلَغَ الْعَتَّابِيَّ أَنَّ عَمْرَو بْنَ مَسْعَدَةَ ذَكَرَهُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ بِسُوءٍ فَقَالَ:

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَصِيرِي
وَعَلَى الَّذِي يَبْغِي عَلَيَّ ظَهِيرِي
وَطَفِقْتُ آمُلُ مَا يُرَجَّى سَيْبُهُ
حَتَّى رَأَيْتُ تَعَلُّقِي بِغُرُورِ
فَحَضَرْتُ قَبْرَكَ ثُمَّ قُلْتُ دَفَنْتُهُ
وَنَفَضْتُ كَفِّي مِنْ ثَرَى الْمَقْبُورِ
وَرَجَعْتُ مُفْتَرِيًا(١) عَلَى الْأَمَلِ الَّذِي
قَدْ كَانَ يَشْهَدُ لِي عَلَيْكَ بِزُورِ

فَبَلَغَ الشِّعْرُ عَمْرًا فَرَكِبَ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْعَتَّابِيِّ فِي مَوْكِبِهِ حَتَّى اعْتَذَرَ إِلَيْهِ.

قَالَ مَالِكُ بْنُ طَوْقٍ لِلْعَتَّابِيِّ: أَمَا تَرَى عَشِيرَتَكَ — يَعْنِي بَنِي تَغْلِبَ — كَيْفَ تُدِلُّ عَلَيَّ وَتَسْتَطِيلُ(٢) وَأَنَا أَصْبِرُ؟ فَقَالَ

---

(١) مفتريا: مختلقا ما لا يصح أن يكون (٢) تدل الخ: تفرط في الدالة. وتستطيل: تتطاول وتتكبر وتعتدى.

الْعَتَّابِيُّ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ عَشِيرَتَكَ مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَكَ ، وَإِنَّ ابْنَ عَمِّكَ مَنْ عَمَّكَ خَيْرُهُ ، وَإِنَّ قَرِيبَكَ مَنْ قَرُبَ مِنْكَ نَفْعُهُ ، وَإِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ مَنْ كَانَ أَخَفَّهُمْ ثِقْلًا عَلَيْكَ ، وَأَنْشَدَهُ :

إِنِّي بَلَوْتُ النَّاسَ (١) فِي حَالَاتِهِمْ
وَخَبَرْتُ مَا وَصَلُوا مِنَ الْأَنْسَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرِّبُ قَاطِعًا
وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَوْكَدُ الْأَسْبَابِ

وَقِيلَ لِلْعَتَّابِيِّ لَوْ تَزَوَّجْتَ . فَقَالَ : إِنِّي وَجَدْتُ مُكَابَدَةَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الاحْتِيَالِ لِمَصْلَحَةِ الْعِيَالِ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْعَتَّابِيِّ وَأَحْكَمَهُ :

لَوْمٌ يُعِيذُكَ مِنْ سُوءٍ تُقَارِفُهُ
أَبْقَى لِعِرْضِكَ مِنْ قَوْلٍ يُدَاجِيكَا (٢)
وَقَدْ رَمَى بِكَ فِي تَيْهَاءَ (٣) مُهْلِكَةٍ
مَنْ بَاتَ يَكْتُمُكَ الْعَيْبَ الَّذِي فِيكَا

وَمِنْ مَنْثُورِ كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ مَا مِنْ مُسْتَخْلِصٍ غَضَارَةَ عَيْشٍ (٤) إِلَّا مِنْ خِلَالِ مَكْرُوهٍ ، وَمَنِ انْتَظَرَ بِمُعَاجَلَةِ الدَّرْكِ مُؤَاجَلَةَ الِاسْتِقْصَاءِ سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ فُرْصَتَهَا .

---

(١) بلوت الناس : جربتهم واختبرتهم (٢) تقارفه : تخالطه . ويداجيك : يداريك وينافقك (٣) تيهاء : أرض مضلة . (٤) غضارة العيش : نعومته

وَكَتَبَ إِلَى آخَرَ : مَنِ اجْتَمَعَ فِيهِ مِنْ خِلَالِ الْفَضْلِ مَا اجْتَمَعَ فِيكَ وَانْحَازَ إِلَى نَوَاحِيكَ، لَمْ يَخْشَ الْمُطْنِبُ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ (١) أَنْ يَكُونَ مُفْرِطًا كَمَا لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ مُفَرِّطًا، فَالِاعْتِرَافُ بِالْعَجْزِ عَنْ بُلُوغِ اسْتِحْقَاقِكَ مِنَ التَّقْرِيظِ، أَوْلَى مِنَ الْإِطْنَابِ الَّذِي غَايَتُهُ التَّقْصِيرُ وَمَآلُهُ إِلَى الْحَشْوِ .

﴿ ١٣ — كَيْسَانُ بْنُ الْمُعَرِّفِ النَّحْوِيُّ أَبُو سُلَيْمَانَ الْهُجَيْمِيُّ (*) ﴾

كيسان بن المعرف النحوى

قَالُوا : كَانَ يَخْرُجُ مَعَنَا إِلَى الْأَعْرَابِ فَيُنْشِدُونَا، فَيَكْتُبُ فِي أَلْوَاحِهِ غَيْرَ مَا يُنْشِدُونَا (٢)، وَيَنْقُلُ مِنْ أَلْوَاحِهِ إِلَى الدَّفَاتِرِ غَيْرَ مَا فِيهَا، ثُمَّ يَحْفَظُ مِنَ الدَّفَاتِرِ غَيْرَ مَا نَقَلَهُ إِلَيْهَا، ثُمَّ يُحَدِّثُ بِغَيْرِ مَا حَفِظَ .

وَذَكَرَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَيْسَانُ ثِقَةٌ لَيْسَ بِمُتَزَيِّدٍ، وَقَدْ أَخَذَ عَنِ الْخَلِيلِ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ : قَالَ كَيْسَانُ لِخَلَفٍ الْأَحْمَرِ : يَا أَبَا مُحْرِزٍ ، الْمُخَبَّلُ كَانَ شَاعِراً أَوْ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ ؟ فَقَالَ : يَا مَجْنُونُ صَحِّحِ الْمَسْأَلَةَ حَتَّى يَصِحَّ الْجَوَابُ .

وَحَدَّثَ أَبُو حَاتِمٍ قَالَ : قَالَ أَبُو زَيْدٍ يَوْماً فِي مَجْلِسِهِ

---

(١) بالأصل « عليك » تحريف (٢) فى الأصل « عما ينشدونا » تحريف

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ٢ ، وترجم له أيضا فى بغية الوعاة

وَكَانَتِ الْعَرَبُ تقولُ : لَيْسَ لِحَاقِنٍ رَأْيٌ[١] . فَقَالَ كَيْسَانُ : وَلَا لِمُنْعِظٍ[٢] . فقَالَ أبو زيدٍ: مَا سَمِعْنَاهُ ولَكِنِ اكْتُبُوهُ فإنه حَقٌّ ، وكَانَ كَيْسَانُ مِنَ الطَّيَّابِ[٣] الْمَزَّاحِينَ . قَالَ أبو زيدٍ : جَاءَ صَبِيٌّ إِلَى كَيْسَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ شِعْراً حَتَّى مَرَّ بِبَيْتٍ فِيهِ ذِكْرُ الْعِيسِ قَالَ : الْإِبِلُ الْبِيضُ الَّتِي يَخْلِطُ بَيَاضَهَا حُمْرَةٌ ، قَالَ : وَمَا الْإِبِلُ ؟ قَالَ الْجِمَالُ : قَالَ : وَمَا الْجِمَالُ ؟ فَقَامَ عَلَى أَرْبَعٍ وَرَغَا[٤] فِي الْمَسْجِدِ وَقَالَ : الَّذِي تَرَاهُ طَوِيلَ الرَّقَبَةِ وَهُوَ يَقُولُ « بُوع »

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ عَنِ التَّوَّزِيِّ قَالَ : حَبَسَ عِيسَى بْنُ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيُّ كَيْسَانَ وَكَانَ أَحَدَ الطَّيَّابِ ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَعْبَثُ بِهِ كَثِيراً فَشَفَعَ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى الْأَمِيرِ فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ . فَقَالَ لِلْجَلَاوِزَةِ[٥] : مَنْ أَخْرَجَنِي ؟ قَالُوا : تَكَلَّمَ فِيكَ شَيْخٌ مَخْضُوبٌ . فَقَالَ : أُمُّهُ زَانِيَةٌ إِنْ بَرِحَ مِنَ الْحَبْسِ ، إِحْبِيسُ[٦] ظُلْمٍ ، وَطَلِيقُ ذُلٍّ ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَداً .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ التَّصْحِيفِ لِحَمْزَةَ الْأَصْبَهَانِيِّ : قَالَ الرِّيَاشِيُّ : سَمِعْتُ كَيْسَانَ يَقُولُ : كُنْتُ عَلَى بَابِ أَبِي عَمْرِو بْنِ

---

(١) الحاقن : المجتمع بوله كثيراً ، وهذا مثل يضرب للمضطر الذى لا يملك أمر نفسه
(٢) أى لمنتصب (٣) الطياب : الطيبون ويستعمل مفردا (٤) رغا : صوت برغاء الابل (٥) الجلاوزة جمع جلواز : وهو الشرطى وأمين القاضى
(٦) إحبيس : بمعنى محبوس

الْعَلَاءِ فَجَاءَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَجَعَلَ يُنْشِدُ شِعْراً لِأَبِي شَجَرَةَ وَهُوَ قَوْلُهُ :

ضَنَّ عَلَيْنَا أَبُو عَمْرٍو بِنَائِلِهِ   وَكُلُّ مُخْتَبِطٍ يَوْماً لَهُ وَرَقُ

مَا زِلْتُ يَضْرِبُنِي حَتَّى جُذِبْتُ لَهُ   وَحَالَ مِنْ دُونِ بَعْضِ الْبُغْيَةِ الشَّفَقُ

فَقُلْتُ : جُذِبْتُ جُذِبْتُ وَضَحِكْتُ فَغَضِبَ وَقَالَ : كَيْفَ هُوَ ؟ فَقُلْتُ : إِنَّمَا هُوَ خَذِيتُ ، فَانْخَزَلَ (١) وَمَا أَحَارَ جَوَاباً (٢) ، « خَذِيتُ مِنْ قَوْلِكَ خَذِيَ الْبَازِي : إِذَا ثَبَتَ عَلَى يَدِ الْبَازِيَارِ (٣) » .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ : حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ : قَرَأَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْأَصْمَعِيِّ عَلَيْهِ شِعْرَ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّكَ أَنْتَ الْمَحْزُونُ فِي أَثَرِ الْـ   ـحَيِّ فَإِنْ تَنْوِ نِيَّهُمْ تُقِمِ (٤)

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ مَعْنَاهُ : فَإِنْ تَنْوِ نِيَّهُمْ : تُقِمْ صُدُورَ الْإِبِلِ وَتَظْعَنْ نَحْوَهُمْ كَمَا قَالَ الْآخَرُ : أَقِمْ لَهَا صُدُورَهَا يَا بَسْبَسُ . فَقَالَ كَيْسَانُ : كَذَبْتَ ، أَمَا إِنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ مِنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَلَـٰكِنْ أُنْسِيتَ ، إِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُمْ قَدْ نَوَوْا فِرَاقَكَ فَذَهَبُوا وَتَرَكُوكَ ، فَإِنْ تَنْوِ لَهُمْ مِثْلَ مَا نَوَوْا فِيكَ مِنَ

(١) أي انقطع (٢) وما أحار جوابا : أي ما رد (٣) البازي : ضرب من الصقور وهو أشد الجوارح تكبراً وأضيقها خلقاً ، يوجد بأرض الترك ، والبازيار : حامل البازي كالبازدار ومعربهما بيزار (٤) النى بالكسر : المنوى

الْقَطِيعَةِ تُقِمْ فِي دَارِكَ وَمَكَانِكَ، وَلَا تَرْحَلْ نَحْوَهُمْ وَلَا تَطْلُبُهُمْ كَمَا قَالَ الْآخَرُ:

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَنْكَ النَّوَى ذَا مَوَدَّةٍ
قَرَبْنَ بِقَطَّاعٍ مِنَ الْبَيْنِ ذَا شَعْبِ[1]

أَذَاقَتْكَ مُرَّ الْعَيْشِ أَوْ مِتَّ حَسْرَةً
كَمَا مَاتَ مَسْقِيُّ الصَّبَاحِ عَلَى أَلْبِ[2]

أَلَبَ يَأْلُبُ، وَلَابَ يَلُوبُ وَاحِدٌ. يَقُولُ: إِذَا بَاعَدَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أُحِبُّ قَرَبْنَ، يَعْنِي إِبِلِي قَرُبَتْ إِلَى مَنْزِلِي وَوَطَنِي وَمِيَاهِي، وَلَمْ أَتْبَعْ مَنْ فَارَقَنِي لِأَنِّي صَبُورٌ عَلَى الْفِرَاقِ جَلْدٌ مُتَعَوِّدٌ لِذَلِكَ. فَقَطَّاعٌ: يَعْنِي نَفْسَهُ هُوَ الْقَطَّاعُ، لِأَنِّي أَقْطَعُ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَذَاقَتْكَ مَنْ تُحِبُّ وَهِيَ الَّتِي فَارَقْتَهَا، فَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ كَذَا وَعَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَأَنْتَ صَبُورٌ قَوِيٌّ عَلَى الْقَطْعِ.

وَكَمَا قَالَ الرَّاعِي:

وَإِلْفٍ[3] صَبَرْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَقَدْ أَرَى
غَدَاةَ فِرَاقِ الْحَيِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

وَقَدْ قَادَنِي الْجِيرَانُ حِيناً وَقُدْتُهُمْ
وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا تَحِنُّ جِمَالِيَا

---

(١) اختلجت: اقتطعت، وذا شعب: صاحب صدع وقطع (٢) مسق الصباح: الشارب صباحا، وعلى ألب: أى على عطش مع نشاط الساق (٣) الالف بالكسر: المحب الآلف

١٤ – الكَيِّسُ النَّمَرِيُّ النَّسَّابُ *

الكيس النمرى النساب

الكَيِّسُ لَقَبٌ وَاسْمُهُ زَيْدُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ هِلَالِ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الخَزْرَجِ بْنِ تَيْمِ اللهِ ابْنِ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ هِنْبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ. فَعَوْفُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الخَزْرَجِ هُوَ أَخُو عَامِرِ الضَّحْيَانِ، هَذَا قَوْلُ الكَلْبِيِّ. وَقَالَ غَيْرُهُ: اسْمُ الكَيِّسِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَيْمِ بْنِ هِلَالِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَامِرِ الضَّحْيَانِ رَهْطِ نَتْلَةَ بِنْتِ جَنَابِ بْنِ كُلَيْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَامِرِ الضَّحْيَانِ، وَلَدَتْ لِعَبْدِ المُطَّلِبِ العَبَّاسَ وَضِرَارَ ابْنَيْ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

قَالَ مِسْكِينٌ الدَّارِمِيُّ يُخَاطِبُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ مُفْتَخِراً:

وَحَكِّمْ دِغْفَلاً وَارْحَلْ إِلَيْهِ ... وَلَا تَدَعِ المَطِيَّ مِنَ الكَلَالِ (١)

وَعِنْدَ الكَيِّسِ النَّمَرِيِّ عِلْمٌ ... وَلَوْ أَمْسَى بِمُنْخَرَقِ الشَّمَالِ (٢)

وَقِيلَ مُصْعَبُ بْنُ الكَيِّسِ هُوَ النَّسَّابُ وَكَانَ يُعْدَلُ (٣) بِدِغْفَلٍ. قَالَ الكُمَيْتُ:

---

(١) يعنى دغفلا النسابة ، والكلال : التعب والاعياء (٢) منخرق الشمال : ممرها ، والشمال : ريح تهب بين مطلع الشمس وبنات نعش ، أو من مطلع النعش إلى مسقط النسر الطائر . (٣) يعدل الخ : يسوى به .

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته هاهنا

وَمَا ابْنُ الْكَيِّسِ النَّمَرِيُّ مِنْكُمْ
وَمَا أَنْتُمْ هُنَاكَ بِدِ غفلينا

وَقِيلَ: الْكَيِّسُ هُوَ مَالِكُ بْنُ شَرَاحِيلَ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ حَارِثَةَ بْنِ هِلَالٍ كُلُّهُمْ يَنْسُبُ مِنْ عُبَيْدٍ إِلَى الْكَيِّسِ[(١)]، يَعْنِي كُلُّهُمْ نَسَّابٌ يَعْلَمُ النَّسَبَ.

١٥ — لَقِيطُ بْنُ بُكَيْرٍ الْمُحَارِبِيُّ *

لقيط بن بكير المحاربى

قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي كِتَابِ جَمْهَرَةِ النَّسَبِ الَّتِي رَوَاهَا عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ وَغَيْرِهِ: وَمِنْهُمْ يَعْنِي بَنِي مُحَارِبِ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ، عَائِذُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جُنْدُبِ بْنِ جَابِرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بَغِيضِ بْنِ شَكْمِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ زَيْدِ ابْنِ بَكْرِ بْنِ عُمَيْرَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَرْبِ بْنِ مُحَارِبٍ، وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مِنْ وَلَدِهِ لَقِيطٌ الرَّاوِيَةُ، — وَكَانَ صَدُوقًا — ابْنُ بُكَيْرٍ — وَكَانَ أَيْضًا عَالِمًا صَدُوقًا — ابْنِ النَّضْرِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَائِذِ بْنِ سَعِيدٍ، وَقَدْ لَقِيَ هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ لَقِيطًا.

حَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَى الْخَلِيلِ النُّوشَجَانِيِّ قَالَ:

---

(١) دون بهامش الأصل هنا « جاء فى تاج العروس : والذى قرأت فى أنساب الكلبي ان ابن الكيس هذا هو عبيد بن مالك الخ ».

(*) ترجم له فى فهرست ابن النديم ص ١٣٨

قَالَ لِى الجَهْمِىُّ : كَانَ لَقِيطٌ المُحَارِبِىُّ مِنْ رُوَاةِ الكُوفَةِ وَكَانَ سَيِّءَ الخُلُقِ . قَالَ الصُّولِىُّ : وَيُكْنَى أَبَا هِلَالٍ ، وَمَاتَ فِى سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِائَةٍ فِى خِلَافَةِ الرَّشِيدِ . وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : أَخْبَرَنِى ابْنُ مَهْدِىٍّ وَالسُّكَّرِىُّ قَالَا : لِلَقِيطٍ كِتَابٌ مُصَنَّفٌ فِى الأَخْبَارِ مُبَوَّبٌ ، فِى كُلِّ فَنٍّ مِنَ الفُنُونِ كِتَابٌ مُفْرَدٌ . فَمِنْهَا وَمِنْ أَحْسَنِهَا كِتَابُهُ فِى النِّسَاءِ وَهُوَ عِنْدِى رِوَايَةٌ عَنْهُمَا عَنِ العُمَرِىِّ عَنْهُ . وَلَهُ كِتَابُ السَّمَرِ ، كِتَابُ الخُرَّابِ وَاللُّصُوصِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الجِنِّ . وَأَخَذَ العِلْمَ عَنْ لَقِيطٍ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِهِمْ مِنْهُمُ ابْنُ الأَعْرَابِىِّ .

وَحَدَّثَ المَرْزُبَانِىُّ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى لَقِيطِ بْنِ بُكَيْرٍ المُحَارِبِىِّ قَالَ : أَمَرَ المَهْدِىُّ النَّاسَ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَةٍ بِصَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِبُطْءِ المَطَرِ لِيَسْتَسْقِىَ (١) ، فَلَمَّا كَانَ فِى اليَوْمِ الثَّالِثِ مِنَ اللَّيْلِ طَرَقَ النَّاسَ (٢) لَيْلَتَهُمْ كُلَّهَا ثَلْجٌ مَلَأَ الأَرْضَ ، فَقَالَ لَقِيطٌ :

يَا إِمَامَ الهُدَى سُقِينَا بِكَ الغَيْـ ـثَ وَزَالَتْ عَنَّا بِكَ اللَّأْوَاءُ (٣)

وَهِىَ أَبْيَاتٌ طَوِيلَةٌ . وَقَالَ لَقِيطٌ فِى ذَلِكَ أَيْضاً :

لَمَّا اسْتَغَاثَ بِكَ العِبَادُ بِجَهْدِهِمْ مُتَوَسِّلِينَ إِلَى إِلَهِ النَّاسِ
أَسْقَاهُمُ بِكَ مِثْلَ مَا أَسْقَاهُمُ صَوْبَ الغَمَامِ (٤) بِجَدِّكَ العَبَّاسِ

(١) ليستسق : ليطلب السقى وإنزال المطر (٢) طرق الناس الخ : أتاهم
(٣) اللأواء : الشدة والمحنة (٤) صوب الغمام : مطر السحاب المنصب النازل

فَأَتَتهم لَمَّا دَعَوْتَ سَمَاؤُهُمْ مُنْهَلَةً بِالْوَاكِفِ الرَّجَّاسِ (١)
الْعَدْلُ مِنْهُ سَقَامُهُ وَجَمِيلُ مَا
تُولِيهِ ذَا الإِيحَاشِ وَالإِينَاسِ (٢)
فَإِذَا أَمَرْتَ فَبِالإِنَابَةِ وَالْهُدَى
وَإِذَا وَزَنْتَ وَزَنْتَ بِالقِسْطَاسِ (٣)

قَالَ: وَدَخَلَ لَقِيطٌ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ وَقَدْ اشْتَكَى، فَأَنْشَدَ:

مَا بَالُ نَوْمِكَ أَمْسَى لَا يُؤَاتِيكَا
كَأَنَّ فِي الْجَفْنِ شَوْكًا بَاتَ يُقْذِيكَا (٤)
مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ وَلَا عِشْقٍ أَرِقْتَ لَهُ
إِلَّا لِأَنْ قِيلَ أَمْسَى الْجُودُ مَوْعُوكَا (٥)
وَقِيلَ هَارُونُ أَمْسَى شَاكِيًا وَصَبًا (٦)
فَقُلْتُ: نَفْسِيَ يَا هَارُونُ تَفْدِيكَا
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ جُودًا يَشْتَكِي نَهَكًا (٧)
حَتَّى رَأَيْتُ وَلِيَّ الْعَهْدِ مَنْهُوكَا

(١) منهلة : سخية ، والواكف : المطر النازل . والرجاس : ذو الرعد الشديد
(٢) توليه : تصنعه من المعروف ، وذا الايحاش والايناس : أى صاحب الوحشة وصاحب الايناس ، يعني أنك تحسن إلى الانسان والوحش (٣) القسطاس : الميزان العدل (٤) يقذيك : يؤلمك ويوجع عينك من القذى (٥) موعوك : أصابه ألم من تعب أو حر أو مرض (٦) الوصب محركة : المرض والوجع الدائم (٧) نهكا : ضنى وإجهاداً

فَبِتُّ مُرْتَفِقًا(١) أَرْعَى النُّجُومَ إِلَى
أَنْ جَاوَبَ الدِّيكُ فِينَا سُحْرَةً(٢) دِيكَا
فَكَمْ وَكَمْ لِيَ مِنْ نَذْرٍ(٣) سَأُنْجِزُهُ
إِنْ كُنْتَ عُوفِيتَ قَدْ أَوْجَبْتُهُ فِيكَا
حَجٌّ وَصَوْمٌ وَعِتْقٌ لَنْ أَخِيسَ بِهِ(٤)
فَمَا تَرَكْتُ لِنَفْسِي الْيَوْمَ مَمْلُوكَا
سَعْدٌ عَتِيقٌ وَبِنْتَاهُ وَأُمُّهُمَا
كَانُوا - وَأَعْجِبْ(٥) بِهِمْ - عِنْدِي مَمَالِيكَا
تَوَقَّعُونِي كَأَنِّي قَدْ حَذَيْتُكُمُ
سُودَ النِّعَالِ وَأَهْدَيْتُ الْمَسَاوِيكَا(٦)

وَحَدَّثَ فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَى إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ قَالَ: كَانَ لَقِيطُ ابْنُ بُكَيْرٍ فِي جِرَايَةِ الْمَهْدِيِّ(٧)، وَكَانَ الَّذِي وَصَلَهُ بِهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ وَزِيرُ الْمَهْدِيِّ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مَائِلًا إِلَيْهِ لِعِلْمِهِ بِالشِّعْرِ وَالْأَخْبَارِ. فَلَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ لَزِمَ الْكُوفَةَ. قَالَ

(١) مرتفقاً: مستنداً إلى مرفق (٢) سحرة: السحر الأعلى أى قبل انصداع الفجر أى أول السحر، وهو قبيل الصبح (٣) النذر: مايوجبه الانسان على نفسه لقضاء حاجة، أو شفاء مريض كالتصدق، ويجب الوفاء به إذا قصد به وجه الله.
(٤) لن أخيس به: لن أغدر أو أنكث. (٥) أعجب بهم: جملة تعجبية لتعظيم شأنهم وهي معترضة (٦) توقعوني: انتظروا منى فعل الأشياء المذكورة، وحذى النعال وإهداء المساويك مما كان يقدم للبشارة. (٧) فى جراية المهدى: أى فيم يجريه على الجند من الطعام كل يوم.

إِسْحَاقُ : فَرَأَيْتُهُ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِائَةٍ وَهُوَ يُنْشِدُ قَوْمًا شِعْرًا لَهُ فِي الزُّهْدِ وَهُوَ قَوْلُهُ :

عَزَفْتُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالْمَلَاهِي
وَأَخْلَصْتُ الْمَتَابَ[1] إِلَى إِلٰهِي
وَغَرَّتْنِي لَيَالٍ كُنْتُ فِيهَا
مُطِيعًا لِلشَّبَابِ بِهِ أُبَاهِي[2]
أُجَارِي الْغَيَّ فِي مَيْدَانِ لَهْوِي
وَقَلْبِي عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ لَاهِي
وَأَلْجَمَنِي الْمَشِيبُ[3] لِجَامَ تَقْوَى
وَرُكْنُ الشَّيْبِ بَادِي الْعَيْبِ وَاهِي
وَمَنْ لَمْ يَكْفِهِ الْعُذَّالَ[4] عَزْمٌ
فَلَيْسَ لَهُ عَلَى عَذْلٍ تَنَاهِي

قَالَ : وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ آخِرِ شِعْرِهِ وَفِي آخِرِ زَمَانِهِ ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ . وَحَدَّثَ مِمَّا رَفَعَهُ إِلَى ابْنِ الْمُدَوَّرِ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ لَقِيطِ بْنِ بُكَيْرٍ وَمَوْتِهِ فَقَالَ : مَاتَ فِي آخِرِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَهُوَ أَزْهَدُ النَّاسِ ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ

(١) عزفت الخ : زهدت فيها وانصرفت عنها ، والغواية : الضلال ، والمتاب : مصدر ميمي بمعنى التوبة (٢) به أباهي : به أفاخر غيري (٣) ألجمني المشيب الخ : أورثني مانعاً كلجام الدابة يمنعني من الزيغ والفساد . وهو مجاز (٤) العذال : اللوام ، جمع عاذل ، يقول : من لم يمنعه عن لوم اللوام عزيمة صادقة على صدق التوبة وعدم الاكتراث لهم ، فليس له رجوع عما كان فيه .

اغْفِرْ لِي ، فَإِنَّ حَسَنَاتِي لَوْ كَانَتْ مِثْلَ حَسَنَاتِ جَمِيعِ خَلْقِكَ لَعَلِمْتُ أَنِّي لَا أَسْتَحِقُّ الْجَنَّةَ إِلَّا بِفَضْلِكَ ، وَلَوْ كَانَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ جَمِيعًا مَا يَئِسْتُ (١) مِنْ عَفْوِكَ .

﴿ ١٦ - لُوطُ بْنُ مِخْنَفٍ الأَزْدِيُّ * ﴾

لوط بن مخنف الأزدي

هُوَ لُوطُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ ذُهْلِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ابْنِ سَعْدِ مَنَاةَ بْنِ غَامِدٍ ، وَاسْمُ غَامِدٍ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ يُكْنَى أَبَا مِخْنَفٍ ، وَمِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَاتَ لُوطٌ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَكَانَ رَاوِيَةً أَخْبَارِيًّا صَاحِبَ تَصَانِيفَ فِي الْفُتُوحِ وَحُرُوبِ الْإِسْلَامِ . قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : هُوَ كُوفِيٌّ وَلَيْسَ حَدِيثُهُ بِشَيْءٍ .

وَجَدْتُ بِخَطِّ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزَّازِ قَالَ : الْعُلَمَاءُ : أَبُو مِخْنَفٍ بِأَمْرِ الْعِرَاقِ وَفُتُوحِهَا وَأَخْبَارِهَا يَزِيدُ عَلَى غَيْرِهِ ، وَالْمَدَائِنِيُّ بِأَمْرِ خُرَاسَانَ وَالْهِنْدِ وَفَارِسَ ، وَالْوَاقِدِيُّ بِالْحِجَازِ

(١) ما يئست : ما قنطت

(*) جاء بالقاموس في مادة خنف « وكنبر أبو مخنف لوط بن يحيى أخباري شيعي تالف متروك » .

والسِّيَر ، وقد اشتركوا فى فتوح الشام .

قال محمد بن إسحاق (١) : ولأبى مخنف من الكتب : كتاب الردّة ، كتاب فتوح الشام ، كتاب فتوح العراق ، كتاب الجمل ، كتاب صفّين ، كتاب النهروان ، كتاب الغارات ، كتاب الخرّيت بن راشد وبنى ناجية ، كتاب مقتل علىّ كرّم الله وجهه ، كتاب مقتل حُجر بن عدىّ ، كتاب مقتل محمد بن أبى بكر والأشتر ومحمد بن أبى حذيفة ، كتاب الشورى ومقتل عثمان رضى الله عنه ، كتاب المستورد بن علّفة ، كتاب مقتل الحسين بن علىّ عليهما السلام ، كتاب المختار ابن أبى عبيد ، كتاب وفاة معاوية وولاية ابنه ووقعة الحرّة وعبد الله بن الزبير ، كتاب سليمان بن صرد وعين الوردة ، كتاب مرج راهط ومقتل الضحّاك بن قيس الفهرىّ ، كتاب مصعب بن الزبير والعراق ، كتاب مقتل عبد الله بن الزبير ، كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص ، كتاب حديث باخمرا (٢) ومقتل ابن الأشعث ، كتاب نجدة الحرورىّ ، كتاب الأزارقة ، كتاب حديث رُوستقُباذ (٣) ، كتاب شبيب الحرورىّ

(١) جاء بالهامش « فهرست ص ٩٣ » (٢) موضع بين الكوفة وواسط ، وهو إلى الكوفة أقرب ، وجاء بالهامش فى الفهرست : « باحميرا » (٣) موضع من أرض دستوا من نواحى الأهوز قاتل فيه مسلم بن عبيس نافع بن الأزرق فقتل كلاهما هناك .

وَصَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ ، كِتَابُ الْمُطَرِّفِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، كِتَابُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ (١) وَخَلْعِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، كِتَابُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَمَقْتَلِهِ بِالْعَقْرِ (٢) ، كِتَابُ خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ وَيُوسُفَ بْنِ عُمَرَ وَمَوْتِ هِشَامٍ وَوِلَايَةِ الْوَلِيدِ ، كِتَابُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، كِتَابُ يَحْيَى ابْنِ زَيْدٍ ، كِتَابُ الضَّحَّاكِ الْخَارِجِيِّ ، كِتَابُ الْخَوَارِجِ وَالْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ .

﴿ ١٧ — اللَّيْثُ بْنُ الْمُظَفَّرِ * ﴾

الليث بن المظفر

كَذَا قَالَ الْأَزْهَرِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ : اللَّيْثُ بْنُ الْمُظَفَّرِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي كِتَابِ الشُّعَرَاءِ مِنْ تَصْنِيفِهِ : اللَّيْثُ بْنُ رَافِعِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَمِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ اللَّيْثُ بْنُ الْمُظَفَّرِ الَّذِي نَحَلَ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ (٣) تَأْلِيفَ كِتَابِ الْعَيْنِ جُمْلَةً لِيَنْفُقَ كِتَابُهُ (٤) بِاسْمِهِ وَيَرْغَبَ فِيهِ مَنْ حَوْلَهُ ، وَأَثْبَتَ لَنَا عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيِّ الْفَقِيهِ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ اللَّيْثُ رَجُلًا صَالِحًا ، وَمَاتَ الْخَلِيلُ وَلَمْ يَفْرُغْ مِنْ كِتَابِ الْعَيْنِ فَأَحَبَّ اللَّيْثُ أَنْ يَنْفُقَ الْكِتَابُ كُلُّهُ فَسَمَّى لِسَانَهُ

---

(١) دير الجماجم : بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر السالك إلى البصرة (٢) يريد عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، فانه هو الموضع الذى قتل فيه يزيد بن المهلب بن أبى صفرة سنة ١٠٢ هـ (٣) نحل الخليل بن أحمد الخ : نسبه إليه (٤) لينفق الخ : ليروج

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ٢ ، وترجم له كذلك فى بغية الوعاة

الْخَلِيلَ ، فَإِذَا رَأَيْتَ فِي الْكِتَابِ « سَأَلْتُ الْخَلِيلَ » أَوْ « أَخْبَرَنِي الْخَلِيلُ » فَإِنَّهُ يَعْنِي الْخَلِيلَ نَفْسَهُ . قَالَ : وَإِذَا قَالَ : « قَالَ الْخَلِيلُ » فَإِنَّمَا يَعْنِي لِسَانَ نَفْسِهِ . قَالَ : وَإِنَّمَا وَقَعَ الِاضْطِرَابُ فِيهِ(١) مِنْ خَلِيلِ اللَّيْثِ(٢) .

قَالَ : وَأَخْبَرَنِي الْمُنْذِرِيُّ أَنَّهُ سَأَلَ ثَعْلَباً عَنْ كِتَابِ الْعَيْنِ فَقَالَ : ذَاكَ كِتَابٌ مَلِيءٌ « غُدَدْ » — قَالَ : وَهَذَا لَفْظُ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَحَقُّهُ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ مَلَآنُ غُدَداً ، وَلَكِنْ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ يُخَاطِبُ الْعَامَّةَ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِمْ . قُلْتُ : لَيْسَ هَذَا بِعُذْرٍ لِأَبِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ : مَلَآنُ غُدَداً لَمْ يَخْفَ مَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى صِغَارِ الْعَامَّةِ ، فَكَيْفَ وَفِي مَجْلِسِهِ الْأَئِمَّةُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؟ ثُمَّ سَائِلُهُ الَّذِي أَجَابَهُ لَيْسَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ ، وَإِنَّمَا عُذْرُهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَكَلَّفُ الْإِعْرَابَ فِي الْمُفَاوَضَةِ وَهِيَ سُنَّةُ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ — وَأَرَادَ أَنَّ فِي جِرَابِ الْعَيْنِ حُرُوفاً كَثِيرَةً قَدْ أُزِيلَتْ عَنْ صُوَرِهَا وَمَعَانِيهَا بِالتَّصْحِيفِ وَالتَّغْيِيرِ فَهِيَ تَضُرُّ حَافِظَهَا كَمَا تَضُرُّ الْغُدَدُ آكِلَهَا .

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ : مُصَنِّفُ كِتَابِ الْعَيْنِ اللَّيْثُ

(١) جاء بهامش الأصل « أى فى الكتاب » (٢) وجاء بهامش الأصل أيضا أى من الليث الذى وصف نفسه بالخليل . ورواية القفطى فى أنباء الرواة « ج ٢ ص ٢٩ » هكذا : فجاء فى الكتاب خلل من جهة خليله

ابْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ، رَوَى ذَلِكَ عَنْ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ قَالَ : حدَّثني فتًى قدِمَ علينا مِنْ خُراسانَ وكانَ يقرأُ علَى كتابَ الْعَيْنِ قالَ : أَخبرَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ قالَ : كَانَ اللَّيْثُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ صاحبُ الْخَلِيلِ رَجُلًا صالِحًا ، وكانَ الخليلُ قدْ عَمِلَ مِنْ كِتابِ الْعَيْنِ بابَ الْعَيْنِ فأَحَبَّ اللَّيْثُ أَنْ يَنفُقَ سُوقُ الْخَلِيلِ ، ثُمَّ ذَكَرَ كَمَا ذَكَرَ الأَزْهَرِيُّ .

وَحَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ فِي كِتَابِ الشُّعَرَاءِ عَنِ الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ : كَانَ الْخَلِيلُ مُنْقَطِعًا إِلَى اللَّيْثِ بْنِ رَافِعِ ابْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ، وَكَانَ اللَّيْثُ مِنْ أَكْتَبِ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ ، بَارِعَ الْأَدَبِ بَصِيرًا بِالشِّعْرِ وَالْغَرِيبِ وَالنَّحْوِ ، وَكَانَ كَاتِبًا لِلْبَرَامِكَةِ وَكَانُوا مُعْجَبِينَ بِهِ ، فَارْتَحَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ وَعَاشَرَهُ فَوَجَدَهُ بَحْرًا فَأَغْنَاهُ (١) ، وَأَحَبَّ الْخَلِيلُ أَنْ يُهْدِيَ إِلَيْهِ هَدِيَّةً تُشْبِهُهُ ، فَاجْتَهَدَ الْخَلِيلُ فِي تَصْنِيفِ كِتَابِ الْعَيْنِ فَصَنَّفَهُ لَهُ ، وَخَصَّهُ بِهِ دُونَ النَّاسِ وَحَبَّرَهُ وَأَهْدَاهُ إِلَيْهِ ، فَوَقَعَ مِنْهُ مَوْقِعًا عَظِيمًا وَسُرَّ بِهِ ، وَعَوَّضَهُ عَنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ اللَّيْثُ يَنْظُرُ فِيهِ لَيْلًا وَنَهَارًا لَا يَمَلُّ النَّظَرَ فِيهِ حَتَّى حَفِظَ نِصْفَهُ ، وَكَانَتِ ابْنَةُ عَمِّهِ

---

(١) فأغناه : أي جعله غنياً .

تحته ، فاشترى الليث جارية نفيسة بمال جليل فبلغها ذلك فغارت غيرة شديدة فقالت : والله لأغيظنه ولا أبقى غاية(١) ، فقالت : إن غظته فى المال فذاك ما لا يبالى به ، ولكنى أراه مكبا ليله ونهاره على هذا الدفتر ، والله لأفجعنه به(٢) ، فأخذت الكتاب وأضرمت نارا وألقته فيها ، وأقبل الليث إلى منزله ودخل إلى البيت الذى كان فيه الكتاب فصاح بخدمه وسألهم عن الكتاب فقالوا : أخذته الحرة ، فبادر إليها وقد علم من أين أتى ؟(٣) ، فلما دخل عليها ضحك فى وجهها وقال لها : ردى الكتاب فقد وهبت لك الجارية وحرمتها على نفسى ، وكانت غضبى فأخذت بيده وأدخلته رماده(٤) فسقط فى يد الليث(٥) ، فكتب نصفه من حفظه ، وجمع على الباقى أدباء زمانه وقال لهم : مثلوا عليه(٦) واجتهدوا ، فعملوا هذا النصف الذى بأيدى الناس ، فهو ليس من تصنيف الخليل ولا يشق غباره(٧) ، وكان الخليل قد مات .

---

(١) ولا أبقى غاية : أى لا أدخر وسعا وطاقة فى بلوغ مقصدى (٢) لأفجعنه به : لأصيبنه بالفجيعة فيه (٣) من أين أتى ؟ مبنى للمجهول : أى من أى مكان أخذ ، أى علم جواب هذا الاستفهام وهو : أنه أتى من مأتاه ، أى جهته التى يؤتى منها (٤) أى أدخلت يده فيما تخلف من رماد الكتاب بعد إحراقه ، أو دخلت به إلى حيث ذلك الرماد (٥) فسقط فى يد الليث بالبناء للمجهول : أى ندم وتحير (٦) مثلوا عليه : أى صوروا على مثاله وانسجوا على منواله (٧) ولا يشق الخ : أى ولا يشق غبار الخليل ، مثل يضرب للسابق المبرز ، وأن لا قرن له يجاريه

وَجَدْتُ عَلَى ظَهْرِ جُزْءٍ مِنْ كِتَابِ التَّهْذِيبِ لِأَبِي مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيِّ :

أَبْنُ دُرَيْدٍ بَقَرَهْ وَفِيهِ عُجْبٌ وَشَرَهْ
وَيَدَّعِي بِجَهْلِهِ وَضْعَ كِتَابِ الْجَمْهَرَهْ
وَهْوَ كِتَابُ الْعَيْنِ إِلْـ لَا أَنَّهُ قَدْ غَيَّرَهْ
الْأَزْهَرِيُّ وَزَغَهْ (١) وَحُمْقُهُ حُمْقُ دُغَهْ
وَيَدَّعِي بِجَهْلِهِ كِتَابَ تَهْذِيبِ اللُّغَهْ
وَهْوَ كِتَابُ الْعَيْنِ إِلْـ لَا أَنَّهُ قَدْ صَبَغَهْ (٢)
فِي الْخَارْزَنْجِيِّ بَلَهْ وَفِيهِ حُمْقٌ وَوَلَهْ (٣)
وَيَدَّعِي بِجَهْلِهِ وَضْعَ كِتَابِ التَّكْمِلَهْ
وَهْوَ كِتَابُ الْعَيْنِ إِلْـ لَا أَنَّهُ قَدْ نَقَلَهْ

«حَاشِيَةٌ — دُغَةُ بِنْتُ مَغْنَجٍ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْحُمْقِ ، زُوِّجَتْ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي بَنِي الْعَنْبَرِ فَحَمَلَتْ ، فَلَمَّا ضَرَبَهَا الْمَخَاضُ (٤) ظَنَّتْ أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى الْخَلَاءِ فَبَرَزَتْ إِلَى بَعْضِ الْغِيطَانِ وَوَضَعَتْ ذَا بَطْنِهَا ، فَاسْتَهَلَّ الْوَلِيدُ (٥) فَجَاءَتْ مُنْصَرِفَةً وَهِيَ لَا تَظُنُّ إِلَّا أَنَّهَا أَحْدَثَتْ (٦) فَقَالَتْ لِأُمِّهَا :

(١) وزغة : سام أبرص تقع على الذكر والأنثى ، والمراد تشبيهه بها فى الحقارة
(٢) صبغه : لون ألفاظه وغيرها (٣) الوله : ذهاب العقل والتحير
(٤) المخاض : وجع الولادة ، وضربها : آلمها (٥) استهل الوليد : رفع صوته بالبكاء عند الولادة (٦) أحدثت : تغوطت وهو مجاز

يَا أُمَّتَاه، وَهَلْ يَفتحُ الْجَعْرُ فَاهُ(١) ؟ قَالَتْ : نَعَمْ، وَيَدْعُو أَبَاهُ، فَسُبَّ بَنُو الْعَنْبَرِ بِهِ وَسُمُّوا بَنُو الْجَعْرَاء. وَلَهَا حَمَاقَاتٌ كَثِيرَةٌ».

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيِّ فِي كِتَابِ نَظْمِ الْجُمَانِ تَصْنِيفِ أَبِي الْفَضْلِ الْمُنْذِرِيِّ : نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ كَانَ وَالِيَ خُرَاسَانَ، وَاللَّيْثُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ نَصْرٍ صَاحِبُ الْعَرَبِيَّةِ وَصَاحِبُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ هُوَ ابْنُهُ، حَدَّثَ عَنْهُ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْعَبْدِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ قُتَيْبَةَ يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ لَيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ فَقَالَ : مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ إِلَّا نَظَرْتُ فِيهِ إِلَّا هَذَا الْفَنَّ، وَمَا عَجَزْتُ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ الْعُلَمَاءَ يَكْرَهُونَهُ — يَعْنِي النُّجُومَ —. سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَعِيدٍ الْقَزَّازَ قَالَ : نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ وَالِي خُرَاسَانَ الْمَحْمُولُ إِلَيْهِ رَأْسُ جَهْمٍ، وَكَانَ نَصْرٌ مِنْ تَحْتِ يَدَيْ هِشَامِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ بِمَرْوَ، وَكَانَ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ وَالِيَ بَلْخ وَالْجُوزَجَانِ(٢) مِنْ تَحْتِ يَدِهِ(٣)، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ يَحْيَى بْنَ زَيْدِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَجَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ مَذْهَبُ جَهْمٍ وَوَجَّهَ بِرَأْسَيْهِمَا إِلَى مَرْوَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ

(١) الجعر : ما يبس من العذرة فى المجعر أى الدبر (٢) كورة واسعة من كور بلخ خراسان بينها وبين مرو (٣) فى الأصل : « من يده » كما نبه بهامشه

فَنُصِبَا عَلَى بَابِ قُهَنْدَزِ مَرْوَ (١) ، فَـكَانَ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ يَقُولُ : قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ وَشَرَّ النَّاسِ .

قَالَ الْمُنْذِرِىُّ : وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْعَبْدِىَّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا رَجَا قُتَيْبَةَ يَقُولُ : دَخَلَ اللَّيْثُ بْنُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ عَلَى عَلِىِّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ حَمَّادٌ الْخَزْرَبُكُ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَصَّ رُؤْيَا رَآهَا لِعَلِىِّ بْنِ عِيسَى فَهَمَّ حَمَّادٌ أَنْ يَعْبُرَهَا (٢) فَقَالَ لَيْثٌ : كُفَّ فَلَسْتَ هُنَاكَ (٣) . فَقَالَ عَلِىٌّ : يَا أَبَا هِشَامٍ وَتَعْبُرُهَا ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَأَنَا أَعْبَرُ أَهْلِ خُرَاسَانَ (٤) . فَكَانَتِ الرُّؤْيَا كَأَنَّ عَلِىَّ بْنَ عِيسَى مَاتَ وَحُمِلَ عَلَى جَنَازَةٍ وَأَهْلُ خُرَاسَانَ يَتْبَعُونَهُ ، ثُمَّ انْقَضَّ غُرَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لِيَحْمِلَهُ فَكَسَرُوا رِجْلَ الْغُرَابِ . فَقَالَ اللَّيْثُ : أَمَّا الْمَوْتُ فَبَقَاءٌ ، وَأَمَّا الْجَنَازَةُ فَهُوَ سَرِيرٌ وَمُلْكٌ ، وَأَمَّا مَا حَمَلُوكَ فَهُوَ مَا عَلَوْتَهُمْ وَكُنْتَ عَلَى رِقَابِهِمْ ، وَأَمَّا الْغُرَابُ فَهُوَ رَسُولٌ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : « فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ » يَقْدَمُ فَلَا يَنْفُذُ أَمْرُهُ . فَمَا مَكَثُوا إِلَّا يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً حَتَّى قَدِمَ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ

(١) القهندز فى الأصل : اسم للحصن أو القلعة العتيقة ، ثم كثر حتى اختص بقلاع المدن ، وهو علم على جملة مواضع مشهورة كما قال ياقوت فى معجم البلدان .

(٢) أن يعبرها : أن يفسرها ويخبر بآخر ما يئول إليه أمرها (٣) كف امتنع ، وقوله : فلست هناك : معناه : لست أهلا لذلك (٤) أعبر : أفعل تفضيل : أى أكثرهم عبرا وتأويلا للرؤيا .

الْخَلِيفَةِ فِي حَمْلِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، فَاجْتَمَعَ قُوَّادُ خُرَاسَانَ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرًا وَلَمْ يَتْرُكُوهُ يُحْمَلُ وَقَالُوا : يُخْشَى انْتِقَاضُ الْبِلَادِ[1] فَبَقِيَ .

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : هُوَ اللَّيْثُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ صَاحِبُ الْعَرَبِيَّةِ ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ رَافِعٌ . سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِي قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ السَّرَّاجَ قَالَ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ قَالَ : سَأَلْتُ رَافِعَ بْنَ اللَّيْثِ بْنِ الْمُظَفَّرِ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ سَكَرٍ[2] حَرَامٌ » أَيَقَعُ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْكِرِ يَعْنِي جَمِيعَ مَا يُسْكِرُ مِنْهُ مِنْ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ ؟ أَمْ عَلَى الشَّرْبَةِ الَّتِي تُسْكِرُكَ ؟. فَقَالَ : بَلْ عَلَى جَمِيعِ مَا يُسْكِرُ مِنْهُ مِنْ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ ، إِذَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ بِمَنْزِلَتِهِ ، وَلَوْ كَانَ عَنَى الشَّرْبَةَ الَّتِي تُسْكِرُكَ لَقَالَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » .

قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِيِّ : وَبَلَغَنِي أَنَّ الْمُظَفَّرَ بْنَ نَصْرٍ مَرَّ بِهِ عَنَاقٌ وَابْنُهُ اللَّيْثُ قَدْ حَضَرَهُ فَقَالَ لَهُ وَأَرَادَ أَنْ يَخْبُرَهُ : مَا هَـذَا ؟ قَالَ : بُزْ ، بِالْفَارِسِيَّةِ . فَقَالَ : لَأُسَيِّرَنَّكَ إِلَى حَيْثُ لَا تَعْرِفُ بُزْ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَادِيَةِ فَمَكَثَ فِيهَا قَرِيبًا مِنْ

---

(١) أى فسادها واضطرابها (٢) السكر محركة : الخمر ، وكل ما يسكر ، ونبيذ يتخذ من التمر ، وكانت فى الأصل « مسكر » كما نبه الهامش

عَشْرِ سِنِينَ أَوْ أَكْثَرَ ، فَفِيهَا تَأَدَّبَ ثُمَّ رَجَعَ فَعَجِبَ أَهْلُهُ مِنْ كَثْرَةِ أَدَبِهِ . هَـذَا آخِرُ مَا كَتَبْتُهُ مِنْ خَطِّ الْأَزْهَرِيِّ وَكِتَابِ الْمُنْذِرِيِّ .

وَحَدَّثَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الْبَيِّعِ فِي كِتَابِ نَيْسَابُورَ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَ : سُئِلَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ عَنِ الْكِتَابِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ وَيُقَالُ لَهُ كِتَابُ الْعَيْنِ ، فَأَنْكَرَهُ فَقِيلَ لَهُ : لَعَلَّهُ أَلَّفَهُ بَعْدَكَ ؟ فَقَالَ : أَوَخَرَجْتُ مِنَ الْبَصْرَةِ حَتَّى دَفَنْتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ ؟ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ الْكِسْرَوِيُّ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْمَعْرُوفُ بِالرَّاحِ الْمُحَدِّثُ قَالَ : قَالَ اللَّيْثُ ابْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ : كُنْتُ أَصِيرُ إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ فَقَالَ لِي يَوْمًا : لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا قَصَدَ وَأَلَّفَ حُرُوفَ ا ب ت ث عَلَى مَا أُمَثِّلُهُ لَاسْتَوْعَبَ[1] فِي ذَلِكَ جَمِيعَ كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَتَهَيَّأَ لَهُ أَصْلٌ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ أَلْبَتَّةَ . فَقُلْتُ لَهُ : وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : يُؤَلِّفُهُ عَلَى الثُّنَائِيِّ وَالثُّلَاثِيِّ وَالرُّبَاعِيِّ وَالْخُمَاسِيِّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُعْرَفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَكْثَرُ مِنْهُ .

قَالَ اللَّيْثُ : فَجَعَلْتُ أَسْتَفْهِمُهُ وَيَصِفُ لِي وَلَا أَقِفُ عَلَى

(١) أي لاستوفى

مَا يَصِفُ ، فَاخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيَّاماً ثُمَّ اعْتَلَّ وَحَجَجْتُ ، فَمَا زِلْتُ مُشْفِقاً عَلَيْهِ وَخَشِيتُ أَنْ يَمُوتَ فِي عِلَّتِهِ فَيَبْطُلَ مَا كَانَ يَشْرَحُهُ لِي ، فَرَجَعْتُ مِنَ الْحَجِّ وَصِرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَلَّفَ الْحُرُوفَ كُلَّهَا عَلَى مَا هِيَ فِي الْكِتَابِ ، وَكَانَ يُمْلِي عَلَيَّ مَا يَحْفَظُ [1] ، وَمَا شَكَّ فِيهِ يَقُولُ لِي : سَلْ عَنْهُ ، فَإِذَا صَحَّ فَأَثْبِتْهُ إِلَى أَنْ عَمِلْتُ الْكِتَابَ .

﴿ ١٨ — الْمُبَارَكُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ * ﴾

المبارك بن الحسن الشهرزورى

ابْنِ فَتْحَانَ بْنِ مَنْصُورٍ الشَّهْرَزُورِيُّ أَبُو الْكَرَمِ الْمُقْرِئُ ، إِمَامٌ فِي الْقِرَاءَاتِ عَالِمٌ بِهَا . مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو سَعْدٍ عَنِ ابْنِ حِرْزٍ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ وَدُفِنَ فِي دَكَّةِ [2] بِشْرٍ الْحَافِي بِبَابِ حَرْبٍ بِبَغْدَادَ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبِ . قَالَ : وَكَتَبَ عَنْهُ وَذَكَرَ أَنَّ مَوْلِدَهُ فِي سَابِعَ عَشَرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قَالَ : وَكَانَ يَسْكُنُ دَارَ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ مِمَّا يَلِي بَابَ الْعَامَّةِ شَيْخٌ صَالِحٌ دَيِّنٌ خَيِّرٌ قَيِّمٌ بِكِتَابِ اللهِ [3] عَالِمٌ بِاخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ وَالْقِرَاءَاتِ ، وَصَنَّفَ فِيهَا كِتَابَ الْمِصْبَاحِ

---

(١) يملى على الخ : يقوله لى فأكتب عنه (٢) الدكة : ما استوى من الرمل ، وبناء بسطح أعلاه للجلوس عليه (٣) أى قائم به

(*) راجع بغية الوعاة

فِي الْقِرَاءَاتِ، وَهُوَ حَسَنُ السِّيرَةِ جَيِّدُ الْأَخْذِ عَلَى الطُّلَّابِ، لَهُ رِوَايَاتٌ عَالِيَةٌ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ ابْنِ جَيْرُونَ الْأَمِينِ وَغَيْرِهِ.

﴿ ١٩ – الْمُبَارَكُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْحَمَّامِيِّ الْمُؤَدِّبُ * ﴾

المبارك بن سعيد بن الحمامي

أَبُو الْفَرَجِ الْمُؤَدِّبُ، كَانَ يَسْكُنُ قَرَاحَ بَنِي رَزِينٍ مِنْ بَغْدَادَ (١)، وَلَهُ بِهِ مَكْتَبٌ يُعَلِّمُ فِيهِ الصِّبْيَانَ، وَكَانَ أَدِيباً فَاضِلاً وَشَيْخاً صَالِحاً، تَخَرَّجَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَكَانَ مَحْمُودَ السِّيرَةِ مَشْكُوراً عِنْدَ النَّاسِ، وَكَانَ ذَا هَيْبَةٍ عَلَى الصِّبْيَانِ (٢)، وَكَانَ أَوْلَادُ الْأَكَابِرِ يَقْصِدُونَ مَكْتَبَهُ مِنْ جَمِيعِ بَغْدَادَ لِمَا شَاعَ مِنْ خَيْرِهِ وَصَلَاحِهِ، أَدْرَكْتُ زَمَانَهُ وَرَأَيْتُ مَكْتَبَهُ وَكَانَ مَكْتَباً حَفِيلاً (٣) مُزْدَحِماً إِلَّا أَنِّي لَمْ أَلْقَهُ شَيْئاً، وَكَانَ يَكْتُبُ خَطًّا حَسَناً مَعْرُوفاً عِنْدَ النَّاسِ مَرْغُوباً فِيهِ. مَاتَ فِيمَا بَلَغَنِي فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ عَلَى سِيرَتِهِ فِي الصَّلَاحِ وَالدِّينِ وَالْخَيْرِ، قَامَ مَقَامَهُ فِي مَكْتَبِهِ وَخَلَفَهُ بَعْدَهُ فِي مَكْتَبِهِ، وَكَانَ اسْمُهُ أَيْضاً الْمُبَارَكُ، مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

---

(١) جاء بالهامش عن قراح « أرض على حيالها من منابت النخل وهو اسم لمكان »

(٢) فى الأصل « داهبة » تحريف (٣) مكتبا خفيلا : كثير المتعلمين

(*) راجع بغية الوعاة ٣٨٤

٢٠ - المُبَارَكُ بْنُ الْفَاخِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ *

المبارك بن الفاخر

أَبُو الْكَرَمِ النَّحْوِيُّ - أَخُو أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ لِأُمِّهِ - الْمَعْرُوفُ بِالْبَارِعِ الدَّبَّاسِ. وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ وَالْجَوْهَرِيِّ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ قَيِّمًا بِالنَّحْوِ عَارِفًا بِاللُّغَةِ. قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: غَيْرَ أَنَّ مَشَايِخَنَا جَرَّحُوهُ [1]. كَانَ أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ نَاصِرٍ سَيِّءَ الرَّأْيِ فِيهِ يَرْمِيهِ بِالْكَذِبِ وَالتَّزْوِيرِ [2] قَالَ: وَكَانَ يَدَّعِي سَمَاعَ مَا لَمْ يَسْمَعْهُ، وَلَمَّا مَاتَ دُفِنَ بِمَقْبَرَةِ بَابِ حَرْبٍ، وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلَى ابْنِ بُرْهَانَ الْأَسَدِيِّ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْمُعَلِّمِ فِي النَّحْوِ. كِتَابُ نَحْوِ الْعُرْفِ. كِتَابُ شَرْحِ خُطْبَةِ أَدَبِ الْكَاتِبِ. وَجَدْتُ بِخَطِّ السَّمْعَانِيِّ مَوْلِدَهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ أَخْذُهُ النَّحْوَ عَنِ ابْنِ بُرْهَانَ، لِأَنَّ ابْنَ بُرْهَانَ مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، بَلْ إِنْ كَانَ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا جَازَ ذَلِكَ، ثُمَّ لَمَّا وَرَدْتُ إِلَى مَرْوَ نَظَرْتُ فِي كِتَابِ الْمُذَيَّلِ لِلسَّمْعَانِيِّ وَقَدْ أُلْحِقَ بِخَطِّهِ فِي تَضَاعِيفِ السُّطُورِ بِخَطٍّ

(١) جرحوه : سبوه وشتموه وعابوه (٢) التزوير : تزيين الكذب

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

دَقِيقٍ : قَرَأْتُ بِخَطِّ وَالِدِي رَحِمَهُ اللهُ سَأَلْتُ الْمُبَارَكَ بْنَ الْفَاخِرِ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : وُلِدْتُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قُلْتُ : فَإِذَا صَحَّتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ فَقَدْ صَحَّ أَخْذُهُ عَنِ ابْنِ بُرْهَانَ ، وَكَانَ وَالِدُ السَّمْعَانِيِّ قَدْ لَقِيَ ابْنَ الْفَاخِرِ وَأَخَذَ عَنْهُ ، وَحَكَى عَنْهُ شَيْئًا مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ. رَأَيْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَشَّابِ رَحِمَهُ اللهُ : حَكَى لِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ قَزْمَا الْإِسْكَافُ عَنْ شَيْخِنَا أَبِي الْكَرَمِ الْمُبَارَكِ بْنِ فَاخِرِ ابْنِ يَعْقُوبَ النَّحْوِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الدَّبَّاسِ : أَنَّهُ كَانَ يُكْرِمُ الْمُتَرَدِّدِينَ إِلَيْهِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ بِالْقِيَامِ لَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ يَأْبَى ذَلِكَ وَيُنْكِرُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَعْتَمِدُهُ وَيُنْشِدُ :

قَصَّرَ بِالْعِلْمِ وَأَزْرَى بِهِ … مَنْ قَامَ فِي الدَّرْسِ لِأَصْحَابِهِ

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ : وَلَعَمْرِي إِنَّ حُرْمَةَ الْعِلْمِ آكَدُ مِنْ حُرْمَةِ طَالِبِهِ ، وَإِعْزَازَ الْعِلْمِ أَبْعَثُ لِطَلَبِهِ ، وَبِحَسَبِ الصَّبْرِ عَلَى مَرَارَةِ طَلَبِهِ تَحْلُو ثَمَرَةُ مُكْتَسَبِهِ وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو الْكَرَمِ بْنُ الدَّبَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ يَجْمَعُ إِلَى هَذَا، التَّسَاهُلَ فِي الْخِطَابِ إِذَا أُخِذَ خَطُّهُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ اجْتِذَابَ الطُّلَّابِ ، لِأَنَّ النُّفُوسَ تَمِيلُ إِلَى هَذَا الْبَابِ ، وَحَالُ أَبِي عَلِيٍّ

رَحِمَهُ اللهُ فِي عَكْسِ هَذِهِ الْحَالِ مَعْلُومَةٌ مُتَعَارَفَةٌ يَأْثُرُهَا أَصْحَابُهُ عَنْهُ (١) ، وَكَانَ أَمْرُهُ مَعَ الْعَالَمِ فِي ذَاكَ عَلَى حَدٍّ سَوَاء مِنْ مَلِكٍ وَسُوقَةٍ وَعَالِمٍ وَمُتَعَلِّمٍ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللهَ الْعَوْنَ عَلَى زَمَنٍ نَحْنُ فِيهِ . آخِرُ مَا فِيهِ مِنْ خَطِّ ابْنِ الْخَشَّابِ .

٢١ – الْمُبَارَكُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ الْمُبَارَكِ *

المبارك بن المبارك الكرخي

أَبُو طَالِبٍ الْكَرْخِيُّ بْنُ أَبِي الْبَرَكَاتِ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ صَاحِبُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْخَلِّ ، مَاتَ فِي ثَامِنِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ ، أَدْرَكْتُ زَمَانَهُ وَلَقِيتُ بِبَغْدَادَ أَوَانَهُ إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَرَهُ لِصِغَرِ السِّنِّ حِينَئِذٍ ، وَالِاشْتِغَالِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِغَيْرِ هَذَا الشَّانِ . كَانَ رَحِمَهُ اللهُ فَاضِلًا زَاهِدًا عَابِدًا وَرِعًا إِمَامًا أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِي حُسْنِ الْخَطِّ عَلَى طَرِيقَةِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْبَوَّابِ . سَمِعْتُ جَمَاعَةً يَحْكُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ فِي قَلَمِ الثُّلُثِ ، حَتَّى رَأَيْتُ مَنْ يُغَالِي فِيهِ (٢) فَيَقُولُ : إِنَّهُ كَتَبَ خَيْرًا مِنَ ابْنِ الْبَوَّابِ ، وَكَانَ ضَنِينًا بِخَطِّهِ جِدًّا (٣) فَلِذَلِكَ قَلَّ وُجُودُهُ . كَانَ إِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ تَجْوِيدَاتِهِ يَسْتَدْعِي طَسْتًا

(١) يأثرها الخ ينقلونها ويروونها (٢) أى يبالغ (٣) أى بخيلا به

(*) ترجم له فى بغية الوعاة ص ٣٨٥

وَيَغْسِلُهُ ، فَأَمَّا إِذَا اسْتُفْتِيَ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْسِرُ قَلَمَهُ وَيَجْهَدُ فِي تَغْيِيرِ خَطِّهِ، وَكَانَ أَحَدَ الشُّهُودِ الْمُعَدَّلِينَ (١) ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْخَلِّ وَلَازَمَهُ مُدَّةً حَتَّى صَارَ بَارِعاً فِي الْفِقْهِ، وَصَارَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْمَذْهَبِ وَلِسَانٌ تَامٌّ (٢) فِي الْخِلَافِ، شَهِدَ عِنْدَ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي الْقَاسِمِ الزَّيْنَبِيِّ فِي تَاسِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ عَزَلَ نَفْسَهُ عَنْ تَحَمُّلِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا قَبْلَ مَوْتِهِ بِمُدَّةٍ مَدِيدَةٍ وَلَمْ يَدَعِ الطَّيْلَسَانَ (٣) ، وَتَوَلَّى التَّدْرِيسَ بِمَدْرَسَةِ كَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفُتُوحِ حَمْزَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ طَلْحَةَ الرَّازِيِّ الَّتِي بِبَابِ الْعَامَّةِ الْمَحْرُوسِ بَعْدَ وَفَاةِ شَيْخِهِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْخَلِّ الْمُدَرِّسِ كَانَ بِهَا ، ثُمَّ تَوَلَّى تَدْرِيسَ النِّظَامِيَّةِ وَذَكَرَ الدَّرْسَ بِهَا فِي تَاسِعِ صَفَرٍ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَأُضِيفَ إِلَيْهِ التَّقَدُّمُ بِالرِّبَاطِ (٤) الْجَدِيدِ الْمُجَاوِرِ لِتُرْبَةِ الْجِهَةِ الشَّرِيفَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ الْمَعْرُوفِ بِالْأَخْلَاطِيَّةِ عِنْدَ مَشْهَدِ عَوْنٍ وَمُعِينٍ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَانْتَقَلَ إِلَى هُنَاكَ وَسَكَنَ الدَّارَ

---

(١) المعدلين : الموصوفين بالعدل (٢) ولسان تام : أى حجة قوية (٣) الطيلسان : كساء مدور أخضر لا أسفل له لحمته أو سداه من صوف يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، تعريب تالسان بالفارسية . والجمع طيالسة

(٤) الرباط : واحد الرباطات المبنية : وهو حجر طويل يوضع فوق حجارة صغيرة ليربط بعضها ببعض .

الْمُجَاوِرَةَ لِلرِّبَاطِ الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ يَعْبُرُ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ وَيَذْكُرُ الدُّرُوسَ بِالنِّظَامِيَّةِ وَيَعُودُ إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَكَانَ لَهُ قَبُولٌ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ وَجَاهٌ(١) عِنْدَ أَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى خِدْمَةَ الْأَمِيرِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ مُحَمَّدٍ وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ ابْنَيْ مَوْلَانَا النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانَهُ فِي تَعْلِيمِ الْخَطِّ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ ابْنِ الْحُصَيْنِ وَقَاضِي الْبِيمَارِسْتَانِ(٢) وَشَيْخِهِ ابْنِ الْحَاجِّ وَغَيْرِهِمْ ، وَحَدَّثَ عَنْهُمْ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ لِصَلَاةِ الْعَصْرِ بِالرِّبَاطِ الْجَدِيدِ الْمَذْكُورِ وَكَانَ يَؤُمُّ فِيهِ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ لِلصَّلَاةِ عَرَضَتْ لَهُ شُعْلَةٌ وَتَتَابَعَتْ فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ وَحُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَمَاتَ لِوَقْتِهِ فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي غَدِهِ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ خَلْقٌ عَظِيمٌ وَدُفِنَ بِتُرْبَةِ الْجِهَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ الْمُجَاوِرَةِ لِلرِّبَاطِ ، وَهُوَ فِيمَا يُقَالُ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً .

﴿ ٢٢ — الْمُبَارَكُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ سَعِيدٍ * ﴾

ابْنِ الدَّهَّانِ أَبُو بَكْرٍ الضَّرِيرُ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْوَجِيهِ مِنْ أَهْلِ وَاسِطَ ، قَدِمَ بَغْدَادَ مَعَ أَبِيهِ فِي صِبَاهُ المبارك بن الدهان

(١) جاه : قدر ومنزلة (٢) البيمارستان : فارسية معربها مارستان ، ومعناها : دار المرضى

(*) ترجم له في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج أول ص ٤٤٤

فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمَائَةٍ — رَحِمَهُ اللهُ — وَدُفِنَ بِالْوَرْدِيَّةِ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِمَائَةٍ، وَهُوَ شَيْخِي الَّذِي بِهِ تَخَرَّجْتُ وَعَلَيْهِ قَرَأْتُ، وَهُوَ قَرَأَ بِوَاسِطَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ نَصْرِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمٍ الْمُؤَدِّبِ وَغَيْرِهِ، وَأَدْرَكَ بِبَغْدَادَ ابْنَ الْخَشَّابِ فَأَخَذَ عَنْهُ، وَلَازَمَ الْكَمَالَ أَبَا الْبَرَكَاتِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْبَارِيَّ النَّحْوِيَّ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ وَتَتَلْمَذَ لَهُ، فَهُوَ أَشْهَرُ شُيُوخِهِ وَسَمِعَ مِنْهُ تَصَانِيفَهُ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيِّ، وَتَوَلَّى تَدْرِيسَ النَّحْوِ بِالنِّظَامِيَّةِ سِنِينَ، فَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ: حَسَنُ بْنُ الْبَاقِلَاوِيِّ الْحِلِّيُّ، وَالْمُوَفَّقُ عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنُ يُوسُفَ الْبَغْدَادِيُّ، وَالْمُنْتَخَبُ سَالِمُ ابْنُ أَبِي الصَّقْرِ الْعَرُوضِيُّ وَغَيْرُهُمْ. وَكَانَ — رَحِمَهُ اللهُ — قَلِيلَ الْحَظِّ مِنَ التَّلَامِذَةِ يَتَخَرَّجُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِيهِ كَيْسٌ[1] وَلِينٌ، وَكَانَ إِذَا جَلَسَ لِلدَّرْسِ يَقْطَعُ أَكْثَرَ وَقْتِهِ بِالْأَخْبَارِ وَالْحِكَايَاتِ وَإِنْشَادِ الْأَشْعَارِ حَتَّى يَسْأَمَ الطَّالِبُ وَيَنْصَرِفَ عَنْهُ وَهُوَ ضَجِرٌ وَيَنْقِمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُحْسِنُ بِكُلِّ لُغَةٍ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ

(١) الكيس : العقل والفطنة وحسن التأني في الأمور

وَالتُّرْكِيَّةِ ، وَالحَبَشِيَّةِ ، وَالرُّومِيَّةِ ، وَالأَرْمَنِيَّةِ ، وَالزِّنْجِيَّةِ ، فَكَانَ إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِ عَجَمِيٌّ وَاسْتَغْلَقَ عَلَيْهِ المَعْنَى بِالعَرَبِيَّةِ (١) فَهَّمَهُ إِيَّاهُ بِالعَجَمِيَّةِ عَلَى لِسَانِهِ ، وَكَانَ حَسَنَ التَّعْلِيمِ طَوِيلَ الرُّوحِ (٢) كَثِيرَ الاحْتِمَالِ لِلتَّلَامِذَةِ ، وَكَانَ شَاعِراً مُجِيداً ، أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ كَثِيراً مِنْ شِعْرِهِ . مِنْهُ فِي التَّجْنِيسِ :

وَلَوْ وَقَعَتْ فِي لُجَّةِ البَحْرِ قَطْرَةٌ
مِنَ المُزْنِ يَوْماً ثُمَّ شَاءَ لَمَازَهَا (٣)
وَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا فَأَضْحَى مُلُوكُهَا
عَبِيداً لَهُ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ مَا زَهَا (٤)

وَكَانَ قَدْ فُوِّضَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَبِي الفُتُوحِ بْنِ الوَزِيرِ عَضُدِ الدِّينِ بْنِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ أَمْرُ المَخْزَنِ المَعْمُورِ وَالأَعْمَالِ الَّتِي كَانَتْ مُفَوَّضَةً قَبْلَهُ إِلَى ابْنِ نَاصِرٍ فِي عَاشِرِ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ فِي بَابِ الحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ وَهُوَ مَوْضِعٌ لَا يُخْلَعُ فِيهِ إِلَّا عَلَى الوُزَرَاءِ ، وَرَكِبَ مِنْهُ وَالعَالَمُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَمْضِيَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَعَثَرَتْ بِهِ فَرَسُهُ وَسَقَطَ مِنْ عَلَيْهَا ثُمَّ رَكِبَهَا سَالِماً مِنْ سَاعَتِهِ ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ القَوْلَ فِي الطِّيَرَةِ (٥)

---

(١) استغلق عليه الخ استبهم وأشكل (٢) أى حليما (٣) لجة البحر : معظمه ، وقوله : لمازها : أى لميزها وفرزها وعزلها عن ماء البحر . (٤) ما زها : ما نافية ، وزها فعل ماض من الزهو : أى ماتكبر وأعجب بنفسه (٥) الطيرة : ما يتشاءم به من الفأل الردى.

مِنْ هَذَا ، فقَالَ الْوَجِيهُ وَأَنْشَدَنِيهِ لِنَفْسِهِ :

لَا تعْذلِ الفرَسَ الَّتِي عَثَرَتْ ... بِكَ أَمْسِ قَبْلَ سَمَاعِكَ الْعُذْرَا
قَالَتْ مَقَالًا لَوْ عَلِمْتَ بِهِ ... لَمْ تُولِهَا هَجْراً (١) وَلَا هُجْرَا
لَمَّا رَأَى الْأَمْلاكُ (٢) أَنَّ عَلَى ... سَرْجِي فَتًى أَعْلَى الْوَرَى قَدْرَا
رَفَعَتْ يَدِي حَتَّى تُقَبِّلَهَا ... شغَفًا بِهَا فوَهَتْ (٣) يَدِي الْأُخْرَى

ثُمَّ لَمْ يَلبَثِ الْمَذْكُورُ إِلَّا يَسِيراً حَتَّى عُزِلَ وَأُلْزِمَ بَيْتَهُ .

وَأَنْشَدَنِي الْوَجِيهُ أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

لَسْتُ أَسْتَقْبِحُ اقْتِضَاءَكَ (٤) بِالْوَعْـ ... ـدِ وَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَ الْكُرَمَاء
فَإِلَهُ السَّمَاءِ قَدْ ضَمِنَ الرِّزْ ... قَ عَلَيْهِ وَيُقْتَضَى بِالدُّعَاء

وَأَنْشَدَنِي الْوَجِيهُ أَيْضاً لِنَفْسِهِ فِي التَّجْنِيسِ :

لَا رَاحَ مُسْتَرْفِدِي جَذْلَانَ مِنْ صَفَدِي ... يَوْماً وَلَا عَزَّ بِي فِي مَشْهَدٍ جَارِي (٥)
إِنْ لَمْ تَكِبَّ عَلَى الْأَذْقَانِ أَوْجُهَهُمْ ... سُيُوفُ قَوْمِي بِسَيْلٍ مِنْ دَمٍ جَارِي (٦)

---

(١) الهجر بالفتح : القطيعة ، والهجر بالضم : القبيح من الكلام والافحاش فى النطق
(٢) الأملاك : الملائكة ، جمع ملك (٣) شغفا : حبا عظيما ، وهت : سقطت
(٤) اقتضاءك بالوعد : أى طلبي منك الوفاء بوعدك (٥) لا راح : لا صار ، ومسترفدى : طالب رفدى وعطائى ، وجذلان : فرحا ، من صفدى : من عطائى ، والمشهد : مكان حضور الناس ومجتمعهم . (٦) جارى الأولى فى البيت قبله : من الجوار بمعنى —

وَحَدَّثَنِى الْوَجِيهُ — رَحِمَهُ اللهُ — قَالَ : دَخَلتُ يَوْماً إِلَى فَخْرِ الدِّينِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الدَّوَّامِيِّ وَهُوَ مَنْ عَلِمْتُ أَدَباً وَفَضْلاً وَحُسْنَ بِشْرٍ وَكَرَمَ سَجِيَّةٍ ، فَجَلَسْنَا نَتَذَاكَرُ الشُّعَرَاءَ إِلَى أَنِ انْتَهَى بِنَا الْكَلَامُ إِلَى الْبُحْتُرِيِّ فَأَنْشَدَ قَوْلَهُ فِي الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ (١) مَا أَنْتَ قَائِلُهْ
وَأَبْدَى الْجَوَابَ الرَّبْعُ (٢) عَمَّا تُسَائِلُهْ

إِلَى قَوْلِهِ :

وَلَمَّا حَضَرْنَا سُدَّةَ الْإِذْنِ (٣) أُخِّرَتْ
رِجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِى أَنَا دَاخِلُهْ
بَدَا لِي مَحْمُودُ السَّجِيَّةِ شُمِّرَتْ
سَرَابِيلُهُ عَنْهُ وَطَالَتْ حَمَائِلُهْ (٤)
كَمَا انْتَصَبَ الرُّمْحُ الرُّدَيْنِيُّ ثُقِّفَتْ
أَنَابِيبُهُ لِلطَّعْنِ وَاهْتَزَّ عَامِلُهْ (٥)

— المجاور لى ، وقوله فى البيت الثانى : إن لم تكب على الأذقان الخ : أى إن لم تصرعهم سيوف قومي صرعا متلبسا بسيل من دمائهم الجارية ، بجارى الثانية صفة للدم من الجريان والسيولة ، وجواب الشرط محذوف دل عليه البيت الأول ، أى فلا راح الخ .

(١) أى صدى وترديد ما أنت قائله (٢) الربع : الدار ، (٣) سدة الاذن : الباب المأذون بالدخول منه (٤) بدا لى : ظهر لى ، ومحمود السجية : حميد الخصال ، وشمرت سرابيله ، رفعت ثيابه إلى فوق ، وطالت حمائله : أى علاقة سيفه ، يصفه بحسن الأخلاق والشجاعة والاقدام (٥) كما انتصب الرمح الردينى الخ : يشبهه فى وقوفه بالرمح الردينى — المنسوب إلى إمرأة تدعى ردينة اشتهرت هى وزوجها سمهر بتقويم الرماح — وقوله : ثقفت أنابيبه الخ : أى قومت وسويت ، وعامل الرمح : صدره : أى عند تهيئه الطعن .

فَكَالبَدْرِ وَافَتْهُ لِوَقْتٍ (١) سُعُودُهُ
وَتَمَّ سَنَاهُ وَاسْتُهِلَّتْ مَنَازِلُهْ

فَسَلَّمْتُ وَاعْتَاقَتْ جَنَانِي هَيْبَةٌ
تُنَازِعُنِي القَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهْ (٢)

فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَانْثَنَى
إِلَيَّ بِبِشْرٍ آنَسَتْنِي مَخَايِلُهْ (٣)

دَنَوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدَى مِنْ يَدِ امْرِئٍ
جَمِيلٍ مُحَيَّاهُ سِبَاطٍ أَنَامِلُهْ (٤)

صَفَتْ مِثْلَ مَا يَصْفُو المُدَامُ خِلَالُهُ
وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهْ (٥)

فَهَشَّ الجَمِيعُ وَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَصِفُ حُسْنَ أَلْفَاظِهَا وَرَشَاقَةَ مَعَانِيهَا وَجَوْدَةَ مَقَاصِدِهَا، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: هَذَا هُوَ السَّهْلُ المُمْتَنِعُ، وَالفَضْلُ المُتَّسِعُ، وَالدِّيبَاجُ الخُسْرَوَانِيُّ (٦)، وَالزَّهْرُ الأَنِيقُ، وَأَطْنَبُوا فِي ذَلِكَ وَحَقَّ لَهُمْ فَقُلْتُ ارْتِجَالًا:

لِمَنْ تُنْظَمُ الأَشْعَارُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ
سَوَاسِيَةٌ (٧) إِلَّا امْرُؤٌ أَنَا جَاهِلُهْ؟

(١) جاء بهامش الأصل «فى الديوان ١ — ٣٣ لتم» (٢) اعتاقت جنانى الخ: عاقته ووقفت فى سبيله (٣) مخايله: ملامحه جمع مخيلة (٤) محياه: وجهه — سباط أنامله: طوال أصابعه، كناية عن الكرم (٥) خلاله: خصاله، وشمائله: أخلاقه
(٦) الخسروانى المنسوب إلى خسراوية: بلدة قرب واسط شهرت بصنع الديباج المذكور. (٧) أى متساوون

وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ اللُّهَى تَفْتَحُ اللَّهَا
دَرَوْا أَنَّ ذَا الشِّعْرَ ابْنُ خَاقَانَ قَائِلُهْ[(١)]

وَكَانَ الْوَجِيهُ قَدِ الْتَزَمَ سَمَاحَةَ الْأَخْلَاقِ وَسَعَةَ الصَّدْرِ ، فَكَانَ لَا يَغْضَبُ مِنْ شَيْءٍ وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ حَرْدَانَ[(٢)] وَشَاعَ ذَلِكَ عَنْهُ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ بَعْضَ الْحُرَفَاءِ[(٣)] فَقَالَ : لَيْسَ لَهُ مَنْ يُغْضِبُهُ وَلَوْ أُغْضِبَ لَمَا غَضِبَ[(٤)] وَخَاطَرُوهُ عَلَى أَنْ يُغْضِبَهُ ، فَجَاءَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ نَحْوِيَّةٍ ، فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ بِأَحْسَنِ جَوَابٍ وَدَلَّهُ عَلَى مَحَجَّةِ الصَّوَابِ[(٥)] فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، فَأَعَادَ الشَّيْخُ الْجَوَابَ بِأَلْطَفَ مِنْ ذَلِكَ الْخِطَابِ ، وَسَهَّلَ طَرِيقَتَهُ وَبَيَّنَ لَهُ حَقِيقَتَهُ فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، وَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّكَ تَعْرِفُ النَّحْوَ وَيُهْتَدَى بِكَ فِي الْعُلُومِ ، وَهَذَا مَبْلَغُ مَعْرِفَتِكَ ؟ فَلَاطَفَهُ وَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ لَعَلَّكَ لَمْ تَفْهَمِ الْجَوَابَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أُعِيدَ الْقَوْلَ عَلَيْكَ بِأَبْيَنَ مِنَ الْأَوَّلِ فَعَلْتُ ، قَالَ لَهُ : كَذَبْتَ ، لَقَدْ فَهِمْتُ

(١) اللهى بالضم : العطايا ، جمع لهية : وهى العطية : واللهى بالفتح جمع لهاة : وهي اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم — يعنى أن العطاء يشحذ الذهن ويدر ملكة الشعر . (٢) حردان : غضبان (٣) كانت فى هذا الأصل : « الخلفاء » وصوابه : الحرفاء : جمع حريف : وهو الرجل حورف كسبه ، أى شدد عليه فى معاشه كما نبه هامش الأصل (٤) كانت فى الأصل : « ولو أغضب لغضب » وأراه ليس بشىء ، والذى نراه كما ذكرنا ، وخاطروه : راهنوه على مال (٥) محجة الصواب : طريقه

مَا قُلْتَ ، وَلَـكِنْ لِجَهْلِكَ تَحْسَبُ أَنِّي لَمْ أَفْهَمْ ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ وَهُوَ يَضْحَكُ : قَدْ عَرَفْتُ مُرَادَكَ وَوَقَفْتُ عَلَى مَقْصُودِكَ ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا وَقَدْ غُلِبْتَ ، فَأَدِّ مَا بَايَعْتَ عَلَيْهِ ، فَلَسْتَ بِالَّذِي تُغْضِبُنِي أَبَدًا . وَبَعْدُ يَا بُنَيَّ فَقَدْ قِيلَ : إِنَّ بَقَّةً جَلَسَتْ عَلَى ظَهْرِ فِيلٍ فَلَمَّا أَرَادَتْ أَنْ تَطِيرَ قَالَتْ لَهُ : اسْتَمْسِكْ فَإِنِّي أُرِيدُ الطَّيَرَانَ ، فَقَالَ لَهَا الْفِيلُ : وَاللهِ يَا هَـذِهِ مَا أَحْسَسْتُ بِكِ لَمَّا جَلَسْتِ ، فَـكَيْفَ أَسْتَمْسِكُ إِذَا أَنْتِ طِرْتِ ؟ وَاللهِ يَا وَلَدِي مَا تُحْسِنُ أَنْ تَسْأَلَ ، وَلَا تَفْهَمُ الْجَوَابَ ، فَـكَيْفَ أَسْتَفِيدُ مِنْكَ ؟

وَحَدَّثَنِي مُحِبُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ النَّجَّارِ قَالَ : حَضَرَ الْوَجِيهُ النَّحْوِيُّ بِدَارِ الْـكُتُبِ الَّتِي بِرِبَاطِ الْمَأْمُونِيَّةِ ، وَخَازِنُهَا يَوْمَئِذٍ أَبُو الْمَعَالِي أَحْمَدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ ، فَجَرَى حَدِيثُ الْمَعَرِّيِّ فَذَمَّهُ الْخَازِنُ وَقَالَ : كَانَ عِنْدِي فِي الْخِزَانَةِ كِتَابٌ مِنْ تَصَانِيفِهِ فَغَسَلْتُهُ [1] ، فَقَالَ لَهُ الْوَجِيهُ : وَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ هَذَا الْـكِتَابُ ؟ قَالَ : كَانَ كِتَابَ نَقْضِ الْقُرْآنِ [2] . فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ فِي غَسْلِهِ ، فَعَجِبَ الْجَمَاعَةُ مِنْهُ وَتَغَامَزُوا عَلَيْهِ [3] وَاسْتَشَاطَ ابْنُ هِبَةِ اللهِ [4] وَقَالَ لَهُ : مِثْلُكَ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذَا ؟ قَالَ نَعَمْ ،

(١) فغسلته : أى محوت كتابته بالماء (٢) أى مخالفته والاتيان بما يخالفه

(٣) وتغامزوا عليه : أشار بعضهم إلى بعض بأعينهم تصغيراً لشأنه وطعنا عليه

(٤) أى التهب غضبا

لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكِتَابُ مِثْلَ الْقُرْآنِ أَوْ خَيْرًا مِنْهُ أَوْ دُونَهُ ، فَإِنْ كَانَ مِثْلَهُ أَوْ خَيْرًا مِنْهُ وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ ، فَلَا يَجِبُ أَنْ يُفَرَّطَ فِي مِثْلِهِ ، وَإِنْ كَانَ دُونَهُ وَذَلِكَ مَا لَا شَكَّ فِيهِ فَتَرْكُهُ مُعْجِزَةٌ(١) لِلْقُرْآنِ فَلَا يَجِبُ التَّفْرِيطُ فِيهِ ، فَاسْتَحْسَنَ الْجَمَاعَةُ قَوْلَهُ وَوَافَقَهُ ابْنُ هِبَةِ اللهِ عَلَى الْحَقِّ وَسَكَتَ .

وَكَانَ الْوَجِيهُ — رَحِمَهُ اللهُ — حَنْبَلِيًّا ثُمَّ صَارَ حَنَفِيًّا ، فَلَمَّا دَرَّسَ النَّحْوَ بِالنِّظَامِيَّةِ صَارَ شَافِعِيًّا ، فَقَالَ فِيهِ الْمُؤَيَّدُ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ التَّكْرِيتِيُّ ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ وَكَانَ أَحَدَ تَلَامِذَتِهِ ، وَسَمِعْتُهُ مِنْ لَفْظِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ :

أَلَا مُبْلِغٌ عَنِّي الْوَجِيهَ رِسَالَةً
وَإِنْ كَانَ لَا تُجْدِي إِلَيْهِ الرَّسَائِلُ
تَمَذْهَبْتَ لِلنُّعْمَانِ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ
وَذَلِكَ لَمَّا أَعْوَزَتْكَ الْمَآكِلُ(٢)
وَمَا اخْتَرْتَ دِينَ الشَّافِعِيِّ تَدَيُّنًا
وَلَكِنَّمَا تَهْوَى الَّذِي هُوَ حَاصِلُ

---

(١) أى إظهار لاعجاز القرآن وتحديه (٢) تمذهبت الخ : صرت على مذهب أبى حنيفة النعمان — رضى الله عنه — وأعوزتك المآكل : أى احتجت إليها فلم تقدر عليها إلا بهذا المذهب ، والمآكل : الولائم

وَعمَّا قَلِيـلٍ أَنْتَ لَا شَكَّ صَائِرٌ

إِلَى مَالِكٍ (١) فَافْطِنْ لِمَا أَنَا قَائِلُ

وَأَنْشَدَنِى الْوَجِيهُ لِنَفْسِهِ فِى التَّجْنِيس

أَطلْتَ مَلَامِى فِى اجْتِنَابِى لِمَعْشَرٍ

طَغَامٍ لِئَامٍ جُودُهُمْ غَيْرُ مُرْتَجَى (٢)

تَرَى بَابَهُمْ – لَا بَارَكَ اللهُ فِيهِمُ –

عَلَى طَالِبِ الْمَعْرُوفِ إِنْ جَاءَ مُرْتَجَا (٣)

حَمَوْا مَالَهُمْ وَالدِّينُ وَالْعِرْضُ مِنْهُمُ

مُبَاحٌ فَمَا يَخْشَوْنَ مِنْ هَجْوِ مَنْ هَجَا (٤)

إِذَا شَرَعَ الْأَجْوَادُ فِى الْجُودِ مَنْهَجًا

لَهُمْ شَرَعُوا فِى الْبُخْلِ سَبْعِينَ مَنْهَجَا

وَأَنْشَدَنِى الْوَجِيهُ النَّحْوِىُّ لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ أَبَا الْفَضْلِ مَسْعُودَ ابْنَ جَابِرٍ صَاحِبَ الْمَخْزَن

مَا مَرَّ يَوْمٌ وَلَا شَهْرٌ وَلَا عِيدُ

فَاخْضَرَّ فِيهِ لَنَا مِنْ وَصْلِكُمْ عُودُ (٥)

---

(١) يريد مالكا خازن النار تورية (٢) الطغام: أوغاد الناس، يستوى فيه الواحد والجمع، وغير مرتجى: غير مأمول (٣) أى مقفلا، يعنى يغلقون بابهم دون سائلهم لبخلهم (٤) حموا مالهم: صانوه وضنوا به، مع إباحة دينهم وعرضهم للسب والذم لمنعهم الصدقة، والعرض بالكسر: موضع الذم والمدح من الانسان.

(٥) واحد الأعواد

عُودُوا تَعُدْ بِكُمُ الْأَيَّامُ مُشْرِقَةً
وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَفِي الْأَسْقَامِ لِي عُودُوا [1]
كَمْ ذَا التَّجَنِّي وَكَمْ هَذَا الصُّدُودُ صِلُوا؟
مَنْ حَظُّهُ مِنْكُمُ هَمٌّ وَتَسْهِيدُ [2]؟؟
لَوْ تَسْأَلُوا كَيْفَ حَالِي بَعْدَ بُعْدِكُمُ؟
فَالْحَالُ شَاهِدَةٌ وَالسُّقْمُ مَشْهُودُ
لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالْآمَالِ مِتُّ أَسًى
يَفْنَى الزَّمَانُ وَمَا تَفْنَى الْمَوَاعِيدُ
وَلَوْ شَكَوْتُ الَّذِي أَلْقَى بِحُبِّكُمُ
إِلَى الْجَلَامِيدِ رَقَّتْ لِيَ الْجَلَامِيدُ
يَا هَذِهِ مَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنْ وَلَهِي
كَأَنَّمَا حَاجِبِي بِالْجَفْنِ مَعْقُودُ
قَلَّ اصْطِبَارِي وَزَادَ الْوَجْدُ بِي فَأَنَا
بِكِ الشَّقِيُّ وَغَيْرِي مِنْكِ مَسْعُودُ
تَلَذُّ فِي حُبِّكِ الْأَيَّامُ لِي وَأَرَى التَّـ
ـعْذِيبَ عَذْبًا بِهِ وَالْقَلْبُ مَجْهُودُ

---

(١) عودوا الأولى: من العود إلى الشيء والرجوع إليه بعد تركه، والثانية: من عيادة المريض وزيارته. (٢) التجنى: ادعاء ذنب على من لم يفعله، والتسهيد: عدم النوم

كَأَنَّكَ الْمَجْدُ أَوْ بَذْلُ النَّـدَى وَأَنَا
فِى فَرْطِ حُبِّـكِ نَخْرُ الدِّينِ مَسْعُودُ
مَوْلًى إِذَا السُّحْبُ ضَنَّتْ بِالْحَيَا فَلَهُ
فِى الْخَلْقِ بَحْرٌ عَظِيمُ الرِّىِّ مَوْرُودُ

وَلَهُ مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ فِى ابْنِ جَابِرٍ أَيْضاً :

يَامَنْ أَقَامَ قِيَـامَتِي بِقَوَامِهِ
وَأَطَالَ تَعْذِيبِي بِطُولِ مِطَالِهِ [1]
أَمِطِ اللِّثَامَ عَنِ الْعِذَارِ تَقُمْ بِهِ
عِنْدَ الْعَذُولِ عَلَيْكَ عُذْرَ الْوَالِهِ [2]
وَارْفُقْ بِبَالٍ فِى هَوَاكَ مُعَذَّبٍ
بِجَفَاكَ مَا خَطَرَ السُّلُوُّ بِبَالِهِ [3]
طُبِعَ الْحَبِيبُ عَلَى الْمَلَالِ وَلَيْتَهُ
يَوْماً يَمِيلُ إِلَى مَلَالِ مَلَالِهِ [4]
لَوْ كُنْتَ تَسْمَعُ مَا أَقُولُ وَقَوْلَهُ
لَعَجِبْتَ مِنْ ذُلِّى لَهُ وَدَلَالِهِ [5]

---

(١) المطال : المماطلة والتسويف بوفاء الوعد مرة بعد أخرى — يقول : يامن أحيانى وبعث فىَّ الروح بحسن قوامه ورشاقته ثم ماطلنى فى وصله فأطال تعذيبى

(٢) اللثام من النقاب : ما كان على الفم ، والعذار : جانبا اللحية ، والواله : المحب الولهان

(٣) بال الأولى : من البلى ، والبال الثانية : بمعنى الخاطر والفكر (٤) الملال بالفتح فى المواضع الثلاثة : بمعنى السآمة والضجر . (٥) الدلال : التيه والتدلل والتكبر

شَدَّ الرِّحَالَ فَحَلَّ عَقْدَ تَصَبُّرِي لَمَّا سَرَتْ أَجْمَالُهُ بِجَمَالِهِ (١)

أَنْشَدَنِي الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ النَّجَّارِ صَدِيقُنَا ـ حَرَسَهُ اللهُ ـ قَالَ: أَنْشَدَنِي شَيْخُنَا الْوَجِيهُ النَّحْوِيُّ لِنَفْسِهِ:

أَرْفَعُ الصَّوْتَ إِنْ مَرَرْتُ بِدَارٍ أَنْتِ فِيهَا إِذْ مَا إِلَيْكِ وُصُولُ
وَأُحَيِّي مَنْ لَيْسَ عِنْدِي بِأَهْلٍ أَنْ يُحَيَّا كَيْ تَسْمَعِي مَا أَقُولُ

وَكَانَ مُلَازِماً لِدَارِ الْوَزِيرِ عَضُدِ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ وَيَبِيتُ وَيُصْبِحُ يُقْرِئُ أَهْلَهُ وَنَالَ مِنْ جِهَتِهِ ثَرْوَةً، فَحَدَّثَنِي عِزُّ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِالسَّرْخَسِيِّ النَّحْوِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْوَجِيهُ قَالَ: اُقْتَرَحَتْ عَلَيَّ بَعْضُ حَظَايَا الْوَزِيرِ أَنْ أَعْمَلَ أَبْيَاتاً تَكْتُبُهَا عَلَى قَمِيصٍ أَصْفَرَ فَعَمِلْتُ (٢):

اُنْظُرْ إِلَى لَابِسِي وَاُنْظُرْ إِلَيَّ وَكُنْ
مِنْ مِثْلِ مَا حَلَّ بِي مِنْهُ عَلَى خَطَرِ
هٰذَا اُصْفِرَارِي يَرَاهُ النَّاظِرُونَ وَمَا
فِي الْقَلْبِ مِنْ حُبِّهِ يَخْفَى عَلَى الْبَصَرِ
أَمُوتُ فِي خَلْعِهِ بِاللَّيْلِ لِي كَمَداً
لَوْلَا اُنْتِظَارُ وِصَالٍ مِنْهُ فِي السَّحَرِ

---

(١) شد الرحال: كناية عن الفراق، وقوله: فحل عقد تصبرى الخ من الحل: أى فأزال ما عندى من تكلف الصبر حين رأيت أجماله «جمع جمل» تسير به راحلة عنى، وجماله: حسنه ورشاقته (٢) عن لسان القميص

أَقُولُ مُجِيبًا إِذَا مَا رَامَ يَلْبَسُنِي
مَا كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَعْلُو عَلَى الْقَمَرِ

وَنَقَشْتُهَا عَلَى الْقَمِيصِ وَرَآهُ الْوَزِيرُ عَلَيْهَا، فَنِلْتُ مِنْهُ بِذَلِكَ السَّبَبِ خَيْراً كَثِيراً.

﴿ ٢٣ — الْمُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ * ﴾

المبارك بن محمد الشيباني

ابْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الشَّيْبَانِيُّ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُلَقَّبُ بِمَجْدِ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَثِيرِ، وَالْأَثِيرُ هُوَ أَبُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ مِنْ أَهْلِ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ. مَاتَ فِيمَا حَدَّثَنِي بِهِ أَخُوهُ عِزُّ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَلْخِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّمَائَةٍ قَالَ: وَمَوْلِدُهُ فِي أَحَدِ الرَّبِيعَيْنِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ بِالْجَزِيرَةِ، وَانْتَقَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا وَسَيِّداً كَامِلًا، قَدْ جَمَعَ بَيْنَ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْحَدِيثِ وَشُيُوخِهِ وَصِحَّتِهِ وَسُقْمِهِ وَالْفِقْهِ وَكَانَ شَافِعِيًّا، وَصَنَّفَ فِي كُلِّ ذَلِكَ تَصَانِيفَ هِيَ مَشْهُورَةٌ بِالْمَوْصِلِ وَغَيْرِهِ. حَدَّثَنِي أَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: قَرَأَ أَخِي الْأَدَبَ عَلَى نَاصِحِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ سَعِيدِ

(*) ترجم له في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج أول. وترجم له أيضاً في كتاب بغية الوعاة.

ابْنِ الدَّهَّانِ الْبَغْدَادِيِّ ، وَأَبِي بَكْرٍ يَحْيَى بْنِ سَعْدُونَ الْمَغْرِبِيِّ الْقُرْطُبِيِّ ، وَأَبِي الْحَزْمِ مَكِّيِّ بْنِ الرَّيَّانِ بْنِ شَبَّةَ الْمَاكِسِيِّ النَّحْوِيِّ الضَّرِيرِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ بِالْمَوْصِلِ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمُ الْخَطِيبُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الطُّوسِيِّ وَغَيْرُهُ ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ حَاجًّا فَسَمِعَ بِهَا مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ صَاحِبِ ابْنِ الْخَلِّ ، وَعَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ سُكَيْنَةَ ، وَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَرَوَى بِهَا وَصَنَّفَ ، وَوَقَفَ دَارَهُ عَلَى الصُّوفِيَّةِ وَجَعَلَهَا رِبَاطًا .

وَحَدَّثَنِي أَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : تَوَلَّى أَخِي أَبُو السَّعَادَاتِ الْخِزَانَةَ لِسَيْفِ الدِّينِ الْغَازِي بْنِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ ثُمَّ وَلَّاهُ دِيوَانَ الْجَزِيرَةِ وَأَعْمَالِهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَنَابَ فِي الدِّيوَانِ عَنِ الْوَزِيرِ جَلَالِ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ مَنْصُورٍ الْأَصْبَهَانِيِّ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِمُجَاهِدِ الدِّينِ قَايْمَازَ بِالْمَوْصِلِ أَيْضًا فَنَالَ عِنْدَهُ دَرَجَةً رَفِيعَةً ، فَلَمَّا قُبِضَ عَلَى مُجَاهِدِ الدِّينِ اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ أَتَابَكَ عِزِّ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودٍ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ عِزُّ الدِّينِ فَاتَّصَلَ بِخِدْمَةِ وَلَدِهِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانَ شَاه ، فَصَارَ وَاحِدَ دَوْلَتِهِ حَقِيقَةً بِحَيْثُ إِنَّ السُّلْطَانَ كَانَ يَقْصِدُ مَنْزِلَهُ فِي مُهِمِّ نَفْسِهِ لِأَنَّهُ أُقْعِدَ[1] فِي آخِرِ زَمَانِهِ فَكَانَتِ

(١) أقعد فلان على المجهول : أصابه داء فى جسده لا يستطيع معه المشى .

الحَرَكَةُ تَصْعُبُ عَلَيْهِ فَكَانَ يَجِيئُهُ بِنَفْسِهِ ، أَوْ يُرْسِلُ إِلَيْهِ بَدْرَ الدِّينِ لُؤْلُؤَ الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ أَمِيرُ الْمَوْصِلِ .

وحَدَّثَنِي أَخُوهُ الْمَذْكُورُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَخِي أَبُو السَّعَادَاتِ قَالَ : لَقَدْ أَلْزَمَنِي نُورُ الدِّينِ بِالْوَزَارَةِ غَيْرَ مَرَّةٍ وَأَنَا أَسْتَعْفِيهِ حَتَّى غَضِبَ مِنِّي وَأَمَرَ بِالتَّوْكِيلِ بِي (١) قَالَ : فَجَعَلْتُ أَبْكِي فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَجَاءَنِي وَأَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَالَ لِي : أَبَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى هَذَا ؟ مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ خَلَقَ اللهُ يَكْرَهُ مَا كَرِهْتَ . فَقُلْتُ : أَنَا يَا مَوْلَانَا رَجُلٌ كَبِيرٌ وَقَدْ خَدَمْتُ الْعِلْمَ عُمْرِي ، وَاشْتَهَرَ ذَلِكَ عَنِّي فِي الْبِلَادِ بِأَسْرِهَا ، وَأَعْلَمُ أَنِّي لَوِ اجْتَهَدْتُ فِي إِقَامَةِ الْعَدْلِ بِغَايَةِ جُهْدِي مَا قَدَرْتُ أُؤَدِّي حَقَّهُ ، وَلَوْ ظُلِمَ أَكَّارٌ (٢) فِي ضَيْعَةٍ مِنْ أَقْصَى أَعْمَالِ السُّلْطَانِ لَنُسِبَ ظُلْمُهُ إِلَيَّ ، وَرَجَعْتَ أَنْتَ وَغَيْرُكَ بِاللَّائِمَةِ عَلَيَّ ، وَالْمُلْكُ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِالتَّسَمُّحِ فِي الْعَسْفِ (٣) وَأَخْذِ هَذَا الْخَلْقِ بِالشِّدَّةِ ، وَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فَأَعْفَاهُ ، وَجَاءَنَا إِلَى دَارِنَا يُخْبِرُنَا بِالْحَالِ . فَأَمَّا وَالِدُهُ وَأَخُوهُ فَلَامَاهُ عَلَى الِامْتِنَاعِ فَلَمْ يُؤَثِّرِ اللَّوْمُ عِنْدَهُ أَسَفًا ، وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ بِتَفَاصِيلِهَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ مَعْنَاهَا .

وَحَدَّثَنِي عِزُّ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَخِي أَبُو السَّعَادَاتِ

(١) أى بإقامة وكيل لى (٢) الأكار : الحراث (٣) أى التساهل فيه

— رَحِمَهُ اللهُ — قَالَ: كُنْتُ أَشْتَغِلُ بِعِلْمِ الْأَدَبِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ سَعِيدِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ الدَّهَّانِ النَّحْوِيِّ الْبَغْدَادِيِّ بِالْمَوْصِلِ، وَكَانَ كَثِيراً مَا يَأْمُرُنِي بِقَوْلِ الشِّعْرِ وَأَنَا أَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ رَأَيْتُ الشَّيْخَ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَأْمُرُنِي بِقَوْلِ الشِّعْرِ فَقُلْتُ لَهُ: ضَعْ لِي مِثَالاً أَعْمَلُ عَلَيْهِ فَقَالَ:

جُبِ الْفَلَا مُدْمِناً إِنْ فَاتَكَ الظَّفَرُ
وَخُدَّ خَدَّ الثَّرَى وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ(1)

فَقُلْتُ أَنَا:

فَالْعِزُّ فِي صَهَوَاتِ الْخَيْلِ مَرْكَبُهُ
وَالْمَجْدُ يُنْتِجُهُ الْإِسْرَاءُ(2) وَالسَّهَرُ

فَقَالَ لِي: أَحْسَنْتَ، هَكَذَا فَقُلْ، فَاسْتَيْقَظْتُ فَأَتْمَمْتُ عَلَيْهَا نَحْوَ الْعِشْرِينَ بَيْتاً.

وَحَدَّثَنِي عِزُّ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: كَتَبَ أَخِي أَبُو السَّعَادَاتِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ فِي صَدْرِ كِتَابٍ وَالشِّعْرُ لَهُ:

وَإِنِّي لَمُهْدٍ عَنْ حَنِينٍ مُبَرِّحٍ(3)
إِلَيْكَ عَلَى الْأَقْصَى مِنَ الدَّارِ وَالْأَدْنَى

---

(1) جب الفلا: اقطع الصحراء، ومدمناً: دائباً غير متوان، وخد خد الثرى: شق الأرض شقا بسيرك المتواصل، والليل معتكر: مختلط الظلام كأنه كر بعضه على بعض (2) صهوات الخيل: مواضع قعود الفوارس منها جمع صهوة، والاسراء: السير ليلا (3) حنين مبرح: شوق مجهد مضن، والأدنى: القريب

وَإِنْ كَانَتِ الْأَشْوَاقُ تَزْدَادُ كُلَّمَا
تَنَاقَصَ بُعْدُ الدَّارِ وَاُقْتُرِبَ الْمَغْنَى
سَلَاماً كَنَشْرِ الرَّوْضِ بَاكَرَهُ الْحَيَا
وَهَبَّتْ عَلَيْهِ نَسْمَةُ السَّحَرِ الْأَعْلَى (١)
نَجَاءَ بِمِسْكِيٍّ الْهَوَا مُتَحَلِّياً
بِبَعْضِ سَجَايَا ذَلِكَ الْمَجْلِسِ الْأَسْمَى (٢)

وَأَنْشَدَنِي عِزُّ الدِّينِ قَالَ: أَنْشَدَنِي أَخِي مَجْدُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ لِنَفْسِهِ:

عَلَيْكَ سَلَامٌ فَاحَ مِنْ نَشْرِ طِيبِهِ
نَسِيمٌ تَوَلَّى بَثَّهُ الرَّنْدُ وَالْبَانُ (٣)
وَجَازَ عَلَى أَطْلَالِ مَيٍّ عَشِيَّةً
وَجَادَ عَلَيْهِ مُغْدِقُ الْوَبْلِ هَتَّانُ (٤)
تَحَمَّلَتْهُ شَوْقاً حَوَتْهُ ضَمَائِرِي
تَمِيدُ لَهُ أَعْلَامُ رَضْوَى وَلُبْنَانُ (٥)

وَاُسْتَنْشَدْتُهُ شَيْئاً آخَرَ مِنْ شِعْرِهِ فَقَالَ: كَانَ أَخِي قَلِيلَ

---

(١) باكره الخ : بادره المطر الخفيف ، ونسمة السحر الأعلى : نسيم أول السحر
(٢) أى المجلس الأعلى : يريد به صديقه (٣) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية ، ويطلق على العود والآس ، والبان : شجر لحب ثمره دهن طيب الرائحة
(٤) الأطلال : ما بقى من آثار الديار ، ومي : اسم عشيقته ، ومغدق الوبل : ساح المطر ، والهتان : الغزير المنصب (٥) رضوى : جبل بالمدينة ، ولبنان : جبل بالشام

الشِّعْرِ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ تِلْكَ الْعِنَايَةُ ، وَمَا أَعْرِفُ الْآنَ لَهُ غَيْرَ هٰذَا . فَقُلْتُ لَهُ : فَأَمْلِ عَلَيَّ تَصَانِيفَهُ ، فَأَمْلَى عَلَيَّ : كِتَابَ الْبَدِيعِ فِي النَّحْوِ نَحْوُ الْأَرْبَعِينَ كُرَّاسَةً ، وَقَفَنِي [1] عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ بَدِيعًا كَاسْمِهِ سَلَكَ فِيهِ مَسْلَكًا غَرِيبًا ، وَبَوَّبَهُ تَبْوِيبًا عَجِيبًا ، كِتَابَ الْبَاهِرِ فِي الْفُرُوقِ فِي النَّحْوِ أَيْضًا ، كِتَابَ تَهْذِيبِ فُصُولِ ابْنِ الدَّهَّانِ ، كِتَابَ الْإِنْصَافِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابَ الشَّافِي وَهُوَ شَرْحُ مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ أَبْدَعَ فِي تَصْنِيفِهِ ، فَذَكَرَ أَحْكَامَهُ وَلُغَتَهُ وَنَحْوَهُ وَمَعَانِيَهُ نَحْوُ مِائَةِ كُرَّاسَةٍ ، كِتَابَ غَرِيبِ الْحَدِيثِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ [2] أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابَ جَامِعِ الْأُصُولِ فِي أَحَادِيثِ الرَّسُولِ عَشْرُ مُجَلَّدَاتٍ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَالْمُوَطَّإِ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ وَالتِّرْمِذِيِّ عَمِلَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، وَشَرَحَ غَرِيبَ الْأَحَادِيثِ وَمَعَانِيَهَا وَأَحْكَامَهَا وَوَصَفَ رِجَالَهَا ، وَنَبَّهَ عَلَى جَمِيعِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهَا .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : أَقْطَعُ قَطْعًا أَنَّهُ لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ قَطُّ وَلَا يُصَنَّفُ ، وَلَهُ رَسَائِلُ فِي الْحِسَابِ مُجَدْوَلَاتٌ [3] ، كِتَابَ

---

(١) وقفني عليه : ثبتني عليه وأطلعني (٢) بهامش الأصل : « هو كتاب النهاية المطبوع في مصر » (٣) أي مقسمة إلى جداول لتسهيل تناولها وفهمها .

دِيوانُ رَسَائِلِهِ ، وكِتَابُ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ وَالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَذْوَاءِ وَالذَّوَاتِ (١) مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الْمُخْتَارِ فِي مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

﴿ ٢٤ مُبَشِّرُ بْنُ فَاتِكٍ أَبُو الْوَفَاءِ الْأَمِيرُ * ﴾

مبشر بن فاتك الأمير

أَحَدُ أُدَبَاءِ مِصْرَ الْعَارِفِينَ بِالْأَخْبَارِ وَالتَّوَارِيخِ الْمُصَنِّفِينَ فِيهَا ، وَكَانَ فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ وَالْمُسْتَنْصِرِ. وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ سِيرَةِ الْمُسْتَنْصِرِ ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ . وَلَهُ تَوَالِيفُ فِي عُلُومِ الْأَوَائِلِ ، وَمَلَكَ مِنَ الْكُتُبِ مَالَا يُحْصَى عَدَدُهُ كَثْرَةً .

﴿ ٢٥ – مُجَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ * ﴾

مجالد بن سعيد الهمدانى

رَوَى عَنِ الشَّعْبِيِّ فَأَكْثَرَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ، مَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ ، وَكَانَ رَاوِيَةً لِلْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ وَالْأَشْعَارِ ، وَهُوَ عِنْدَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ضَعِيفٌ .

﴿ ٢٦ – مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ الْقَارِئُ * ﴾

مجاهد بن جبير

وَقِيلَ مُجَاهِدُ بْنُ جُبَيْرٍ (٢) مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ ، وَقِيلَ

---

(١) بهامش الاصل : « هو كتاب المرصع » ، والأذواء : الأصحاب ، جمع ذا ، والذوات : الصاحبات جمع ذات (٢) وهو الأصح .

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

(*) ترجم له فى فهرست ابن النديم ص ١٣٣

(*) ترجم له فى طبقات القراء ج ثان ص ٤١

مَوْلَى قَيْسِ بْنِ السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ يُكْنَى أَبَا الْحَجَّاجِ ، مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ عَنْ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ . سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَجَابِرًا وَأَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَأَبَا رَيْحَانَةَ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ وَغَيْرَهُمْ . أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، وَقَرَأَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ . رَوَى عَنْهُ الْأَعْمَشُ وَاللَّيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَالْحَكَمُ وَمَنْصُورُ بْنُ نَجِيحٍ وَغَيْرُهُمْ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : عَرَضْتُ الْقُرْآنَ[١] عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثِينَ عَرْضَةً . قَالَ مُجَاهِدٌ : وَكُنْتُ أَصْحَبُ ابْنَ عُمَرَ فِي السَّفَرِ فَكُنْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَرْكَبَ يَأْتِينِي فَيُمْسِكُ رِكَابِي ، فَإِذَا رَكِبْتُ سَوَّى عَلَيَّ ثِيَابِي . قَالَ[٢] مُجَاهِدٌ : فَجَاءَنِي مَرَّةً فَكَأَنِّي كَرِهْتُ ذَلِكَ فَقَالَ يَا مُجَاهِدُ : إِنَّكَ ضَيِّقُ الْخُلُقِ ، نَقَلْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ كِتَابِ الْأَمَالِي لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ السَّمْعَانِيِّ .

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : انْطَلَقَ غُلَامٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِفَخٍّ فَنَصَبَهُ مُنْتَبِذًا عَنِ الطَّرِيقِ ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ قَرِيبًا مِنْهُ وَأَنْطَقَ اللهُ الْعُصْفُورَ

(١) عرضت القرآن : قرأته عن ظهر القلب (٢) بالأصل : « جاء بدل قال » ولا معنى له .

وَأَفْهَمَ الفَخَّ فقَالَ العُصْفُورُ : مَالِى أَرَاكَ مُنْتَبِذاً عَنِ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ : اعْتَزَلْتُ شُرُورَ النَّاسِ . قَالَ : فَمَالِى أَرَاكَ نَحِيفاً ؟ قَالَ : أَنْهَكَتْنِي العِبَادَةُ . قَالَ : فَمَا هَذِهِ الْحَبَّةُ فِى فِيكَ ؟ قَالَ : أَرْصُدُ[١] بِهَا مِسْكِيناً أَوِ ابْنَ سَبِيلٍ . قَالَ : فَأَنَا مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ ، قَالَ : فَدُونَكَهَا[٢] . قَالَ : فَوَثَبَ العُصْفُورُ فَأَخَذَ الْحَبَّةَ فَوَثَبَ الفَخُّ فَوَقَعَ فِى عُنُقِهِ ، فَجَعَلَ العُصْفُورُ يَقُولُ : عِيقْ عِيقْ ، وَعِزَّةِ رَبِّى لَا غَرَّنِى بَعْدَهَا قَارِىءٌ مُرَاءٍ[٣] أَبَداً .

قَالَ مُجَاهِدٌ : وَهَذَا مَثَلُ قَرَّائِينَ مُرَائِينَ يَكُونُونَ آخِرَ الزَّمَانِ .

وَذَكَرَ ابْنُ عُفَيْرٍ قَالَ : قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بَعْدَ فَتْحِهِ مِصْرَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَدْمَتَيْنِ[٤] اسْتَخْلَفَ فِى إِحْدَاهُمَا زَكَرِيَّا بْنَ الْجَهْمِ الْعَبْدَرِىَّ عَلَى الْجُنْدِ ، وَمُجَاهِدَ بْنَ جَبْرٍ مَوْلَى بَنِى نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى الْخَرَاجِ ، وَهُوَ جَدُّ مُعَاذِ بْنِ مُوسَى النَّفَّاطِ[٥] أَبِى إِسْحَاقَ بْنِ مُعَاذٍ الشَّاعِرِ فَسَأَلَهُ عُمَرُ مَنِ اسْتَخْلَفْتَ ؟ فَذَكَرَ لَهُ مُجَاهِدَ بْنَ جَبْرٍ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَوْلَى ابْنَةِ غَزْوَانَ ؟ قَالَ نَعَمْ إِنَّهُ كَاتِبٌ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ العِلْمَ

---

(١) أرصد : أرقب (٢) فدونكها : دونك اسم فعل أمر بمعنى خذ ، أى خذها .

(٣) أى منافق يرى على خلاف ما هو عليه (٤) أى مرتين من القدوم

(٥) النفاط : مستخرج النفط ، وهو دهن معدنى سريع الاحتراق

لِيَرْفَعَ صَاحِبَهُ . وَبِنْتُ غَزْوَانَ هِيَ أُخْتُ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ وَقَدْ شَهِدَ عُتْبَةُ بَدْراً، وَكَانَ حَلِيفَ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ قَالَ : وَخِطَّةُ (١) مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ دَارُ صَالِحٍ صَاحِبِ السُّوقِ .

٢٧ — مُجَاهِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَامِرِيُّ *

مجاهد بن عبد الله العامرى

أَبُو الْجَيْشِ الْمُوَفَّقُ، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ، مَاتَ بِدَانِيَةَ (٢) فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ، وَأَصْلُهُ مَمْلُوكٌ رُومِيٌّ مِنْ مَمَالِيكِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ لِلْعُلُومِ وَأَهْلِهَا، نَشَأَ بِقُرْطُبَةَ وَكَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ وَجَلَادَةٌ وَجُرْأَةٌ، فَلَمَّا جَاءَتْ أَيَّامُ الْفِتْنَةِ وَتَغَلَّبَتِ الْعَسَاكِرُ عَلَى النَّوَاحِي سَارَ هُوَ فِيمَنْ تَبِعَهُ إِلَى الْجَزَائِرِ الَّتِي فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ وَهِيَ : دَانِيَةُ وَمَنُورَقَةُ (٣) « بِالنُّونِ » وَدَانِيَةُ هِيَ ذَاتُ خِصْبٍ وَسَعَةٍ فَغَلَبَ عَلَيْهَا وَحَمَاهَا، وَقَصَدَ إِلَى سَرْدَانِيَةَ (٤) فِي قِصَّةٍ ذَكَرْتُهَا فِي التَّارِيخِ الَّذِي سَمَّيْتُهُ الْمُبْدَأَ ، وَكَانَ مِنَ الْكُرَمَاءِ عَلَى الْعُلَمَاءِ يَبْذُلُ لَهُمُ الرَّغَائِبَ (٥) خُصُوصاً عَلَى الْقُرَّاءِ حَتَّى صَارَتْ دَانِيَةُ مَعْدِنَ

---

(١) خطة بالكسر : أرض يختطها الرجل لنفسه ليبنيها (٢) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا (٣) هى جزيرة عامرة فى شرق الأندلس

(٤) هى جزيرة فى بحر المغرب كبيرة وقد غزاها المسلمون فى سنة ٩٢ هـ .

(٥) الرغائب جمع رغيبة : وهى العطاء الكثير

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته و ياقوت

القُرَّاء بالغرب، وهو الذى بذل لأبى غالب تمّام بن غالب ألف دينار ليزيد اسمه فى ديباجة كتابه كما ذكرنا فى باب تمّام (١) وفيه يقول أبو العلاء صاعد بن الحسن اللُّغَوِىّ ـ وقد أسناه بخريطة (٢) مال ومركب (٣) أهداهما إليه ـ قصيدة أولها:

أتتنى الخريطة والمركبُ ... كما اقترن السعدُ والكوكبُ
وحطّ بمينائه قلعه ... كما وضعت حملها المُقْربُ (٤)
على ساعةٍ قام فيها الثنا ... ء على هامة المشترى (٥) يخطبُ
مجاهد رُضْتَ إباء الشمو ... س فأصحب ما لم يكن يُصْحِبُ (٦)
فقل واحتكم لى فسمع الزمان ... مُصِيخ (٧) إليك بما ترغبُ

وقد ألف مجاهد كتاب عروض يدل على قوته فيه، ومن أعظم فضائله تقديمه للوزير أبى العباس أحمد بن رشيق وتعويله عليه، وبسط يده (٨) فى العدل.

﴿ ٢٨ – المحسِّن بن إبراهيم بن هلال بن زهرون * ﴾

الحسن بن إبراهيم الصابىء

الصابئ أبو علىّ بن أبى إسحاق صاحب الرسائل، ووالد

(١) بهامش الاصل: « جزء ٢ ص ٣٩٤ » (٢) الخريطة: وعاء من أدم وغيره يشرج على ما فيه (٣) المركب: واحد مراكب البر والبحر كالسفن والسيارات. (٤) المقرب: التى قرب وضعها (٥) هامة المشترى: رأسه، وهو نجم من الكواكب السيارات (٦) أصحب: ذل وانقاد (٧) مصيخ: مستمع (٨) أى إطلاقها، وتفويضه فى القضاء العدل

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت فيما رجعنا إليه من مظان

هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ صَاحِبِ التَّوَارِيخِ وَالرَّسَائِلِ . كَانَ أَدِيباً فَاضِلاً بَارِعاً ، قَدْ لَقِيَ الْأُدَبَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ كَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي عُبَيْدِ اللهِ الْمَرْزُبَانِيِّ . مَاتَ فِي ثَامِنِ مُحَرَّمٍ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَةٍ عَنِ ابْنِهِ هِلَالٍ وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ مِنْ مِثْلِهِ ، وَكَانَ بِوَجْهِهِ شَامَةٌ حَمْرَاءُ فَكَانَ يُعْرَفُ بِصَاحِبِ الشَّامَةِ ، وَابْنُهُ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ أَعْلَى مَنْزِلَةً مِنْهُ . وَمَاتَ هَذَا عَلَى دِينِ أَبِيهِ ، وَأَمَّا ابْنُهُ فَأَسْلَمَ عَلَى مَا ذَكَرْتُهُ فِي بَابِهِ ، وَكَانَ لِأَبِي إِسْحَاقَ ابْنٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ سِنَانٌ لَيْسَ بِالنَّبِيهِ ، وَآخَرُ كُنْيَتُهُ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدٌ . وَمَاتَ أَبُو سَعِيدٍ سِنَانٌ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانِينَ . وَلَمَّا قُبِضَ عَلَى أَبِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ قُبِضَ مَعَهُ عَلَى وَلَدَيْهِ أَبِي عَلِيٍّ هَذَا وَأَبِي سَعِيدٍ . حَدَّثَ أَبُو الْحُسَيْنِ هِلَالٌ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ وَالِدِي قَالَ : أَمَرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَبَا الْقَاسِمِ الْمُطَهَّرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ وَزِيرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفْرِجْ عَنِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ [1] صَاحِبِ الشَّامَةِ ، فَإِنَّ لَهُ قَدِيمَ خِدْمَةٍ فَتَقَدَّمَ بِذَلِكَ ، فَثَقُلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ أَخِي إِطْلَاقِي مِنْ دُونِهِ ، وَدَمْدَمَ عَلَى وَالِدِنَا [2] دَمْدَمَةً قَالَ لَهُ عِنْدَهَا : أَيُّ أَمْرٍ لَنَا يَا بُنَيَّ فِي نُفُوسِنَا ؟ أَمْ أَيُّ ذَنْبٍ لِي فِيمَا لُطِفَ بِهِ [3] لِأَخِيكَ

---

(١) فى الاصل : « أبى إسحاق » تحريف كما نبه على ذلك بهامشه (٢) دمدم عليه : كلمه مغضبا (٣) أى خفف به

وَحُرِمْتَهُ ؟. ثم عدَّل إِلَى مَسْأَلَتِي أَنْ أَخْرُجَ أُسْبُوعاً وَيَخْرُجَ أُسْبُوعاً ، وَيَقَعَ بَيْنَنَا مُنَاوَبَةٌ فِي ذَاكَ فَامْتَنَعْتُ وَأَبَيْتُ وَرَفَقَ بِي رِفْقاً اسْتَحْيَيْتُ مَعَهُ وَأَجَبْتُ ، فَكَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ إِلَى أَبِي القَاسِمِ المُطَهَّرِ :

أُبْنَايَ عَيْنَايَ كَفَّ الْحَبْسُ لَحْظَهُمَا
وَعَزَّ حِسُّهُمَا(١) عَنْ مَنْظَرِ النُّورِ
أَطْلَقْتَ لِي مِنْهُمَا عَيْناً وَقَدْ بَقِيَتْ
عَيْنٌ فَصِرْتُ مِنَ الاِبْنَيْنِ كَالْعُورِ
فَسَوِّ بَيْنَهُمَا فِي فَكِّ أَسْرِهِمَا
مُسْتَوْفِراً(٢) مِنْهُمَا مِنْ أَجْرِ مَأْجُورِ
يَفْدِيكَ بِالأَنْفُسِ الَّتِي مَنَنْتَ بِهَا
أَبُوهُمَا وَهُمَا مِنْ كُلِّ مَحْذُورِ

فَقَالَ المُطَهَّرُ : الأَمْرُ إِلَى المَلِكِ ، وَالَّذِي رَسَمَ لِي إِطْلَاقَ وَلَدِكَ صَاحِبِ الشَّامَةِ ، وَلَوْ كُنْتُ مُسْتَطِيعاً لِلْجَمْعِ بَيْنَهُمَا لَفَعَلْتُ ، بَلْ لَمْ أَقْنَعْ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ المُطْلَقَ ، فَعَاوَدَهُ وَشَكَرَهُ وَقَالَ : إِذَا كَانَ قَدْ أَخَذَ فِي تَخْلِيَةِ وَاحِدٍ فَيَجُوزُ أَنْ يَتَنَاوَبَا فِي الخُرُوجِ وَفَسَحَ المُطَهَّرُ فِي ذَلِكَ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَكَانَتْ

---

(١) أى منع الحبس إبصارهما ، وعز حسهما الخ : ضعف إدراكهما عن رؤية النور (٢) أى مستوفيا

خذ مني التي راعاها الملكُ عضدُ الدولة أن أبا طاهر بن بقية لمّا أفرج عن أبي إسحاق والدي بعد القبض عليه عقيب خروج عضد الدولة من مدينة السلام استحلفه على أن يعرّفه ما يرد عليه من كتبه ويُسلّم إليه من يجيئه من رسله، فاتفق أن جاء أبو سعد المدبّر إليه بكتاب من عضد الدولة وعمل على تسليمه فاجتهدت به ألّا يفعل، فخاف وأشفق ولم يقبل وحمله إلى ابن بقية، فتقدّم باعتقاله بعد أن ضربه وقرّره، وشقّ ذلك عليّ لما يُراعى من عواقبه، وحملني الشباب ونزقه (١)، والاغترار وبواعثه (٢)، على أن قمت ليلًا وحملت معي خمسين درهمًا في صرّة وعشرين درهمًا في صرّة أخرى، وجئت إلى الحبس متنكرًا وعلى رأسي منشفة (٣) وقلت للسجّان: هذه عشرون درهمًا خذها ومكّني من الدخول على هذا الجاسوس وأجتمع معه وأخاطبه وأخرج، فأخذها وأدخلني وجئت إلى أبي سعد وتوجّعت له مما حصل فيه ووعدته بما أستطيعه من المعاونة على خلاصه ثم قلت له: أنت غريب وربّما احتجت إلى شيء وهذه خمسون درهمًا اصرفها في نفقتك واستعن بها على أمرك، فشكرني

(١) أي طيشه وخفته حال الغضب (٢) الاغترار: الغفلة، وبواعثه: دواعيه

(٣) المنشفة: منديل يتمسح به، والجمع مناشف

وَٱنْصَرَفْتُ ، وَأَظُنُّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ خَلَاصِهِ وَعَوْدِهِ إِلَيْهِ ، فَحَصَلَ لِي فِي نَفْسِهِ مَا كَانَتْ هَذِهِ الْحَالُ ثَمَرَتُهُ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسِّنِ فِي مَجْمُوعٍ جَمَعَهُ لِوَلَدِهِ هِلَالٍ مَا هَذَا صُورَتُهُ لِبَعْضِ الْمُحْدَثِينَ فِي عَصْرِنَا « وَعَلَى الْحَاشِيَةِ بِخَطِّ ابْنِهِ هِلَالٍ ، هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لِأَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ رَحِمَهُ ٱللهُ » :

أَأَهْجُو مَجُوسِيًّا لَوَ ٱنِّي أَمَرْتُهُ بِنَيْكِ أُمِّهِ جَهْرًا إِذًا مَا تَأَثَّمَا[1]
إِذَا ذُكِرَتْ يَوْمًا لَهُ رِيعَ قَلْبُهُ وَأَنْعَظَ مُشْتَاقًا إِلَيْهَا مُتَيَّمَا
يَحِنُّ إِلَيْهَا حَنَّتَيْنِ لِأَنَّهُ
يَكُونُ لَهَا بَعْلًا وَكَانَ لَهَا ٱبْنَمَا[2]
قَضَاهَا رَضَاعَ الثَّدْيِ مِنْهُ بِأَيْرِهِ فَفَرَّ لَهَا[3] فَرْجًا وَفَرَّتْ لَهُ فَمَا
فَإِنْ طُرِقَتْ بِالْحَمْلِ يَوْمًا فَإِنَّمَا
يَكُونُ أَخًا وَٱبْنًا لَهُ كُلَّمَا[4] ٱنْتَمَى
يَنِيكُ ٱلْأَقَاصِي وَٱلْأَدَانِي مُحَلِّلًا بِذَلِكَ مَا كَانَ ٱلْإِلٰهُ مُحَرِّمَا
إِذَا مَاذَوُو ٱلْأَدْيَانِ صَلُّوا لِرَبِّهِمْ
تَقَدَّمَ يَهْذِي فِي الصَّلَاةِ مُزَمْزِمَا[5]

---

(١) أى لم يتحرج من الاثم والوقوع فيه (٢) أى ابنا ، وما زائدة (٣) ففر: أى فتح وكشف (٤) بالأصل « كما » تحريف (٥) الزمزمة : من أصوات المجوس فى عبادتهم

وَيَخْرُجُ مِمَّا كُلِّفُوا مِنْ مَشَقَّةٍ وَيَحْتَسِبُ اللَّذَّاتِ أَجْرًا وَمَغْنَمَا

وَكَتَبَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى أَبِيهِ فِي بَعْضِ نَكَبَاتِهِ :

لَا تَأْسَ لِلْمَالِ إِنْ غَالَتْهُ غَائِلَةٌ

فَفِي حَيَاتِكَ مِنْ فَقْدِ اللُّهَى عِوَضُ (١)

إِذْ أَنْتَ جَوْهَرُنَا الْأَعْلَى وَمَا جَمَعَتْ

يَدَاكَ مِنْ طَارِفٍ أَوْ تَالِدٍ عَرَضُ

فَأَجَابَهُ أَبُو إِسْحَاقَ بِأَبْيَاتٍ ذَكَرْتُهَا فِي بَابِهِ فَأَغْنَى (٢) .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسِّنِ : أَنْشَدَنِي الْقَاضِي أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ السِّيرَافِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

الْجُودُ وَالْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ ثَالِثَةٌ أَسْمَاءُ أَشْيَاءَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَمْ تَكُنِ

وَأَنْشَدَنِي :

أَلْهَى بَنِي جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ

يُفَاخِرُونَ بِهَا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يَا لَلرِّجَالِ لِفَخْرٍ غَيْرِ مَسْئُومِ (٣)

وَأَنْشَدَنِي فِي الْمَعْنَى :

كَأَنَّ وُجُوهَ شَمَّاسِ بْنِ لَأْيٍ مِنَ السَّوْءَاتِ مُلْبَسَةٌ عَصِيمَا (٤)

---

(١) لاتأس : لاتحزن ، وغالته : أهلكته ، غائلة : داهية . واللهى : العطايا جمع لهية ، يشير بذلك إلى قول القائل :

لا تجزعى إن منفسا أهلكته فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعى

(٢) أى فأجزأ وكفى (٣) بالأصل : « مشئوم » تحريف (٤) العصيم : العرق والوسخ

إذا ذكروا الخطيئة لم يعدُّوا حديثاً بعدَ ذاكَ ولا قديما

وأنشدني :

أيا ابنَ صليبا أينَ طِبُّكَ والذي
بهِ كُنتَ تشفي مَن بهِ مثلُ دائكا ؟
أأنكرتَ مِمّا قيلَ ماقدْ عرفتَهُ
بغيرِكَ أمْ آثرتَهم بشفائكا ؟؟
بَلِ الموتُ ميقاتُ النفوسِ متى يحِنْ
فداءُ الذي داويتَهُ في دوائكا

وَمِنْ خطِّ أبي عليٍّ المُحسِّنِ قالَ : سألتُ القاضي أبا سعيدٍ السِّيرافيَّ رحمهُ اللهُ عنِ الأخبارِ التي يرويها عنْ أبي بكرِ بنِ دُريدٍ وكُنتُ أقرؤُها عليهِ : أكانَ يُمليها مِنْ حفظهِ ؟ فقالَ : لا ، كانتْ تُجمعُ مِنْ كُتبهِ وغيرِها ثمَّ تُقرأُ عليهِ . وسألتُ أبا عبدِ اللهِ مُحمّدَ بنَ عِمرانَ المرزُبانيَّ رحمهُ اللهُ عنْ ذلكَ فقالَ : لمْ يكُنْ يُمليها مِنْ كِتابٍ ولا حفظٍ ، ولكنْ كانَ يكتبُها ثمَّ يُخرجُها إلينا بخطِّهِ ، فإذا كتبناها خرقَ ما كانتْ فيهِ . وقرأتُ بخطِّ أبي عليٍّ المُحسِّنِ : لأبي الحسنِ مُحمّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سُكّرةَ الهاشميِّ إلى يتقاضاني (١) دفتراً أعطانيهِ :

(١) أي يطلب مني

كُنْتَ يَا سَيِّدِى اُسْتَعَرْتَ كِتَابًا

لِى فِيهِ قَصَائِدٌ لِلْخَلِيعِ

فِى الرَّبِيعِ الْمَاضِى وَهَـذَا رَبِيعٌ

فَتَفَضَّلْ بِرَدِّهِ يَا رَبِيعِى (١)

تَغْتَنِمْ مِدْحَتِى وَإِنْ جُدْتَ أَيْضًا

لِى بِفَلْسَيْنِ لَمْ يَكُنْ بِبَدِيعِ

يَا جَمِيلَ الصَّنِيعِ لِمْ (٢) قَدْ تَغَيَّرْ

تَ وَعَامَلْتَنِى بِسُوءِ الصَّنِيعِ ؟

مَنْ عَذِيرِى يَا آلَ زَهْرُونَ مِنْـكُمْ

مَنْ تَرَاهُ يُطْفِى لَهِيبَ ضُلُوعِى ؟؟

لَسْتُ فِى الْمَنْعِ بِالْمَلُومِ تَعَلَّمْـ ـتُ مِنَ السَّيِّدِ الْجَلِيلِ الرَّفِيعِ

كُنْتُ أَعْدَدْتُـكُمْ لِنَائِبَةِ الدَّهْـ

ـرِ وَلِلْحَادِثِ الْمُلِمِّ الْفَظِيعِ

وَرَجَوْتُ الْغِنَى فَخَابَ رَجَائِى

لَمْ يَخِبْ فِيكَ أَنْتَ بَلْ فِى الْجَمِيعِ

وَاقَرِيضِى وَاخَيْبَتِى وَاعَنَائِى وَاضَنَائِى وَاذِلَّتِى وَاخُضُوعِى

وَاشَبَابِى الَّذِى تَقَضَّى ضَيَاعًا وَاسُهَادِى وَافَقْدَ طِيبِ هُجُوعِى

---

(١) أى يا خصبي ونضارة عيشى (٢) لم : اللام للجر ، والميم أصلها ما الاستفهامية حذفت ألفها ثم سكنت للضرورة .

وَاشقَائِى مِنْ ذُلِّ بَخْتِى عَلَيْكُمْ
مَنْ إِلَيْكُمْ يَا قَوْمُ كَانَ شَفِيعِى؟
كُنْتُ أَبْكِى مِنْكُمْ فَلَمَّا نُكِبْتُمْ
قُمْتُ أَبْكِى لَكُمْ فَعَزَّتْ دُمُوعِى

قَالَ أَبُو عَلِيّ : وَكُنْتُ مَعَ أَبِى الْحَسَنِ بْنِ سُكَّرَةَ عَلَى الْمَائِدَةِ تَحْمِلُ بَعْضُ الْغِلْمَانِ غَضَارَةً[1] فِيهَا مَضِيرَةٌ[2]، فَاضْطَرَبَتْ يَدُهُ وَانْقَلَبَ شَىْءٌ مِنْهَا عَلَى ثِيَابِ أَبِى الْحَسَنِ فَادَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ ضَرَطَ وَهَجَاهُ بِأَبْيَاتٍ لَمْ يَبْقَ فِى حِفْظِى مِنْهَا غَيْرُ بَيْتَيْنِ وَهُمَا :

قَلِيلُ الصَّوَابِ كَثِيرُ الْغَلَطْ شَدِيدُ الْعِثَارِ قَبِيحُ السَّقَطْ
جَنَى بِالْمَضِيرَةِ مَا قَدْ جَنَى وَلَمْ يَكْفِهِ ذَاكَ حَتَّى ضَرَطْ

﴿ ٢٩ — الْمُحَسِّنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِىٍّ كَوْجَكُ أَبُو الْقَاسِمِ * ﴾

المحسن بن الحسين العبسى

الْأَدِيبُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْوِرَاقَةَ وَيَقُولُ الشِّعْرَ ، وَخَطُّهُ مَعْرُوفٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ يُشْبِهُ خَطَّ الطَّبَرِىِّ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرُّوذْبَارِىُّ فِى تَارِيخِهِ الَّذِى أَلَّفَ بِمِصْرَ : وَفِى شَوَّالٍ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، مَاتَ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُحَسِّنُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَبْسِىُّ

---

(١) غضارة : قصعة كبيرة وهى فارسية (٢) مضيرة : مريقة تطبخ باللبن المضير « الحامض »

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

الأديبُ الورَّاقُ ، سمعَ من أبي مُسلمٍ مُحمَّدِ بن أحمدَ كاتبِ بنِ حنزابةَ ، وسمعَ معهُ أخوهُ عليُّ بنُ الحُسينِ وكانَ أبوهُ أيضاً من أهلِ الفضلِ ، ولهُ شعرٌ ذكرتُه في ترجمةِ ابنِهِ الآخرِ عليِّ ابنِ الحُسينِ . وقرأتُ في كتابِ الشامِ : المُحسِّنُ بنُ عليِّ بنِ كَوْجَكَ أبو عبدِ اللهِ من أهلِ الأدبِ ، أملى بصيدا[1] حكاياتٍ مُقطَّعةً بعضُها عن ابنِ خالويهِ ، روى عنهُ أبو نصرِ طلابٌ قالَ : أنبأنا عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عُمرَ قالَ : أخبرنا أبو نصرِ ابنُ الحُسينِ بنِ مُحمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ طلابٍ قالَ : أملى علينا الأستاذُ أبو عبدِ اللهِ المُحسِّنُ بنُ عليِّ بنِ كَوْجَكَ بصيدا ، وقرأتُه عليهِ في سنةِ أربعٍ وتسعينَ وثلاثمائةٍ أنشدنا لبعضِهِم :

وَدَّعكَ الحُسْنُ فهوَ مُرتحِلُ ... وانصرفتْ عن جمالِكَ المُقَلُ
وَمُتَّ من بعدِ ما أمتَّ وأحْـ ... ـيَيْتَ وكُلُّ الأمورِ تنتقِلُ
كمْ قائلٍ لي وقدْ رأى كلَفِي
فيكَ ووجدِي فقالَ مُكتهِلُ[2]
يرحمُكَ اللهُ يا غُلامُ إذا ... قالَ لكَ العاشقُونَ يا رجلُ

قالَ ابنُ طلابٍ : وحضرنا معهُ يوماً في محرسِ غرقَ[3]

(١) صيداء بالمد ويقصر : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرق صور
(٢) أي صار كهلا (٣) جاء بهامش الأصل « كذا بالأصل ، ولعله اسم للموضع الذي فيه المحرس » هو كذلك ، والمحرس : الحصن .

بِمَدِينَةِ صَيْدَا ، وَفِيهِ قُبَّةٌ فِيهَا مَكْتُوبٌ أَسْمَاءُ مَنْ حَضَرَهَا وَأَشْعَارٌ : مِنْ جُمْلَتِهَا :

رَحِمَ اللهُ مَنْ دَنَا لِأُنَاسٍ نَزَلُوا هٰهُنَا يُرِيدُونَ مِصْرَا
فَرَّقَتْ بَيْنَهُمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي فَتَخَلَّوْا عَنِ الْأَحِبَّةِ قَسْرَا

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْ جَمَاعَتِنَا : إِنَّ الْمَائِدَةَ لَا تَقْعُدُ عَلَى رِجْلَيْنِ وَلَا تَسْتَقِرُّ إِلَّا عَلَى ثَلَاثَةٍ فَأَجِزْ لَنَا هٰذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِثَالِثٍ، فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ اكْتُبُوا :

نَزَلُوا وَالثِّيَابُ بِيضٌ فَلَمَّا أَزِفَ الْبَيْنُ(١) مِنْهُمُ صِرْنَ حُمْرَا

قَالَ ابْنُ طِلَابٍ : وَكَانَ بَيْنَ الْأُسْتَاذِ وَبَيْنَ رَجُلٍ كَاتِبٍ لِبَنِي بَزَالٍ إِحَنٌ وَمُلَاحَاةٌ(٢) مُسْتَهْجَنَةٌ أَوْقَعَتْ بَيْنَهُمَا الْعَدَاوَةَ بَعْدَ وَكِيدِ الصَّدَاقَةِ ، وَكَانَ هٰذَا الرَّجُلُ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْمُنْتَصِرِ مُبَارَكٌ الْكَاتِبُ ، فَهَجَاهُ الْأُسْتَاذُ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَهَا فِي جُزْءٍ وَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِ هٰذَا الْجُزْءِ شِعْرًا لَهُ وَهُوَ :

هٰذَا جَزَاءُ صَدِيقٍ لَمْ يَرْعَ حَقَّ الصَّدَاقَهْ
سَعَى عَلَى دَمِ حُرٍّ مُحَـــرَّمٍ فَأَرَاقَهْ

قَالَ : وَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ فِيهِ أَيْضًا :

مُبَارَكٌ بُورِكَ فِي الطُّولِ لَكْ فَأَصْبَحْتَ أَطْوَلَ مَنْ فِي الْفَلَكْ
وَلَوْلَا انْحِنَاؤُكَ نِلْتَ السَّمَاءَ وَلَـٰكِنَّ رَبَّكَ مَا عَدَّلَكْ

(١) أى دنا الفراق (٢) كانت فى الأصل : « ملاغاة » وهو تحريف كما نبه بهامشه

٣٠ – المُحَسِّن بن عَلِىّ بن مُحَمَّد بن دَاوُدَ بن الفَهْمِ التَّنُوخِى (*)

المحسن بن على التنوخى

أَبُو عَلِىٍّ القَاضِى، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ أَبِيهِ عَلِىِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَابْنِهِ عَلِىِّ بْنِ المُحَسِّنِ فِى مَوَاضِعِهِمَا. مَاتَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ مُحَرَّمٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِالْبَصْرَةِ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبَغْدَادَ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ (١)، كِتَابُ نِشْوَارِ المُحَاضَرَةِ اشْتَرَطَ فِيهِ أَنَّهُ لَا يُضَمِّنُهُ شَيْئًا نَقَلَهُ مِنْ كِتَابٍ أَحَدَ عَشَرَ مُجَلَّدًا كُلُّ مُجَلَّدٍ لَهُ فَاتِحَةٌ بِخُطْبَةٍ.

قَالَ غَرْسُ النِّعْمَةِ: صَنَّفَ أَبُو عَلِىٍّ المُحَسِّنُ كِتَابَ نِشْوَارِ المُحَاضَرَةِ فِى عِشْرِينَ سَنَةً أَوَّلُهَا سَنَةُ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَذَيَّلَهُ غَرْسُ النِّعْمَةِ بِكِتَابٍ سَمَّاهُ كِتَابَ الرَّبِيعِ قَالَ: ابْتَدَأْتُهُ فِى سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَلِىَ القَضَاءَ بِعِدَّةِ نَوَاحٍ. حَكَى عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ فِى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ كَانَ مُتَوَلِّىَ القَضَاءِ بِوَاسِطَ، وَقَالَ فِى مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ: حَضَرْتُ أَنَا مَجْلِسَ أَبِى العَبَّاسِ بْنِ أَبِى الشَّوَارِبِ قَاضِى القُضَاةِ إِذْ ذَاكَ وَكُنْتُ حِينَئِذٍ أَكْتُبُ لَهُ عَلَى الحُكْمِ وَالوُقُوفِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ

(١) طبع فى مصر فى جزأين

(*) ترجم له فى كتاب فوات الوفيات ج ثان ص ٨٦ بترجمة ضافية

مُضَافاً إِلَى مَا كُنْتُ أَخْلفهُ عَلَيْهِ بِتَكْرِيتَ وَدَقُوقَاءَ وَخَانِيجَارَ، وَقصرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ[١]، وَالْجَامِعَيْنِ[٢]، وَسُورَاءَ وَبَابِلَ وَالْإِيغَارِينِ وَخُطَرْنِيَةَ[٣]. وَذَكَرَ قِصةً. وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنهُ كَانَ يَتقلدُ القضَاءَ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ[٤] فِي أَيَّامِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ وَعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ. وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ الشَّلْجِيُّ[٥] أَنَّهُ تَقَلَّدَ الْقَضَاءَ بِالْأَهْوَازِ نِيَابَةً عَنِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ قُرَيْعَةَ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي خَبَرِ الشَّلْجِيِّ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ الْقَاضِي قَالَ: لَمَّا قلدَنِي الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ قُرَيْعَةَ قَضَاءَ الْأَهْوَازِ خِلَافَةً لَهُ كَتَبَ إِلَى الْمَعْرُوفِ بِابْنِ سَرْكَرَ الشَّاهِدِ وَكَانَ خَلِيفَتَهُ عَلَى الْقَضَاء قَبْلِي كِتَاباً عَلَى يَدى وَعَنْوَنَهُ: إِلَى الْمُخَالِفِ الشَّاقِّ، السَّيِّءِ الْأَخْلَاقِ، الظَّاهِرِ النِّفَاقِ، مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ.

---

(١) دقوقاء: مدينة بين إربل وبغداد، وكذلك خانيجار فتحها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بأمر عمه سعد رضى الله عنه، وقصر ابن هبيرة قريب من جسر سوراء المذكورة بعد (٢) الجامعين: هو حلة بنى مزيد التى بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة، وسوراء: موضع بالعراق من أرض بابل، وهي مدينة السريانيين، وبابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، وقيل بابل العراق، وقيل غير ذلك. (٣) الايغارين: اسم لعدة ضياع من كور أوغرت لعيسى ومعقل بن أبي دلف العجلى، وخطرنية. ناحية من نواحى بابل العراق (٤) بلد مشهور من نواحى خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء صاحب الحجاج بن يوسف (٥) نسبة إلى شلج. قرية قرب عكبرا تخرج منها أبو الفرج هذا، واسمه محمد بن محمد بن سهل الشلجى

وَذَكَرَهُ الثَّعَالِبِيُّ فَقَالَ: هِلَالُ ذَلِكَ الْقَمَرِ، وَغُصْنُ ذَلِكَ الشَّجَرِ، الشَّاهِدُ الْعَدْلُ لِمَجْدِ أَبِيهِ وَفَضْلِهِ، وَالْفَرْعُ الْمُشِيدُ لِأَصْلِهِ، وَالنَّائِبُ عَنْهُ فِي حَيَاتِهِ، وَالْقَائِمُ مَقَامَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَجَّاجِ:

إِذَا ذُكِرَ الْقُضَاةُ وَهُمْ شُهُودٌ
تَخَيَّرْتُ الشَّبَابَ عَلَى الشُّيُوخِ
وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ أَصْفَعْهُ إِلَّا
بِحَضْرَةِ سَيِّدِي الْقَاضِي التَّنُوخِي

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو نَصْرٍ سَهْلُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ: أَنَّهُ رَأَى دِيوَانَ شِعْرِهِ بِبَغْدَادَ أَكْبَرَ حَجْمًا مِنْ دِيوَانِ شِعْرِ أَبِيهِ، وَمِمَّا عَلِقَ بِحِفْظِ أَبِي نَصْرٍ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ فِي مَعْنًى طَرِيفٍ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ:

خَرَجْنَا لِنَسْتَسْقِي بِيُمْنِ دُعَائِهِ
وَقَدْ كَادَ هُدْبُ الْغَيْمِ أَنْ يَبْلُغَ الْأَرْضَا (١)
فَلَمَّا ابْتَدَا يَدْعُو تَقَشَّعَتِ السَّمَا فَمَا تَمَّ إِلَّا وَالْغَمَامُ قَدِ انْفَضَّا

قَالَ: وَأَنْشَدَنِي غَيْرُهُ لَهُ وَأَنَا مُرْتَابٌ بِهِ لِفَرْطِ جَوْدَتِهِ وَارْتِفَاعِهِ عَنْ طَبَقَتِهِ.

---

(١) هدب الغيم: كناية عن ظلامه كالهدب وهو شعر العين

أَقُولُ لَهَا وَالْحَيُّ قَدْ فَطِنُوا بِنَا وَمَالِيَ عَنْ أَيْدِي الْمَنُونِ بَرَاحُ
لَمَا سَاءَنِي أَنْ وَشَّحَتْنِي (١) سُيُوفُهُمْ
وَأَنَّكِ لِي دُونَ الْوِشَاحِ وِشَاحُ

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ :

لَئِنْ أَشْمَتَ الْحُسَّادَ صَرْفِي وَرِحْلَتِي
فَمَا صَرَفُوا فَضْلِي وَلَا ارْتَحَلَ الْمَجْدُ
مُقَامٌ وَتَرْحَالٌ وَقَبْضٌ وَبَسْطَةٌ
كَذَا عَادَةُ الدُّنْيَا وَأَخْلَاقُهَا النُّكْدُ (٢)

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْوُزَرَاءِ لِهِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ : حَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ قَالَ : نَزَلَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ السُّوسَ (٣) فَقَصَدْتُهُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَتَجْدِيدِ الْعَهْدِ بِخِدْمَتِهِ فَقَالَ لِي : بَلَغَنِي أَنَّكَ شَهِدْتَ عِنْدَ ابْنِ سَيَّارٍ قَاضِي الْأَهْوَازِ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَ : وَمَنِ ابْنُ سَيَّارٍ حَتَّى تَشْهَدَ عِنْدَهُ وَأَنْتَ وَلَدِي وَابْنُ أَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ أُسْتَاذِ ابْنِ سَيَّارٍ ؟ قُلْتُ : أَلَا إِنَّ فِي الشَّهَادَةِ عِنْدَهُ مَعَ الْحَدَاثَةِ جَمَالًا « وَكَانَتْ سِنِّي يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ سَنَةً » قَالَ : وَجَبَ أَنْ تَجِيءَ إِلَى الْحَضْرَةِ لِأَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِي السَّائِبِ قَاضِي الْقُضَاةِ بِتَقْلِيدِكَ عَمَلًا تَقْبَلُ أَنْتَ فِيهِ شُهُودًا . قُلْتُ : مَا فَاتَ

(١) أن وشحتني الخ : أحاطت بي كالوشاح (٢) جمع أنكد : وهو ما لا خير فيه
(٣) السوس : بلدة بخوزستان

ذَاكَ إِذَا أَنعَمَ سَيِّدُنَا الوَزِيرُ بِهِ ، وَسَبِيلِي إِلَيْهِ الآنَ مَعَ قَبُولِ الشَّهَادَةِ أَقرَبُ ، فَضَحِكَ وَقَالَ لِمَنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ : انْظُرُوا إِلَى ذَكَائِهِ كَيْفَ اغْتَنَمَهَا ؟ ثُمَّ قَالَ لِي : اخْرُجْ مَعِي إِلَى بَغْدَادَ فَقَبلتُ يَدَهُ وَدَعَوتُ لَهُ ، وَسَارَ مِنَ السُّوسِ إِلَى بَغْدَادَ وَوَرَدْتُ إِلَى بَغْدَادَ فِى سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِي السَّائِبِ فِى أَمْرِى بِمَا دَعَاهُ إِلَى أَنْ قَلَّدَنِي عَمَلًا بِسَقْىِ الفُرَاتِ ، وَكُنتُ أُلَازِمُ الوَزِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ وَأَحضُرُ طَعَامَهُ وَمَجَالِسَ أُنسِهِ ، وَاتَّفَقَ أَنْ جَلَسَ يَوْمًا مَجْلِسًا عَامًّا وَأَنَا بِحَضْرَتِهِ وَقِيلَ لَهُ : أَبُو السَّائِبِ فِى الدَّارِ قَالَ : يَدْخُلُ ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيَّ بِأَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَتَقَدَّمْتُ ، وَمَدَّ يَدَهُ لِيُسَارَّنِي فَقَبَّلْتُهَا فَمَدَّ يَدِي وَقَالَ : لَيْسَ بَيْنَنَا سِرٌّ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ أَبُو السَّائِبِ فَيَرَاكَ تُسَارُّنِي فِى مِثْلِ هَذَا المَجْلِسِ الحَافِلِ فَلَا يَشُكُّ أَنَّكَ مَعِي فِى أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدَّوْلَةِ فَيَرْهَبُكَ وَيَحْشِمُكَ (١) ، وَيَتَوَفَّرُ عَلَيْكَ وَيُكْرِمُكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَجِيءُ إِلَّا بِالرَّهْبَةِ وَهُوَ يُبْغِضُكَ بِزِيَادَةِ عَدَاوَةٍ كَانَتْ لِأَبِيكَ ، وَلَا يَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ لَهُ خَلَفٌ مِثْلُكَ ، وَأَخَذَ يُوصِلُ مَعِي فِى مِثْلِ هَذَا الفَنِّ مِنَ الحَدِيثِ إِلَى أَنْ دَخَلَ أَبُو السَّائِبِ ، فَلَمَّا رَآهُ فِى سِرَارِ

(١) أى يستحى منك وينقبض

وَقَفَ وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يَجْلِسَ إِلَّا بَعْدَ مُشَاهَدَةِ الْوَزِيرِ لَهُ تَقَرُّباً إِلَيْهِ وَتَلَطُّفاً فِي اسْتِمَالَةِ قَلْبِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ إِذْ ذَاكَ فَاسِدَ الرَّأْيِ فِيهِ. فَقَالَ الْحَاجِبُ لِأَبِي السَّائِبِ: يَجْلِسُ قَاضِي الْقُضَاةِ وَسَمِعَهُ الْوَزِيرُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ يَاسَيِّدِي وَعَادَ إِلَى سِرَارِي وَقَالَ لِي: هَذِهِ أَشَدُّ مِنْ تِلْكَ، فَامْضِ إِلَيْهِ فِي غَدٍ فَسَتَرَى مَا يُعَامِلُكَ بِهِ، وَقَطَعَ السِّرَارَ وَقَالَ لِي ظَاهِراً: قُمْ فَامْضِ فِيمَا أَنْفَذْتُكَ فِيهِ وَعُدْ إِلَيَّ السَّاعَةَ بِمَا تَعْمَلُهُ، فَوَهَّمَ (١) أَبَا السَّائِبِ بِذَاكَ أَنَّنَا فِي مُهِمٍّ، فَقُمْتُ وَمَضَيْتُ إِلَى بَعْضِ الْحُجَرِ وَجَلَسْتُ إِلَى أَنْ عَرَفْتُ انْصِرَافَ أَبِي السَّائِبِ ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ قَامَ عَنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَجِئْتُ مِنْ غَدٍ إِلَى أَبِي السَّائِبِ فَكَادَ يَحْمِلُنِي عَلَى رَأْسِهِ، وَأَخَذَ يُجَاذِبُنِي بِضُرُوبٍ مِنَ الْمُحَادَثَةِ وَالْمُبَاسَطَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ دَهْراً طَوِيلاً.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ فِي نِشْوَارِ الْمُحَاضَرَةِ: حَضَرَ بَيْنَ يَدَيَّ رَجُلَانِ بِالْأَهْوَازِ فَادَّعَى أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ حَقّاً فَأَنْكَرَهُ فَسَأَلَ غَرِيمُهُ إِحْلَافَهُ فَقَالَ لَهُ أَتَحْلِفُ؟ فَقَالَ: لَيْسَ لَهُ عَلَيَّ شَيْءٌ فَكَيْفَ أَحْلِفُ؟ لَوْ كَانَ لَهُ عَلَيَّ شَيْءٌ حَلَفْتُ لَهُ وَأَكْرَمْتُهُ.

حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً بِحَضْرَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي

(١) أي أوقعه في الوهم والشك

مَجْلِسِ أُنْسِهِ بِنَهَاوَنْدَ (١) فَغَنَّاهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَالَةَ الطُّنْبُورِىُّ «شَيْخٌ كَانَ يَخْدُمُهُ فِى جُمْلَةِ الْمُغَنِّينَ بَاقٍ إِلَى الْآنَ» :

ذُدْ بِمَاءِ الْمُزْنِ وَالْعِنَبِ ... طَارِقَاتِ الْهَمِّ (٢) وَالْكُرَبِ
قَهْوَةٌ لَوْ أَنَّهَا نَطَقَتْ ... ذَكَرَتْ قَحْطَانَ فِى الْعَرَبِ
وَهْىَ تَكْسُو كَفَّ شَارِبِهَا ... دَسْتَبَانَاتٍ (٣) مِنَ الذَّهَبِ

فَاسْتَحْسَنَ الشِّعْرَ وَالصَّنْعَةَ وَسَأَلَ عَنْهَا . فَقَالَ لَهُ ابْنُ كَالَةَ : هٰذَا شِعْرٌ غَنَّتْ بِهِ مَوْلَانَا سَلَمَةُ بِنْتُ حُسَيْنَةَ فَاسْتَعَادَهُ مِنْهَا اسْتِحْسَانًا لَهُ فَسَرَقْتُهُ مِنْهَا . قَالَ التَّنُوخِىُّ : فَقُلْتُ لَهُ : أَمَّا الشِّعْرُ فَلِلْخَبَّازِ الْبَلَدِىِّ ، وَأَظُنُّ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ طَرْخَانَ قَالَ لِى : إِنَّ الصَّنْعَةَ فِيهِ لِأَبِيهِ ، وَالْمَعْنَى حَسَنٌ وَلٰكِنَّهُ مَسْرُوقٌ . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ ؟ . فَقُلْتُ : أَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِى فَمِنْ قَوْلِ أَبِى نُوَاسٍ :

عُتِّقَتْ حَتَّى لَوِ اتَّصَلَتْ ... بِلِسَانٍ صَادِقٍ وَفَمِ
لَاحْتَبَتْ فِى الْقَوْمِ مَاثِلَةً ... ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمَمِ

وَوَصْفُهَا بِالْعِتْقِ وَالْقِدَمِ كَثِيرٌ فِى الْقَوْمِ فِى أَبْلَغَ (٤) مِنْ هٰذَا الْبَيْتِ ، وَلٰكِنَّ التَّشْبِيهَ فِى الْبَيْتِ الثَّالِثِ هُوَ الْحَسَنُ ، وَقَدْ سَرَقَهُ مِمَّا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو سَهْلِ بْنُ زِيَادٍ الْقَطَّانُ قَالَ : أَنْشَدَنَا يَعْقُوبُ بْنُ السِّكِّيتِ وَلَمْ يُسَمِّ قَائِلًا :

(١) نهاوند : مدينة عظيمة فى قبلة همذان (٢) بالاصل : « الهموم » تحريف
(٣) هى نوع من الثياب (٤) بالأصل : « فأبلغ » تحريف

أَقْرِى الْهُمُومَ إِذَا ضَافَتْ مُعَتَّقَةً

حَمْرَاءَ يُحْدِثُ فِيهَا الْمَاءُ تَفْوِيفَا (١)

تَكْسُو أَصَابِعَ سَاقِيهَا إِذَا مُزِجَتْ

مِنَ الشُّعَاعِ الَّذِى فِيهَا تَطَارِيفَا (٢)

وَقَدْ كَشَفَ – أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَاىَ – هَذَا الْمَعْنَى مَنْ قَالَ:

كَأَنَّ الْمُدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا قَامَ لِلسَّقْىِ أَوْ بِالْيَسَارِ

تَدَرَّعَ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسَمِينِ لَهُ فَرْدُ كُمٍّ مِنَ الْجُلَّنَارِ

وَكَانَ أَبُو عَلِىٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِىٍّ الْمَدَائِنِىُّ الْمَعْرُوفُ بِالْهَائِمِ الرَّاوِيَةُ قَائِمًا فِى الْمَجْلِسِ فَقَالَ: قَدْ كَشَفَ مَعْنَى الْأَبْيَاتِ الْفَائِيَّةِ سَرِىٌّ الرَّفَّاءُ حَيْثُ يَقُولُ فِى صِفَةِ الدِّنَانِ:

وَمُسْتَسْلِمَاتٍ هَزَزْنَ لَهَا

مَدَارِى الْقِيَانِ (٣) لِسَفْكِ الدِّمَاءِ

وَقَدْ نَظَمَ الصُّلْحُ أَجْسَامَهَا

مَعَ الْخِدْرِ نَظْمَ صُفُوفِ اللِّقَاءِ

تُمَدُّ إِلَيْهَا أَكُفُّ الرِّجَالِ فَتَرْجِعُ مِثْلَ أَكُفِّ النِّسَاءِ

وَكَشَفَ الْمَعْنَى الثَّانِى فِى الْأَبْيَاتِ بِقَوْلِهِ:

إِزْدَدْ مِنَ الرَّاحِ وَزِدْ فَالْغَىُّ فِى الرَّاحِ رَشَدْ

(١) يقول: إذا ضافتنى الهموم أقريها خمرا معتقة يحدث فيها المزج نقطا بيضاء هي الحبب

(٢) تطاريفا جمع تطريف: وهو الخضاب (٣) مدارى القيان: أصابعها

يُدِيرُهَا ذُو عُنَّـةٍ وَغْدٌ يُشَفِّيهِ الغَيَدْ (١)
مَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ فَالْتَهَبَتْ إِلَى العَضُدْ

قَالَ القَاضِي التَّنُوخِيُّ : فَقُلْتُ لَهُ : فَأَيْنَ أَنْتَ عَمَّا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا ؟ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

تَحْسَبُ الظَّبْيَ إِذَا طَافَ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَسْقِيكَهَا مُخْتَضِبَا

قَالَ الْهَائِمُ : فَقَدْ قَالَ بَكَّارَةُ الرَّسْعَنِيُّ (٢) :

وَبِكْرٍ شَرِبْنَاهَا عَلَى الْوِرْدِ بُكْرَةً
فَكَانَتْ لَنَا وِرْدًا إِلَى ضَحْوَةِ الْغَدِ (٣)
إِذَا قَامَ مُبْيَضُّ اللِّبَاسِ يُدِيرُهَا تَوَهَّمْتَهُ يَسْعَى بِكُمٍّ مُوَرَّدِ

وَقَوْلُ أَبِي النَّصْرِ النَّحْوِيِّ :

فَلَوْ رَآنِي إِذَا اتَّكَأْتُ وَقَدْ مَدَدْتُ كَفِّي لِلَّهْوِ وَالطَّرَبِ
يَخَالُنِي لَابِسًا مُشَهَّرَةً مِنْ لَازَوَرْدٍ يَشِفُّ عَنْ ذَهَبِ

فَبَدَأْتُ أَذْكُرُ شَيْئًا فَقَالَ الْهَائِمُ : اُصْبِرْ اُصْبِرْ فَهَاهُنَا مَا لَا يَلْحَقُهُ شِعْرُ أَحَدٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا قَطُّ حُسْنًا وَجَوْدَةً ، وَهُوَ قَوْلُ مَوْلَانَا الْمَلِكِ (٤) مِنْ أَبْيَاتٍ :

---

(١) أى عنينا لا يصل إلى النساء ، والوغد : اللئيم والغيد : محركة : النعومة واللين (٢) الرسعنى : نسبة إلى رأس عين : مدينة كبيرة بالجزيرة كما ذكره ياقوت فى معجم البلدان ، وأما صاحب تاج العروس فنص على أن المدينة تسمى رأس العين ، وقال إن النسبة إليها الراسعنى (٣) بكر : أى خمر بكر وهى أول ما يشرب منها ، والورد : العطش . (٤) يريد عضد الدولة وهو أول من لقب بالملك من آل بويه

وَشُرْبُ الكَأْسِ مِنْ صَهْبَاءَ صِرْفٍ
يُفِيضُ عَلَى الشُّرُوبِ يَدَ النُّضَارِ

فقطعتُ المُذاكرةَ وأقبلتُ أعظِّمُ البيتَ وأُفخِّمُ أمْرَه، وأُفرِط فى استحسانِه، والاعترافِ بأنى لا أحفظُ ما يقارِبُهُ فى الحُسْنِ والجَوْدَةِ فأُذاكرُ بِهِ. قالَ التنوخيُّ: وكُنتُ بحضرتِه فى عشيَّةٍ من العشايا فى مجلسِ الأُنْسِ، وكانَ هذا بعدَ خِدْمتِي لهُ فى المُؤانَسةِ بشهورٍ يسيرةٍ فغنَّى لهُ مِنْ وراءِ ستارتِهِ الخاصَّةِ صوتٌ وهُوَ:

نَحْنُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَا هَمَمْنَا بِالفِرَارِ

وبَعْدَهُ أبياتٌ بعضُها مَلحونٌ وبعضٌ جيدٌ. فاستَمْلَحَ اللَّحْنَ (١) وقالَ: هُوَ شِعْرٌ رَكِيكٌ جِدًّا فتعلمُونَ لِمَنْ هُوَ ولِمَنِ اللَّحْنُ؟؟ فقالَ لهُ أبو عبدِ اللهِ بْنُ المُنجِّمِ: بلَغَنِي أنَّ الشِّعْرَ للمُطيعِ لِلهِ وأنَّ اللحْنَ لهُ أيضاً. فقالَ لى: اعْمَلْ أبياتاً تنقلُ هذا اللحْنَ إليها فى وزنِها وقافيتِها فجلستُ ناحيةً وعملتُ:

أَيُّهَذَا القَمَرُ الطَّا لِعُ مِنْ دَارِ القِمَارِ
رَائِحًا مِنْ خُيَلَاءِ الـ حُسْنِ فِي أَبْهَى إِزَارِ
وَالَّذِي يَجْنِي وَلَا يُذْ نِبُ ذَنْبًا بِاعْتِذَارِ

(١) اللحن هنا: التلحين، وملحون السالفة: بمعنى غير صحيح

أَنَا مِنْ هَجْرِكَ فِى بُعْـ ـدٍ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ
أَوْضَحُ الْعُـذْرِ عِذَارَا كَ عَلَى خَلْعِ الْعِذَارِ [1]

وَعُدْتُ وَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا فِى الْحَالِ فَارْتَضَاهَا وَقَالَ : لَوْلَا أَنَّهُ قَدْ هَجَسَ [2] فِى نَفْسِى أَنْ أَعْمَلَ فِى مَعْنَاهَا لَأَمَرْتُ بِنَقْلِ اللَّحْنِ إِلَيْهَا ، ثُمَّ أَنْشَدَنَا بَعْدَ أَيَّامٍ لِنَفْسِهِ :

نَحْنُ قَوْمٌ نَحْفَظُ الْعَهْـ ـدَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ
وَنُمِرُّ السُّحْبَ سَحْباً مِنْ أَكُفٍّ كَالْبِحَارِ
أَبَداً نُنْجِزُ لِلضَّيْـ ـفِ قُدُوراً مِنْ نُضَارِ

وَأَمَرَ جَوَارِيَهُ بِالْغِنَاءِ فِيهِ . وَأَمَّا أَبْيَاتِى فَإِنِّى تَمَّمْتُهَا قَصِيدَةً وَمَدَحْتُهُ بِهَا وَهِىَ مُثْبَتَةٌ فِى دِيوَانِ شِعْرِى . قَالَ : وَجَلَسَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَقَدْ تَحَوَّلَتْ لَهُ سَنَةٌ شَمْسِيَّةٌ مِنْ يَوْمِ مَوْلِدِهِ عَلَى عَادَةٍ لَهُ فِى ذَلِكَ ، وَكَانَ عَادَتُهُ أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ بَقِىَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ سَاعَةٌ أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ ، أَنْ يَأْكُلَ وَيَتَبَخَّرَ وَيَخْرُجَ فِى حَالِ التَّحْوِيلِ إِلَى مَجْلِسٍ عَظِيمٍ قَدْ عُبِّىَ [3] فِيهِ آلَاتُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُهُمَا ، وَفِيهَا أَنْوَاعُ الْفَاكِهَةِ وَالرَّيَاحِينِ ، وَيَجْلِسَ فِى دَسْتٍ عَظِيمِ الْقِيمَةِ ، وَيَجِىءَ الْمُنَجِّمُ فَيُقَبِّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُهَنِّئَهُ بِتَحْوِيلِ السَّنَةِ ،

(١) العذاران : الخدان ، وخلع العذار : كناية عن اتباع الهوى والانهماك فى الغى مع عدم المبالاة (٢) هجس : خطر ، وهى فى الأصل : « هجن » تحريف
(٣) عبى : حشد .

وَقَدْ حَضَرَ الْمُهَنُّونَ وَأَخَذُوا مَوَاضِعَهُمْ وَجَلَسُوا ، وَحَضَرَ النُّدَمَاءُ وَأَخَذُوا مَوَاقِفَهُمْ قِيَاماً وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَجْلِسُ بِحَضْرَتِهِ غَيْرِي وَغَيْرُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَسَوِيِّ (١) ، وَأَبِي الْحَسَنِ الصُّوفِيِّ الْمُنَجِّمِ ، وَأَمَّا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُوسُفَ صَاحِبُ دِيوَانِ الرَّسَائِلِ فَإِنَّهُ (٢) كَانَ يَجْلِسُ لِيُوَقِّعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُسْتَدْعَى لَهُ إِذَا نَشِطَ فَيَجْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَقْدَاحاً وَيَشْرَبُ مَعَهُ (٣) . وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَشْرَبَ يُوَقِّعُ بِمَالِ الصَّدَقَاتِ فَيُخْرَجُ ، وَالْغِنَاءُ يَمْضِي . ثُمَّ يَجِيءُ الْمُهَنُّونَ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ مِثْلُ رُؤَسَاءِ دَوْلَتِهِ وَوُجُوهِ الْكُتَّابِ وَالْعُمَّالِ وَكِبَارِ أَهْلِ الْبَلَدِ مِنَ الْأَشْرَافِ وَغَيْرِهِمْ فَيَدْخُلُونَ إِلَيْهِ فَيُهَنُّونَهُ وَالشُّعَرَاءُ فَيَمْدَحُونَهُ . فَلَمَّا جَلَسَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ قِيلَ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا لِلْخِدْمَةِ وَفِيهِمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أُمِّ شَيْبَانَ وَقَدْ حَضَرَ ، فَعَجِبَ مِنْ هَذَا ثُمَّ قَالَ : أَبُو الْحَسَنِ رَجُلٌ فَاضِلٌ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَيَّامِهِ وَمَا حَضَرَ إِلَّا لِفَرْطِ مُوَالَاتِهِ (٤) ، وَأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ يَوْمٌ لَا شُرْبَ فِيهِ لَنَا ، وَإِنْ حَجَبْنَاهُ غَضَضْنَا مِنْهُ (٥) ، وَإِنْ أَوْصَلْنَاهُ فَلَعَلَّهُ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ

(١) نسبة إلى « فسا » معرب « بسا » أنزه مدينة بفارس وأكبر مدن كورة دارابجرد (٢) هذا الجواب زدنا أما قبل أبى القاسم ، وكان رئيس ديوان الانشاء (٣) فى الأصل « منه » تحريف ، وكذلك جاءت فيه كلمة « أقداحا » عقب كلمة « يمضى » فى السطر بعد خطأ (٤) أى لشدة مناصرته وإخلاصه (٥) أى خفضنا من قدره

لأَجلِ الغِنَاءِ وَالنَّبِيذِ ، وَلكِنِ اُخرُجْ إِلَيْهِ يَا فُلَانُ « لِبَعْضِ مَنْ كَانَ قَائِمًا مِنَ النُّدَمَاءِ » وَاشْرَحْ لَهُ صِفَةَ المَجْلِسِ وَمَا قُلْتُهُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَأَدِّ الرِّسَالَةَ إِلَيْهِ ظَاهِرًا لِيَسْمَعَهَا النَّاسُ ، فَإِنْ أَحَبَّ الدُّخُولَ فَأَدْخِلْهُ قَبْلَهُمْ ، وَإِنْ أَرَادَ الانْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ وَالنَّاسُ يَسْمَعُونَ وَقَدْ عَلِمُوا مَنْزِلَتَهُ مِنَّا . فَخَرَجَ الْحَاجِبُ وَأَبْلَغَ ذَلِكَ ، فَدَعَا وَشَكَرَ وَآثَرَ الانْصِرَافَ ، فَانْصَرَفَ وَهُمْ جُلُوسٌ يَسْمَعُونَ ، ثُمَّ قَالَ لِحَاجِبِ النَّوْبَةِ (١) : اُخْرُجْ وَأَدْخِلِ النَّاسَ ، وَأَبُو الفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ فَسَانْجِسَ وَأَخُوهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ ابْنُ العَبَّاسِ يَتَقَدَّمُونَ النَّاسَ جَمِيعَهُمْ لِرِيَاسَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ حَتَّى دَخَلُوا وَقَبَّلُوا الأَرْضَ عَلَى الرَّسْمِ فِي ذَلِكَ (٢) وَأَعْطَوْهُ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ وَوَقَفُوا ، وَابْتَدَأَ الشُّعَرَاءُ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ يُنْشِدُهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ السَّلَامِيُّ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَّا أَنَّهُ يُرِيدُ مِنِّي أَنْ أُنْشِدَهُ فِي الْمَلَإِ (٣) شَيْئًا ، فَإِنَّهُ كَانَ يَأْمُرُنِي بِذَلِكَ مِنَ اللَّيْلِ فَأَحْضُرُ وَأَبْتَدِئُ فَأُنْشِدُهُ أَوْ يَحْضُرُ رَجُلٌ عَلَوِيٌّ يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ فَيَجْعَلُ عَقِيبِي ، ثُمَّ يُنْشِدُ السَّلَامِيُّ أَبُو الْحَسَنِ ثُمَّ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ التَّنُوخِيُّ الشَّامِيُّ مِنْ أَهْلِ مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ يُعْرَفُ بِابْنِ جِلْبَابٍ ، ثُمَّ يَتَتَابَعُ الشُّعَرَاءُ .

(١) النوبة : الدولة (٢) أي على العادة (٣) الملأ : علية القوم وذوو الشارة ، ويطلق على الجماعة من الناس

فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ وَتَوَسَّطَ الشُّرْبُ جَاءَهُ الْحَاجِبُ فَقَالَ: قَدْ حَضَرَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْفَسَوِيُّ، وَكَانَ هَذَا شَيْخاً قَدْ أَقَامَ بِالْبَصْرَةِ وَشَهِدَ عِنْدَ الْقَاضِي بِهَا، وَقَدْ وَفَدَ إِلَى بَابِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَقَامَ، وَكَانَ خَادِماً لَهُ فِيمَا يَخْدُمُ فِيهِ التُّجَّارُ يَخْتَصُّهُ بَعْضَ الاخْتِصَاصِ، فَأَقْبَلَ وَكَانَ بَيْنَ يَدَيَّ الدَّسْتُ التَّمْرِيُّ الَّذِي يُوضَعُ بَيْنَ يَدَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَفِيهِ مِنَ الْأَشْرِبَةِ الْمُحَلَّلَةِ مَا جَرَتْ عَادَتِي بِشُرْبِ الْيَسِيرِ مِنْهُ بَيْنَ يَدَيْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى سَبِيلِ الْمُنَادَمَةِ وَالْمُؤَانَسَةِ وَالْمُبَاسَطَةِ، وَكَانَ قَدْ وَسَمَنِي وَأَلْزَمَنِي ذَلِكَ بَعْدَ امْتِنَاعِي مِنْهُ شُهُوراً حَتَّى قَدْ رَدَّنِي وَأَخَافَنِي. فَقَالَ لِي: يَا قَاضِي، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي اسْتُؤْذِنَ لَهُ عَامِيٌّ جَاهِلٌ بِالْعِلْمِ، وَإِنَّمَا اسْتَخْدَمْتُهُ رِعَايَةً لِحُرُمَاتٍ لَهُ عَلَيَّ [1]، وَلِأَنَّهُ كَانَ يَخْدُمُ أُمِّي فِي الْبَزِّ [2] وَيَدْخُلُ إِلَيْهَا بِإِذْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ لِتُقَاهُ وَأَمَانَتِهِ فَلَا تَسْتَتِرُ عَنْهُ وَهَذَا قَبْلَ أَنْ أُولَدَ، فَلَمَّا وُلِدْتُ كَانَ يَحْمِلُنِي عَلَى كَتِفِهِ إِلَى أَنْ تَرَجَّلْتُ [3]، ثُمَّ صَارَ يَشْتَرِي الْبَزَّ وَيَبِيعُهُ عَلَيَّ وَاسْتَمَرَّتْ خِدْمَتُهُ لِحُرْمَتِهِ وَهُوَ قَاطِنٌ بِالْبَصْرَةِ، وَلَعَلَّهُ يَدْخُلُ فَيَرَى مَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَيَظُنُّهُ خَمْراً فَيَرْجِعُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَيُخْبِرُ قَاضِيَهَا

(١) أي لحقوق وذمم تجب مراعاتها (٢) البز: الثياب ومتاع البيت من الثياب ونحوها (٣) أي مشيت على رجلي

وَشُهُودَها بذلك فيقدح فيك، وَمَحَلُّهُ يُوجِبُ أَنْ يكشف لك عُذْرَكَ، وَلَكِنْ أَزِحِ الدَّسْتَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى يَصِيرَ بَيْنَ يَدَىْ أَبِى عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُنَجِّمِ « وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُنَجِّمِ يَجْلِسُ دُونِى بِفُسْحَةٍ فِى الْمَجْلِسِ » فَإِذَا دَخَلَ رَأَى الدَّسْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ دُونَكَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى حِكَايَةٍ يَطْعَنُ بِهَا عَلَيْكَ. فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ شُكْراً لِهَذَا التَّطَوُّلِ فِى الْإِنْعَامِ، وَبَاعَدْتُ الدَّسْتَ إِلَى أَبِى عَبْدِ اللهِ ثُمَّ قَالَ: أَدْخِلُوهُ، وَشَاهَدَ الْمَجْلِسَ وَهَنَّأَ وَدَعَا وَأُعْطِىَ دِينَاراً وَدِرْهَماً كَبِيرَيْنِ فِيهِمَا عِدَّةُ مَثَاقِيلَ وَانْصَرَفَ.

قَالَ أَبُو عَلِىٍّ: وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا مَا عَامَلَنِى بِهِ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِىُّ، وَذَكَرَ الْحِكَايَةَ الَّتِى سَبَقَ ذِكْرُهَا آنِفاً مَعَ قَاضِى الْقُضَاةِ أَبِى السَّائِبِ، وَحَدِيثَ تَقْرِيبِهِ مِنْهُ وَمُسَارَّتِهِ إِيَّاهُ فِى الْمَحْفِلِ لِيَعْظُمَ بِذَلِكَ قَدْرُهُ، وَتَكْبُرَ مَنْزِلَتُهُ فِى عَيْنِ قَاضِى الْقُضَاةِ أَبِى السَّائِبِ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ

لَوْلَا مُلَاحَظَةُ الْكَبِيرِ صَغِيرَهُ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ فِى الْأَنَامِ كَبِيرُ

قَالَ الرَّئِيسُ أَبُو الْحَسَنِ هِلَالٌ: وَفِى شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَخِطَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْقَاضِى أَبِى عَلِىٍّ الْمُحَسِّنِ بْنِ عَلِىٍّ التَّنُوخِىِّ وَأُلْزِمَ مَنْزِلَهُ وَصُرِفَ عَمَّا كَانَ يَتَقَلَّدُهُ، وَقُسِمَ ذَلِكَ عَلَى

أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْمَحَامِلِيِّ، وَأَبِي مُحَمَّدِ ابْنِ عُقْبَةَ، وَأَبِي تَمَّامِ بْنِ أَبِي حُصَيْنٍ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَزْرَقِ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْرَمِيِّ. وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ التَّنُوخِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ وَالِدِي قَالَ: كُنْتُ بِهَمَذَانَ مَعَ الْمَلِكِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فَاتَّفَقَ أَنْ مَضَيْتُ يَوْمًا إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ شَاهَوَيْهِ رَسُولِ الْقَرَامِطَةِ (١) وَالْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَهُمْ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، وَمَعِي أَبُو عَلِيٍّ الْهَائِمُ وَجَلَسْنَا نَتَحَدَّثُ، وَقَعَدَ أَبُو عَلِيٍّ عَلَى بَابِ خَرْكَاهَ (٢)، كُنَّا فِيهِ وَقُدِّمَ إِلَيْهِ مَا يَأْكُلُهُ فَقَالَ لِي: أَجْعَلْ أَيُّهَا الْقَاضِي فِي نَفْسِكَ الْمُقَامَ فِي هَذِهِ الشَّتْوَةِ فِي هَذَا الْبَلَدِ. فَقُلْتُ لِمَ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْمَلِكَ مُدَبِّرٌ فِي الْقَبْضِ عَلَى الصَّاحِبِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّادٍ وَكَانَ قَدْ وَرَدَ إِلَى حَضْرَتِهِ بِهَمَذَانَ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ تَشَاغَلَ بِمَا يَتَطَاوَلُ مَعَهُ الْأَيَّامُ وَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ. فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْهَائِمُ: قَدْ سَمِعْتُ مَا كُنْتُمَا فِيهِ، وَهَذَا أَمْرٌ يَنْبَغِي أَنْ تَطْوِيَهُ وَلَا تَخْرُجَ بِهِ إِلَى أَحَدٍ وَلَا سِيَّمَا إِلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ أَحْمَدَ الشِّيرَازِيِّ. فَقُلْتُ أَفْعَلُ وَنَزَلْتُ إِلَى خَيْمَتِي وَجَاءَنِي مَنْ كَانَتْ لَهُ عَادَةٌ جَارِيَةٌ بِمُلَازَمَتِي وَمُوَاصَلَتِي

(١) القرامطة: فرقة من غلاة الشيعة، الواحد قرمطى (٢) الخركاه: القبة التركية، فارسية معربها خرقاهة، وكلمة «على» السابقة لباب كانت ساقطة من الأصل كما نبه بهامشه

وَمُواكَلَتِي وَمُشارَبَتِي ، وَفِيهِمْ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَحْمَدَ الشِّيرَازِيُّ فَقَالَ لِي: أَيُّها الْقَاضِي، أَنْتَ مَشْغُولُ الْقَلْبِ فَمَا الَّذِي حَدَثَ ؟ فَاسْتَرْسَلْتُ عَلَى أُنْسٍ كَانَ بَيْنَنَا وَقُلْتُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَلِكَ مُقِيمٌ وَقَدْ عَمِلَ عَلَى كَذَا فِي أَمْرِ الصَّاحِبِ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَطَاوُلِ السَّنَةِ . فَلَمْ يَتَمَالَكْ أَنِ انْصَرَفَ وَاسْتَدْعَى رِكَابِيًّا[١] مِنْ رِكَابِيَّتِي وَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كُنْتُمُ الْيَوْمَ ؟ فَقَالَ :عِنْدَ أَبِي بَكْرِ ابْنِ شَاهَوَيْهِ. قَالَ : وَمَا صَنَعْتُمْ ؟ قَالَ :لَا أَدْرِي، إِلَّا أَنَّ الْقَاضِيَ أَطَالَ عِنْدَهُ الْجُلُوسَ وَانْصَرَفَ إِلَى خَيْمَتِهِ عَنْهُ وَلَمْ يَمْضِ إِلَى غَيْرِهِ ، فَكَتَبَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ رُقْعَةً يَقُولُ فِيهَا : كُنْتُ عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي عَلِيٍّ التَّنُوخِيِّ فَقَالَ كَذَا وَكَذَا ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشُكُّ فِيهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ أَبِي بَكْرِ بْنِ شَاهَوَيْهِ وَرُبَّمَا كَانَ لِهَذَا الْحَدِيثِ أَصْلٌ، وَإِذَا شَاعَ الْخَبَرُ بِهِ وَأُظْهِرَ السِّرُّ فِيهِ فَسَدَ مَا دُبِّرَ فِي مَعْنَاهُ .

فَلَمَّا وَقَفَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى الرُّقْعَةِ وَجَمَ وُجُوماً شَدِيداً وَقَامَ مِنْ سِمَاطٍ كَانَ قَدْ عَمِلَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى مَنَابِتِ الزَّعْفَرَانِ لِلدَّيْلَمِ مُغِيظاً وَاسْتَدْعَانِي وَقَالَ لِي : بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا حَاكِياً عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ شَاهَوَيْهِ، فَمَا الَّذِي جَرَى بَيْنَكُمَا

(١) منسوب إلى الركاب : وهي الابل ، والجمع ركائب

فِى ذَلِكَ ؟ قلتُ: لَمْ أَقُلْ مِنْ ذَلِكَ شيئًا نَجْمَع بَيْنِى وَبَيْنَ أَبِى الفضلِ ابْنِ أَبِى أَحْمَدَ ووَافقنِى (١) وَأَنكرتُهُ وراجعنِى وكذَّبتُهُ، وَأُحْضِرَ أَبُو بكرِ بْنُ شاهوَيْهِ وَسُئِلَ عَنِ الحكايَةِ فقالَ: مَا أَعْرِفُهَا وَلَا جرَى بَيْنِى وَبَيْنَ القَاضِى قولٌ فِى معنَاهَا، وَثقلَ عَلَى أَبِى بكرٍ هذهِ المُوَافقةَ وقَالَ: مَا نُعَامِلُ الأضيافَ بِهذِهِ المعَامَلَةِ.

وَسُئِلَ أَبُو عَلِىٍّ الهائِمُ عمَّا سَمِعَهُ فقَالَ: كُنتُ خارِجَ الخَرْكَاهِ وَكُنْتُ مَشغولًا بالأكلِ ومَا وَقفتُ عَلَى مَا كَانَا فِيهِ، فمُدَّ وَضُرِبَ مِائَتَىْ مقرَعَةٍ وَأُقِيمَ فَنَفَضَ ثِيَابَهُ، وَخَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللهِ سَعْدَانُ وَكَانَ لِى مُحِبًّا فقَالَ لِى: المَلِكُ يَقُولُ لكَ: أَلَمْ تَكُنْ صَغِيرًا فَكَبَّرْنَاكَ، وَمُتَأَخِّرًا فقدَّمْنَاكَ، وَخامِلًا فنَبَّهْنَا عليكَ، وَمُقتِرًا فَأَحسنَّا إِلَيْكَ ؟؟؟ فمَا بَالُكَ جَحَدْتَ نِعمَتَنَا وَسَعَيْتَ فِى الفَسَادِ عَلَى دَوْلَتِنَا ؟ قُلتُ: أَمَّا اصطِنَاعُ المَلِكِ لِى فأَنَا مُعتَرِفٌ بِهِ، وَأَمَّا الفَسَادُ عَلَى دَوْلَتِهِ فمَا عَلِمْتُ أَنِّى فَعَلْتُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فقدْ كُنتُ مَسْتُورًا فَهَتَكَنِى، وَمَتَصَوِّنًا فَفَضَحَنِى، وَأَدْخَلَنِى مِنَ الشُّرْبِ وَالمُنَادَمَةِ بِمَا قَدَحَ فِىَّ. فقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: هَذَا قَوْلٌ لَا أَرَى الإِجَابَةَ بِهِ لِئَلَّا يَتَضَاعَفَ مَا نَحْنُ مُحْتَاجُونَ

(١) أى وقف معى فى خصومته مخالفا

إِلَى الاعْتِذَارِ وَالتخلصِ منهُ ، وَلَكِنَّنِي أَقولُ عنكَ كَذَا وَكَذَا بجوابٍ لطيفٍ فاعرفهُ حتى إِنْ سُئلتَ عنهُ وافقتَنِي فيهِ. وتركنِي وانصرفَ، وجلستُ مكانِي طويلاً وعندِي أَنِّي مقبوضٌ عليَّ ثُمَّ حملتُ نفسِي على أَنْ أَقومَ وأَسبرَ الأَمرَ (١) وقمتُ وخرجتُ من الخيمةِ فدعا البوّابونَ دابّتِي على العادةِ وَرجعتُ إِلى خيمتِي منكسرَ النفسِ منكسفَ البالِ، فصارَ الوقتُ (٢) الذي أُدعَى فيهِ للخدمةِ، فجاءنِي رسولُ ابنِ الخلاجِ على الرسمِ وحضرتُ المجلسَ، فلَمْ يرفعِ الملكُ إِليَّ طرفاً ولا لوَى إِليَّ وجهاً، ولَمْ يزلِ الحالُ على ذلكَ خمسةً وأَربعينَ يوماً، ثُمَّ استدعانِي وهوَ في خركاهَ وبينَ يديهِ أَبو القاسمِ عبدُ العزيزِ بنُ يوسفَ وعلى رأسِهِ أَبو الثناءِ شُكرٌ الخادمُ فقالَ: وَيلكَ، اصدقنِي عمّا حكاهُ أَبو الفضلِ بنُ أَحمدَ فقلتُ: كذبَ منهُ، ولَوْ ذكرتَ لمولانا ما يقولُهُ لمَا أَقالهُ العثرةَ (٣). فقالَ: أَوَمِنْ حقوقِي عليكُمْ أَنْ تُسيئوا غيبتِي وتتشاغلوا بذكرِي؟. فقلتُ: أَمّا حقوقُ النعمةِ فظاهرةٌ، وأَمّا حديثُكَ فنحنُ نتفاوضُهُ دائماً. فالتفتَ إِلى أَبي القاسمِ وقالَ: اسمعْ ما يقولُ. فقالَ لهُ بالفارسيةِ وعندهُ أَنِّي لا أَعرفُها: هؤلاءِ البغداديونَ

(١) أى أختبره (٢) فصار الخ : صار تامة : أى حل الوقت الخ
(٣) أى لما تركه دون أن يعثر

مفتونون (١) ومفسدون ومتسوقون (٢). وقال شكر: الأمر كذلك، إلا أن التسوق على القاضي لا منه.

ثم قال لي عضد الدولة: عرفنا ما قاله أبو الفضل. قلت: هو ما لا ينطق لساني به. فقال: هاته، وكان يحب أن تعاد الأحاديث والأقاويل على وجهها من غير كناية عنها ولا احتشام فيها. فقلت: نعم قال: إنك عند وفاة والدك بشيراز أنفذت من كرمان وأخذت جاريته زرياب، وأن الخادم المخرج في ذاك وافى ليلة الشهر فاجتهدت به أن يتركها تلك الليلة لتوفى أيام الحق (٣) فلم يفعل ولا رعى للماضي حقا ولا حرمة. فقال: والله لقد أنكرنا على الخادم إخراجه إياها على هذا الإعجال ولو تركها يوما وأياما لجاز، وبعد فهذا ذنب الخادم ولا عمل لنا فيه ولا عيب علينا به، ثم ماذا؟ قلت: وقال: إن مولانا يعشق كنجك المغنية ويتهالك في أمرها وربما نهض إلى الخلاء فاستدعاها إلى هناك وواقعها. فقال: إنا لله، لعنكما الله ولا بارك فيكما، ثم ماذا؟ فأوردت عليه أحاديث سمعتها من غير أبي الفضل ونسبتها إليه وقلت: لم أعلم أنني أقوم هذا المقام فأحفظ أقواله، وقد ذكر أيضا هذا الأستاذ

(١) أي مغروررون مدخولون (٢) أي حطابون خلاطون (٣) اى لتتم أيام الحداد الواجبة لمولاها

وَأَوْمَأْتُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ وَأَبِي الرَّيَّانِ وَجَمَاعَةِ الْحَوَاشِى فَقَالَ مَاقَالَ فِى أَبِي الْقَاسِمِ ؟ قُلْتُ قَالَ : إِنَّهُ ابْتَاعَ مِنْ وَرَثَةِ ابْنِ بَقِيَّةَ نَاحِيَةَ الزَّاوِيَةِ مِنْ رَاذَانَ (١) بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ بَعْدَ أَنِ اسْتَأْذَنَكَ اسْتِئْذَانًا سَلَكَ فِيهِ سَبِيلَ السُّخْرِيَةِ وَالْمُغَالَطَةِ وَاسْتَغَلَّهَا فِى سَنَةٍ وَاحِدَةٍ نَيِّفًا (٢) عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَإِنَّهُ أَعْطَى فُلَانًا وَفُلَانًا ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ عَلَى ظَاهِرِ الْبِضَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ فَأَعْطَاهُ نَيِّفًا وَسِتِّينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَمَاتَ أَبُو الْقَاسِمِ عِنْدَ سَمَاعِهِ ذَلِكَ، وَأَوْرَدْتُ مَا أَوْرَدْتُهُ مِنْهُ مُقَابَلَةً (٣) عَلَى مَا ذَكَرَنِى بِهِ . قُلْتُ : وَقَالَ فِى أَبِي الرَّيَّانِ كَذَا وَكَذَا لِأُمُورٍ ذَكَرْتُهَا .

وَحَضَرْتُ آخِرَ النَّهَارِ الْمَجْلِسَ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى رَسْمِى فَعَاوَدَ التَّقْرِيبَ لِى وَالْإِقْبَالَ عَلَىَّ ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ سَكِرَ فِى بَعْضِ الْأَيَّامِ وَوَلِعَ بِكَنْجَكَ وَلَعًا قَالَ لِى فِيهِ : وَهَذَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْفَضْلِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ ، فَقَلِقَ أَبُو الْفَضْلِ وَقَرُبَ مِنِّى وَكُنْتُ أَقْعُدُ وَيَقُومُ . وَقَالَ لِى : مَا الَّذِى أَوْمَأَ إِلَىَّ الْمَلِكُ فِيهِ ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِى فَسَلْهُ أَنْتَ عَنْهُ ، ثُمَّ رَحَلْنَا عَائِدِينَ إِلَى بَغْدَادَ

(١) رازان الأعلى والأسفل : كورتان بسوار بغداد ، ويقال أيضا : قرية بنواحى المدينة (٢) النيف : الزيادة ، وكل ما زاد على العقد فنيف إلى أن يبلغ العقد الثانى .
(٣) أى معارضة

فرآنى الملك فى الطريق وعلىّ ثياب حسنة وتحتى بغلة بمركب وجناغ (١) جواد فقال لى: من أين لك هذه البغلة؟ قلت: حملنى عليها الصاحب أبو القاسم بمركبها وجناغها وأعطانى عشرين قطعة ثيابا وسبعة آلاف درهم. فقال: هذا قليل لك منه مع ما تستحقه عليه، فعلمت أنه اتهمنى به وبأنى خرجت بذلك الحديث إليه وما كنت حدثته به، ووردنا إلى بغداد تحكى لى: أن الطائع لله متجاف عن ابنته المنقولة إليه وأنه لم يقربها إلى تلك الغاية فثقل ذلك عليه وقال لى: تمضى إلى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية: إنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها وإدنائه إياها، ويعود الأمر إلى ما يستقيم به الحال ويزول معه الانقباض، فقد كنت وسيط هذه المصاهرة فقلت: السمع والطاعة، وعدت إلى دارى لألبس ثياب دار الخلافة، فاتفق أن زلقت ووثئت (٢) رجلى، فأنفذت إلى الملك أعرفه عذرى فى تأخرى عن أمره فلم يقبله، وأنفذ إلىّ من يستعلم خبرى، فرأى الرسول لى غلمانا روقة (٣) وفرشا جميلا، فعاد إليه وقال له: هو متعالل وليس بعليل، وشاهدته على صورة كذا وكذا

(١) الجناغ: ضرب من الأثاث، فارسى (٢) وثئت رجلى: أصابها وثء، وهى فك فى العظام (٣) أى حسانا جمع رائق

وَالنَّاسُ يَغْشَوْنَهُ وَيَعُودُونَهُ ، فَاغْتَاظَ غَيْظاً مُجَدَّداً [١] حَرَّكَ مَا فِى نَفْسِهِ مِنِّى أَوَّلاً ، فَرَاسَلَنِى بِأَنِ الْزَمْ بَيْتَكَ وَلَا تَخْرُجْ عَنْهُ وَلَا تَأْذَنْ لِأَحَدٍ فِى الدُّخُولِ عَلَيْكَ فِيهِ إِلَّا نَفَرٍ مِنْ أَصْدِقَائِى اسْتَأْذَنْتُ فِيهِمْ فَاسْتَثْنَى بِهِمْ [٢] ، وَمَضَتِ الْأَيَّامُ وَأُنْفِذَ إِلَىَّ أَبُو الرَّيَّانِ فَطَالَبَنِى بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكُنْتُ اسْتَسْلَفْتُهَا مِنْ إِقْطَاعِى [٣] فَأَدَّيْتُهَا إِلَيْهِ ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى السُّخْطُ وَالصَّرْفُ عَنِ الْأَعْمَالِ إِلَى حِينِ وَفَاةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ .

وَذَكَرَ غَرْسُ النِّعْمَةِ بْنُ هِلَالٍ : حَدَّثَنِى بَعْضُ السَّادَةِ الْأَصْدِقَاءِ وَأُنْسِيتُهُ وَأَظُنُّهُ أَبَا طَاهِرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْكَرْخِىَّ قَالَ : كَانَتْ بِنْتُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ لَمَّا زُفَّتْ إِلَى الطَّائِعِ بَقِيَتْ بِحَالِهَا لَا يَقْرَبُهَا خَوْفاً أَنْ تَحْمِلَ مِنْهُ فَتَسْتَوْلِىَ الدَّيْلَمُ عَلَى الْخِلَافَةِ ، وَكَانَ الطَّائِعُ يُحِبُّهَا حُبّاً شَدِيداً زَائِداً مُوفِياً ، وَيَقْفِلُ عَلَيْهَا بَابَ حُجْرَتِهَا إِذَا شَرِبَ وَيَقُولُ لِلْخَدَمِ : خُذُوا الْمِفْتَاحَ وَلَا تُعْطُونِيهِ إِذَا سَكِرْتُ وَرُمْتُ الدُّخُولَ إِلَيْهَا وَلَوْ فَعَلْتُ مَهْمَا فَعَلْتُ ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ مَكَّنْتُمُ مِنْ ذَاكَ لَأَقْتُلَنَّ الَّذِى يُمَكِّنُنِى مِنْهُ ، فَإِذَا سَكِرَ مَنَعَهُ السُّكْرُ مِنَ التَّمَاسُكِ [٤] ، وَحَمَلَهُ الْحُبُّ وَالْهَوَى عَلَى الْمُضِىِّ إِلَيْهَا وَالدُّخُولِ عَلَيْهَا فَيَجِىءُ إِلَى بَابِهَا وَيَأْمُرُ

(١) أى جديداً (٢) أى استثناهم وأخرجهم من عدم الاذن (٣) أى غلة ما أقطعنى الامام من الأرض للانتفاع بغلتها . (٤) أى ضبط النفس

بِفَتْحِهِ وَيَتَهَدَّدُ وَيَتَوَعَّدُ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، وَلَا يُقِرُّ لَهُ أَحَدٌ بِمَعْرِفَةِ الْمِفْتَاحِ أَيْنَ هُوَ ؟ وَلَا مَنْ هُوَ مَعَهُ إِلَى أَنْ يَنْصَرِفَ أَوْ يَنَامَ ، فَذَاكَ كَانَ دَأْبُهُ وَدَأْبُهَا ، وَتَقَدَّمَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ التَّنُوخِيِّ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ بِأَنْ يَمْضِيَ إِلَى الطَّائِعِ وَيُطَارِحَهُ(١) عَنْ وَالِدَةِ الصَّبِيَّةِ فِي الْمَعْنَى بِمَا يَسْتَزِيدُهُ فِيهِ لَهَا وَيَبْعَثُهُ بِهِ عَلَيْهَا بِأَسْبَابٍ يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا وَأَقْوَالٍ يَصِفُهَا وَيُومِئُ إِلَى الْغَرَضِ فِيهَا رَتَّبَهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَلَقَّنَهُ إِيَّاهَا وَفَهَّمَهُ فَقَالَ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى الطَّائِعِ ، وَخَافَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ إِنْ خَالَفَ مَا رَسَمَهُ لَهُ ، فَأَظْهَرَ مَرَضًا وَعَادَهُ أَصْدِقَاؤُهُ مِنْهُ وَاعْتَذَرَ بِهِ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَوَقَعَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ بَاطِنُ الْأَمْرِ ، وَأَمَرَ بَعْضَ الْخَدَمِ الْخَوَاصِّ بِالْمُضِيِّ إِلَى التَّنُوخِيِّ لِعِيَادَتِهِ وَتَعَرُّفِ خَبَرِهِ وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ وَيَرْكَبَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدَّرْبِ ، ثُمَّ يَعُودَ فَيَدْخُلَ عَلَيْهِ هَاجِمًا ، فَإِنْ كَانَ عَلَى حَالِهِ فِي فِرَاشِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ لَهُ أَمْرٌ أَعْطَاهُ مِائَتَيْ دِينَارٍ أَصْحَبَهُ إِيَّاهَا لِنَفْسِهِ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ عَادَ لِأَجْلِهَا لِأَنَّهُ أُنْسِيهَا مَعَهُ ؟ وَإِنْ وَجَدَهُ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا عَنِ الْفِرَاشِ قَالَ لَهُ : الْمَلِكُ يَقُولُ لَكَ : لَا تَخْرُجْ عَنْ دَارِكَ إِلَيْنَا وَلَا إِلَى غَيْرِنَا ، وَانْصَرَفَ . قَالَ

(١) يطارحه : يناظره

الْخَادِمُ : فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي فِرَاشِهِ وَعَلَيْهِ دِثَارُهُ وَخَاطَبْتُهُ عَنِ الْمَلِكِ فَشَكَرَ وَأَعَادَ جَوَابًا ضَعِيفًا لَمْ أَكَدْ أَفْهَمُهُ ، وَخَرَجْتُ ثُمَّ عُدْتُ عَلَى مَا رَسَمَ الْمَلِكُ[1] ، فَهَجَمْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ قَائِمًا يَمْشِي حَوْلَ الْبُسْتَانِ ، فَلَمَّا رَآنِي اضْطَرَبَ وَتَحَيَّرَ فَقُلْتُ لَهُ : الْمَلِكُ يَقُولُ لَكَ : لَا تَبْرَحْ دَارَكَ لَا إِلَيْنَا وَلَا إِلَى غَيْرِنَا وَخَرَجْتُ ، فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ .

﴿ ٣١ – مُحَمَّدُ بْنُ آدَمَ بْنِ كَمَالٍ أَبُو الْمُظَفَّرِ الْهَرَوِيُّ * ﴾

محمد بن آدم الهروى

ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَارِسِيُّ فِي السِّيَاقِ وَقَالَ . مَاتَ بَغْتَةً سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْحُسَيْنِ ، وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ بِقُرْبِ قَبْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّرَّاجِ وَوَصَفَهُ فَقَالَ : الْأُسْتَاذُ الْكَامِلُ الْإِمَامُ فِي الْأَدَبِ وَالْمَعَالِي ، الْمُبَرِّزُ عَلَى أَقْرَانِهِ وَعَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِاسْتِخْرَاجِ الْمَعَانِي وَشَرْحِ الْأَبْيَاتِ ، وَلَهُ أَمْثَالٌ وَغَرَائِبُ التَّفْسِيرِ بِحَيْثُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ، وَمَنْ تَأَمَّلَ فَوَائِدَهُ فِي كِتَابِ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ وَكِتَابِ شَرْحِ الْإِصْلَاحِ وَكِتَابِ شَرْحِ أَمْثَالِ أَبِي عُبَيْدٍ وَكِتَابِ شَرْحِ دِيوَانِ أَبِي الطَّيِّبِ وَغَيْرِهَا اعْتَرَفَ لَهُ بِالْفَضْلِ وَالِانْفِرَادِ ، وَتَلْمَذَ لِلْأُسْتَاذِ أَبِي بَكْرٍ الْخُوَارِزْمِيِّ الطَّبَرِيِّ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى

(١) أى أمر

(*) لم نعثر على من ترجم له فيما رجعنا إليه من مظان

الْقَاضِي أَبِي الْهَيْثَمِ ، ثُمَّ جَدَّدَ الْفِقْهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْعَلَاءِ صَاعِدٍ ، وَكَانَ يَقْعُدُ لِلتَّدْرِيسِ فِي النَّحْوِ وَشَرْحِ الدَّوَاوِينِ وَالتَّفْسِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَأَمَّا الْحَدِيثُ فَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُ نُقِلَ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ لِاشْتِغَالِهِ عَمَّا سِوَاهُ لَا لِعَدَمِ السَّمَاعِ لَهُ .

﴿ ٣٢ – مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ بْنِ سَيِّدِ بْنِ أَبَانَ * ﴾

محمد بن أبان القرطبي

اللَّخْمِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقُرْطُبِيُّ ، كَانَ عَالِمًا بِاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ حَافِظًا لِلْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ وَالْأَيَّامِ (١) وَالْمَشَاهِدِ (٢) وَالتَّوَارِيخِ ، أَخَذَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ وَعَنْ غَيْرِهِ ، وُلِّيَ أَحْكَامَ الشُّرْطَةِ وَكَانَ مَكِينًا عِنْدَ الْمُنْتَصِرِ ، وَأَلَّفَ لَهُ الْكُتُبَ وَكَتَبَ عَنْهُ ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

﴿ ٣٣ – مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ سَمُرَةَ * ﴾

محمد بن إبراهيم الفزاري

ابْنِ جُنْدُبِ بْنِ هِلَالِ بْنِ جُرَيْجِ بْنِ مَسَرَّةَ بْنِ حَزْنِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ جَابِرِ بْنِ ذِي الرَّأْسَيْنِ وَاسْمُهُ خُشَيْنُ بْنُ لَايِ بْنِ عَصِيمِ بْنِ شَمْخِ ابْنِ فَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ

(١) أى الوقائع ، من إطلاق الزمان وإرادة الحال فيه (٢) المشاهد : المواطن التى يجتمع فيها الناس

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

الْفَزَارِيُّ. وَلِسَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ صُحْبَةٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى شُرَطِ الْبَصْرَةِ إِذَا قَدِمَ الْكُوفَةَ، وَكَانَ الْفَزَارِيُّ هَذَا نَحْوِيًّا ضَابِطًا جَيِّدَ الْخَطِّ، أَخَذَ عَنِ الْمَازِنِيِّ وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَرَأْتُ كِتَابَ الْأَمْثَالِ لِلْأَصْمَعِيِّ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَرَأَهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَقَدْ كَذَبَ.

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَزَارِيُّ الْكُوفِيُّ عَالِمًا بِالنُّجُومِ. وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيُّ: أَرْبَعَةٌ لَمْ يُدْرَكْ مِثْلُهُمْ فِي فُنُونِهِمْ: الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَابْنُ الْمُقَفَّعِ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَالْفَزَارِيُّ.

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى: لَمْ يُرَ أَبْدَعَ فِي فَنِّهِ مِنَ الْكِسَائِيِّ فِي النَّحْوِ، وَالْأَصْمَعِيِّ فِي الشِّعْرِ، وَالْفَزَارِيِّ فِي النُّجُومِ، وَزَلْزَلَ فِي ضَرْبِ الْعُودِ. وَلِلْفَزَارِيِّ الْقَصِيدَةُ الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ زِيجَاتِ (١) الْمُنَجِّمِينَ وَهِيَ مُزْدَوِجَةٌ طَوِيلَةٌ تَدْخُلُ مَعَ تَفْسِيرِهَا عَشَرَةَ أَجْلَادٍ أَوَّلُهَا:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْظَمِ
ذِي الْفَضْلِ وَالْمَجْدِ الْكَبِيرِ الْأَكْرَمِ
الْوَاحِدِ الْفَرْدِ الْجَوَادِ الْمُنْعِمِ

---

(١) الزيجات: كتب علم الكواكب يؤخذ منها التقويم جمع زيجة

الخَالِقِ السَّبْعِ الْعُلَى طِبَاقَا
وَالشَّمْسِ يَجْلُو ضَوْءُهَا الإِغْسَاقَا (١)
وَالبَدْرِ يَمْلَا نُورُهُ الآفَاقَا
وَهِيَ هَكَذَا ثَلاثَةُ أَقْفَالٍ، ثَلاثَةُ أَقْفَالٍ (٢).

٣٤ – مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَوَّامِيُّ *

محمد بن إبراهيم العوامى

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ (٣): يُعْرَفُ بِالْقَاضِي وَكَانَ صَدِيقِي وَتُوُفِّيَ بَعْدَ الخَمْسِينَ وَالثَّلاثِمِائَةِ، وَلَهُ كِتَابُ الإِصْلاحِ وَالإِيضَاحِ فِي النَّحْوِ.

٣٥ – مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عِمْرَانَ *

محمد بن إبراهيم الحوزى

ابْنِ مُوسَى الحَوْزِيُّ الأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ النَّحْوِيُّ، مِنْ حَوْزِ فَارِسَ، وَكَانَ مِنَ الأُدَبَاءِ المُنَقِّرِينَ (٤) عَلَّامَةً فِي مَعْرِفَةِ الأَنْسَابِ وَعُلُومِ القُرْآنِ، نَزَلَ نَيْسَابُورَ مُدَّةً وَكَثُرَ الانْتِفَاعُ بِهِ، وَسَمِعَ حَمَّادَ بْنَ مُدْرِكٍ وَجَعْفَرَ بْنَ دَرَسْتَوَيْهِ الفَارِسِيَّيْنِ وَأَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ ابْنَ دُرَيْدٍ وَأَقْرَانَهُمْ. قَالَ الحَاكِمُ: وَجَاءَنَا نَعْيُهُ مِنْ فَارِسَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ.

(١) الاغساق: شدة ظلمة الليل (٢) أى أوزان متشابهة (٣) بالهامش «ص ٨٦»
(٤) أى الباحثين، جمع منقر
(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان، وترجم له فى فهرست ابن النديم، وترجم له فى بغية الوعاة
(*) ترجم له فى بغية الوعاة

﴿ ٣٦ – مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبُو سَعِيدٍ * ﴾

محمد بن إبراهيم

الْأَدِيبُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، دَرَسَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِي حَامِدٍ الْخَارْزَنْجِيِّ ، وَسَمِعَ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ يَعْقُوبَ وَأَبَا بَكْرٍ الْقَطَّانَ وَأَبَا عُثْمَانَ الْبَصْرِيَّ وَخَرَجَتْ لَهُ الْفَوَائِدُ وَحَدَّثَ . وَمَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ النِّصْفَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ الْحَاكِمُ فِي كِتَابِ نَيْسَابُورَ .

﴿ ٣٧ – مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَادَا * ﴾

محمد بن إبراهيم الجرباذقاني

الْجَرْبَاذَقَانِيُّ (١) أَبُو جَعْفَرٍ ، ذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ شَافِعٍ فِي تَارِيخِهِ وَقَالَ : مَاتَ فِي حَادِيَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَوَصَفَهُ فَقَالَ : رَفِيقُنَا الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ اللُّغَوِيُّ الْفَرَضِيُّ (٢) الْكَاتِبُ الْعَفِيفُ ، ذُو الْمُوَاتِّ وَالْخَصَائِصِ (٣) ، وَلَمَّا مَاتَ صَلَّى عَلَيْهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ نَاصِرٍ وَدُفِنَ فِي تُرْبَةٍ اسْتَجَدَّهَا أَبُو النَّجِيبِ بِظَاهِرِ التُّوثَةِ (٤) وَكُنَّا نَسْمَعُ مَعًا ، وَلَمْ أَرَ لَهُ مِثْلًا زُهْدًا وَعِلْمًا وَنُبْلًا ، وَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَاصْطَحَبْنَا ، وَكَانَ

---

(١) نسبة إلى جرباذقان : بلدة قريبة من همذان (٢) أى المنسوب إلى علم الفرائض « المواريث » (٣) المواتّ جمع ماتّة (٤) محلة فى غربى بغداد متصلة بالشونيزية وكانت فى الأصل : « التونة » بتاءين تحريف .

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

مُتَيَقِّظاً زاهِداً وَرِعاً ، وَصَنَّفَ كُتُباً فِي الْفَرائِضِ وَغَيْرِها ، وَكانَ شافِعِيَّ الْمَذْهَبِ ، وَلَوْ عاشَ لَكانَ صَدْرَ الآفاقِ ، وَلَقَدْ فَتَّ فِي عَضُدِي[١] فَقْدُهُ ، وَأَثَّرَ عِنْدِي بُعْدُهُ ، فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُ مُصِيبَتَنا فِيهِ .

محمد بن إبراهيم اللخمي

﴿ ٣٨ – مُحَمَّدُ بْنُ إِبْراهِيمَ بْنِ خَلَفٍ اللَّخْمِيُّ الْأَدِيبُ * ﴾

أَبُو عَبْدِ اللهِ يُعْرَفُ بِابْنِ زَرُّوقَةَ ، قالَ ابْنُ بَشْكُوالَ[٢] : كانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ مُعْتَنِياً بِطَلَبِهِ قَدِيماً مَشْهُوراً فِيهِ ، وَمِمَّنْ يَقُولُ الشِّعْرَ الْحَسَنَ ، لَهُ تَأْلِيفانِ فِي الْأَدَبِ وَالْأَخْبارِ . قالَ ابْنُ خَزْرَجٍ : قَرَأْتُهُما عَلَيْهِ ، وَمِنْ شُيُوخِهِ أَبُو نَصْرٍ النَّحْوِيُّ وَابْنُ أَبِي الْحُبابِ وَغَيْرُهُما ، وَتُوُفِّيَ فِي حُدُودِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

محمد بن إبراهيم البيهق

﴿ ٣٩ – مُحَمَّدُ بْنُ إِبْراهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ الْبَيْهَقِيُّ أَبُو سَعِيدٍ * ﴾

قالَ عَبْدُ الْغافِرِ : هُوَ رَجُلٌ فاضِلٌ مُتَدَيِّنٌ حَسَنُ الْعَقِيدَةِ ، صَنَّفَ فِي اللُّغَةِ كُتُباً مِنْها : كِتابُ الْهِدايَةِ ، كِتابُ الْغَيْبَةِ ،

---

(١) أى أضعفنى (٢) جاء بهامش الأصل يريد ابن الفرضى ، قد أورد ترجمته فى عدد ١٧٢٧ من كتابه المطبوع فى مدريد .

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان ، وترجم له فى كتاب ابن الفرضى طبع مدريد عدد ١٧٢٧

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

وَكَانَ مَاهِراً فِي ذَلِكَ النَّوْعِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ مَشَايِخِ نَيْسَابُورَ كَالْإِمَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الصَّابُونِيِّ وَالْإِمَامِ نَاصِرٍ الْمَرْوَزِيِّ .

٤٠ – مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ أَبُو جَعْفَرٍ *

محمد بن إبراهيم الاردستانى

الْأَرْدِسْتَانِيُّ « وَأَرْدِسْتَانُ مِنْ نَوَاحِي أَصْبَهَانَ بُلَيْدَةٌ » أَدِيبٌ فَاضِلٌ، حَدَّثَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّهْرَدَيْرِيِّ[١] وَأَحْمَدَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْأَسْفَاطِيِّ الْبَصْرِيِّ، وَكَتَبَ عَنْهُ أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْحَدَّادُ وَغَيْرُهُ بِأَصْفَهَانَ، ذَكَرَهُ يَحْيَى بْنُ مَنْدَةَ وَقَالَ: مَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

٤١ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ *

محمد بن أحمد الهاشمى

ابْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ، وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قُتِلَ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَيُلَقَّبُ بِأَبِي الْعِبَرِ .

قَالَ جَحْظَةُ : لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْفَظَ مِنْهُ لِكُلِّ عَيْنٍ[٢] وَلَا أَجْوَدَ شِعْراً، وَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا صِنَاعَةٌ إِلَّا وَهُوَ يَعْمَلُهَا بِيَدِهِ حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَعْجِنُ وَيَخْبِزُ، وَكَانَ أَبُوهُ أَحْمَدُ يُلَقَّبُ

---

١) نسبة إلى نهر الدير : نهر كبير بين البصرة ومطارى (٢) أى لكل جيد

(*) لم نعثر له على ترجمة فيما رجعنا إليه من المظان

(*) راجع فهرست ابن النديم ص ١٥٢

بالحَامِضِ ، وكانَ حافِظاً أَدِيباً فِى نِهايَةِ التَّسنُّنِ [١] ، قُتِلَ بِقَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَقَدْ خَرَجَ لِأَخْذِ أَرْزَاقِهِ مِنَ هُنَاكَ ، سَمِعَهُ قَوْمٌ مِنَ الشِّيعَةِ يَنْتَقِصُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَمَوْا بِهِ مِنْ فَوْقِ سَطْحٍ كَانَ بَائِتاً عَلَيْهِ فَمَاتَ فِى السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا .

وَذَكَرَهُ أَبُو الفَرَجِ الْأَصْبَهَانِىُّ فِى كِتَابِ الْأَغَانِى [٢] فَقَالَ : كَانَ أَبُوهُ أَحْمَدُ يُلَقَّبُ حَمْدُونَ الْحَامِضَ ، وُلِدَ لِمُضِىِّ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ خِلَافَةِ الرَّشِيدِ ، وَالرَّشِيدُ بُويِعَ فِى سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ وَعَاشَ إِلَى أَيَّامِ الْمُسْتَعِينِ بِاللهِ ، وَكَانَ فِى أَوَّلِ أَمْرِهِ يَسْلُكُ فِى شِعْرِهِ الْجِدَّ ثُمَّ عَدَلَ إِلَى الْهَزْلِ وَالْحَمَاقَةِ فَنَفَقَ بِذَلِكَ نَفَاقاً كَثِيراً ، وَجَمَعَ بِهِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ مِنْ شُعَرَاءِ عَصْرِهِ الْمُجِيدِينَ .

وَمِنْ سَائِرِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ

بِأَبِى مَنْ زَارَنِى مُكْتَئِباً ... خَائِفاً مِنْ كُلِّ حِسٍّ جَزِعَا

رَصَدَ الخَلْوَةَ حَتَّى أَمْكَنَتْ ... وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَعَا [٣]

قَمَرٌ نَمَّ عَلَيْهِ حُسْنُهُ ... كَيْفَ يُخْفِى اللَّيْلُ بَدْراً طَالِعَا ؟

رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِى زَوْرَتِهِ ... ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ [٤] : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ

---

(١) أى تحسين الكلام (٢) بالهامش ج ٢٠ : ٨٩ (٣) رصد الخلوة : ترقبها ، ورعى السامر الخ : راقبه حتى نام (٤) بهامش الأصل ص ١٥٢ : وقد أورد ابن إسحاق أبياتا من القصيدة العينية ، وذكر له كتبا غير الآتية .

جَامِع الْحَمَاقَاتِ وَحَاوِى الرَّقَاعَاتِ ، كِتَابُ الْمُنَادَمَةِ وَأَخْلَاقِ الرُّؤَسَاء . حَدَّثَ أَبُو عَلِيّ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَيْهَقِيُّ السَّلَامِيُّ : حَدَّثَنِي أَبُو أَحْمَدَ الْهُذَلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّعِيرِيُّ وَكَانَ شَاعِراً مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ قَالَ : اجْتَمَعْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّعَرَاء فِي مَجْلِسٍ نَتَنَاظَرُ وَنَتَنَاشَدُ وَنَتَسَاءَلُ وَنَعُدُّ شُعَرَاءَ زَمَانِنَا ، فَمَرَّ بِنَا أَبُو الْعِبَرِ (١) فَقُلْنَا : هَذَا أَيْضاً يَعُدُّ نَفْسَهُ فِي الشُّعَرَاء فَمَالَ إِلَيْنَا وَقَالَ : وَاللهِ أَشْعَرُ مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ . فَقُلْنَا : قَدِ اخْتَلَفْنَا فِي بَيْتٍ فَاشْتَبَهَ عَلَيْنَا فَهَلْ نَسْأَلُكَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ نَعَمْ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ :

عَافَتِ الْمَاءَ فِي الشِّتَاء فَقُلْنَا ... بَرِّدِيهِ تُصَادِفِيهِ سَخِيناً (٢)

كَيْفَ تُصَادِفُهُ سَخِيناً إِذَا بَرَّدَتْهُ ؟ . فَقَالَ : أَخَفِيَ عَلَيْكُمْ ؟ قُلْنَا نَعَمْ . فَقَالَ : هُوَ لَيْسَ مِنَ التَّبْرِيدِ وَإِنَّمَا هُوَ حَرْفٌ مُدْغَمٌ ، وَمَعْنَاهُ بَلْ رِدِيهِ مِنَ الْوُرُودِ ، فَأَدْغَمُوا اللَّامَ فِي الرَّاء كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ » وَقَوْلُهُ : « وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٣) » ؟ . قَالَ : فَاسْتَحْسَنَّا مَا فَسَّرَهُ وَأَقْرَرْنَا لَهُ بِالْفَضْلِ . فَقَالَ : إِنِّي أَسْأَلُكُمْ بَيْتاً كَمَا سَأَلْتُمُونِي ، أَمَا تَرَوْنَ إِلَى قَوْلِ دَغْفَلٍ :

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهْ ... وَالْعِبْءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلَهْ (٤)

---

(١) بالأصل « أبو العبرطز » (٢) بهامش الأصل « مزهر السيوطى ١ — ٣٤٣ »
(٣) من استفهامية ، أى هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه برقيته ودوائه
(٤) أو تحمله : أو بمعنى إلى أو إلا ، والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة وجوبا .

فقلنا : سَلْ . فقالَ : ما معْنى قولِ القائلِ ؟ :

يا منْ رأى رجُلاً واقِفاً أحْرقهُ الحَرُّ منَ البَرْدِ

كيفَ يحْرقهُ الحَرُّ منَ البَرْدِ ؟ قالَ : فاضطربْنا فى معْناهُ ، فلمْ نُخرِّجهُ (١) فسألْناهُ عنهُ فقالَ : هذا قولى : وذلكَ أنَّنى مررْتُ بحدَّادٍ يبرُدُ حديداً فمسسْتُ تلكَ البُرادةَ (٢) فأحرقتْ يدى ، وإنَّما البَرْدُ مصْدرُ بردَ الحديدَ برْداً ، وليسَ هُوَ منَ الشَّىْءِ البارِدِ . قالَ : فأقرَرْنا بفضْلِ معْرفتهِ فأنشأَ يقولُ :

أقرَّ الشُّعَراءُ أنِّى وَمَرْوا فى الحَرْمَرْمَ

إنَّهُمْ عندى جميعاً . . (٣) . الغَنمَمْ

فقطعْتُ الرَّأسَ منهمْ ثمَّ جِلْدُ القَدِّ دمْدمْ

فعملْنا منهُ طبْلاً منْ طبُولِ الخَدِّ دمْدمْ

فضرَبْنا بهِ دمْدمْ ثمَّ دمْدمْ ثمَّ دمْدمْ

عجباً يا قوْمُ منِّى كُنْتُ معْكمْ كالمُلمْلمْ

وقالَ المرْزُبانىُّ : أبو العِبرِ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبْدِ الصّمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ العبّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ .

وقالَ محمّدُ بنُ داودَ : اسْمهُ محمّدُ بنُ أحْمدَ ، وهو حمْدونُ ابنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الصّمدِ يُكْنى أبا العبّاسِ ، صاحِبُ الشِّعْرِ

(١) أى فلم نبين له مخرجا (٢) أى مايسقط من المعدن إذا برد (٣) بياض بالا صل

الأَحمقِ وَالْـكَلامِ الْمُخْتَلَقِ ، وَهُوَ أَبْرَدُ النَّاسِ غَيْرَ مُدافَعٍ وَرُبَّمَا قالَ شِعْراً صالِحاً ، وَهُوَ الْقَائِلُ وَأَنْشدَنَاهُ الأَخفشُ :

لَوْ يَكُونُ الْهَوَى بِجِسْمٍ مِنَ الصَّخْـ

ـرِ عَلَى أَنَّ فِيهِ قَلْبَ حَدِيدِ

فَعَلَ الْحُبُّ فِيهِمَا مِثْلَ مَا يَفْـ

ـعَلُ شَعْرُ اللِّحَى بِوَرْدِ الْخُدُودِ

وَلَهُ وَرَوَاهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرُّومِيُّ :

لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ خِلَافِكَ لَمْ تَكُنْ

لِتَـكُونَ إِلَّا مُشْجَباً (١) فِي مِشْجَبِ

لَوْ أَنَّ لِي مِنْ جِلْدِ وَجْهِكَ رُقْعَةً

لَجَعَلْتُ مِنْهَا حَافِراً لِلْأَشْهَبِ (٢)

قَالَ : وَكَانَ يُظْهِرُ الْمَيْلَ عَلَى الْعَلَوِيِّينَ وَالْهِجَاءَ لَهُمْ ، وَجَرَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْ رُمَاةِ الْجُلَاهِقِ (٣) ، وَخَرَجَ مَعَهُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى آجَامِ (٤) الْكُوفَةِ لِلرَّمْيِ فَسَمِعَ الرَّامِي مِنْهُ كَلَاماً اُسْتَحَلَّ بِهِ دَمَهُ فَقَتَلَهُ .

وَهُوَ الْقَائِلُ لِمُوسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ دَفَعَ إِلَيْهِ تَوْقِيعاً

---

(١) أى معلقا ، وفى مشجب : أى فى خشبة كالتى تعلق عليها الثياب

(٢) الأشهب : الفرس الأبيض الذى يغلب على بياضه السواد (٣) الجلاهق : البندق الذى يرمى به (٤) آجام الكوفة : غياضها وأشجارها الملتفة التى تسكنها الوحوش

بِصِلَةٍ مِنَ الْمُتَوَكِّلِ فَدَافَعَهُ مُوسَى وَمَاطَلَهُ مُدَّةً فَوَقَفَ لَهُ يَوْماً فَلَمَّا رَكِبَ أَنْشَدَهُ :

حَتَّى مَتَى نَتَبَرَّدُ (١) وَكَمْ وَكَمْ أَتَرَدَّدُ ؟؟

مُوسَى أَدِرْ لِي كِتَابِي — بِحَقِّ رَبِّكَ — الأَسْوَدُ

يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ مِنْ أَمَةٍ سَوْدَاءَ فَنَحَلتْهُ سَوَادَهَا (٢) ، فَجَزِعَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ قَوْلِهِ ، وَسَأَلَهُ كَتْمَ الْحَالِ وَقَضَى شُغْلَهُ .

وَقَالَ جَحْظَةُ : اجْتَمَعْتُ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ إِخْوَانِنَا مَعَ أَبِي الْعِبَرِ فِي بَرَاحٍ (٣) أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَهُ دَاراً فَأَقْبَلْنَا نُقَدِّرُ الْبُيُوتَ وَأَيْنَ مَوَاقِعُهَا ؟ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ ضَرَطَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَنَا فَقَالَ أَبُو الْعِبَرِ : مَهْمَا شَكَكْنَا فِيهِ فَمَا نَشُكُّ أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ الْكَنِيفُ .

﴿ ٤٢ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَغْرِبِيُّ أَبُو الْحَسَنِ * ﴾

محمد بن أحمد المغربي

رَاوِيَةُ الْمُتَنَبِّي ، أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأُدَبَاءِ وَالأَعْيَانِ الشُّعَرَاءِ ، خَدَمَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَلَقِيَ الْمُتَنَبِّيَ وَصَنَّفَ تَصَانِيفَ حَسَنَةً وَلَهُ ذِكْرٌ فِي مِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَالْجَبَلِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَالشَّاشِ ، وَجَالَسَ الصَّاحِبَ

---

(١) أى تتكلف طول المكث والجمود (٢) فنحلته سوادها : أعطته إياه ، أى وضعته مشابها لها فيه (٣) أى أرض لا بناء فيها ولا عمران .

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

ابْنَ عبَّادٍ، وَلَقِىَ أَبَا الفرَجِ الأَصْبهانىَّ وَرَوَى عَنْهُ، وَلَهُ معَهُ أَخْبَارٌ. وَمِنْ تصانيفِهِ الَّتِى شاهَدْتُهَا: كِتَابُ الانتِصَارِ المُنْبِيءِ عَنْ فضَائلِ المُتَنَبِّىءِ، كِتَابُ التنبِيهِ المُنْبِيءِ عَنْ رَذَائلِ المُتَنَبِّىءِ، كِتَابُ تُحْفَةِ الكُتَّابِ فِى الرَّسَائِلِ «مبَوَّبٌ»، كِتَابُ تذكِرَةِ النَّدِيمِ «مَجْمُوعٌ حسَنٌ جيِّدٌ مُمْتِعٌ»، كِتَابُ الرِّسَالَةِ المُمْتِعَةِ كِتَابُ بَقِيَّةِ الانتِصَارِ المُكْثِرِ لِلاخْتِصَارِ. وَغيرُ ذَلِكَ مِنَ الرَّسَائلِ وَالكُتُبِ. قَالَ: وَأَخذْتُ قولَ المُتَنَبِّىءِ:

كَفَى بِجِسْمِى نُحُولاً أَنَّنِى رَجلٌ ... لَوْلاَ مُخَاطَبَتِى إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِى

فزِدْتُ عليْهِ فلَمْ أَدَعْ لِغَيْرِى فِيهِ زِيَادَةً وَقلْتُ منْ قصيدَةٍ:

عُدِمْتُ مِنَ النُّحُولِ فَلاَ بِلَمْسٍ ... يُكَيِّفُنِى الوُجُودُ وَلاَ عِيَانِ

وَلَوْلاَ أَنَّنِى أَذْكَى البَرَايَا

لَكُنْتُ خَفِيتُ عَنِّى(١) لاَ أَرَانِى

قَالَ: وَاخْتِفَائِى عَنِّى أَبْدَعُ مِنَ اخْتِفَائِى مِنْ غيْرِى وَأَبْلَغُ فِى المَعْنَى. وَلَهُ إِلَى بَعْضِ جِلَّةِ الكُتَّابِ يَسْتَهْدِيهِ عِمَامَةً:

أُرِيدُ عِمَامَةً حسْنَاءَ عنْهَا ... أُعَمِّمُكَ الجَمِيلَ(٢) مِنَ الثَّنَاءِ

فَوَجِّهْهَا وَقَدْ نَبُلَتْ ...(٣) ... بِلُبْسِكَ فِى صبَاحٍ أَمْ مَسَاءِ

مُعَافًى نَشْرُهَا مِنْ كُلِّ عَابٍ ... يُوَلِّدُ لَوْنُهُ أَيْدِى العَنَاءِ

---

(١) أى عن نفسى، كناية عن هلاكه وتلاشيه (٢) أى أحوطك به.

(٣) بياض بالأصل

أَدقَّ مِنَ الذَّكاءِ إِذَا اُجْتَلَتْهَا ... عَلَى مَهَلٍ لَوَاحِظُ ذِي ذَكَاءِ
وَأَضْوَى لُحْمَةً وَسُدًى وَلَوْنًا ... مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي ضَحَاءِ[1]
لَوِ الغِرْقِئُ[2] قَارَبَهَا لأَرْبَتْ ... عَلَيْهِ فِي الصَّفَاقَةِ وَالصَّفَاءِ
لِبَمٍّ[3] أَوْ لِنَيْسَابُورَ تُعْزَى ... فَتَصْلُحُ لِلْمَصِيفِ وَلِلشِّتَاءِ
كَعِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ نَقِيٌّ ... عَنِ الأَدْنَاسِ جَمْعًا فِي غِطَاءِ
تُتَوِّجُنِي بَهَاءً مِنْهُ أُكْسَى ... مَدَى لُبْسِي لَهَا حُلَلَ الْبَهَاءِ
إِذَا مَامِسْتُ فِيهَا مُعْجَبًا لَا ... أُفَكِّرُ مِنْ أَمَامِي أَوْ وَرَائِي
يَقُولُ الْمُبْصِرُوهَا أَيُّ تَاجٍ ... بِهِ أَصْبَحْتَ فِينَا ذَا رُوَاءِ
وَتَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَ الْعُرْبِ حَقٌّ ... بِلَا كَذِبٍ يَدُومُ وَلَا افْتِرَاءِ
عَمَائِمُنَا لَنَا تِيجَانُ فَخْرٍ ... سَنَاهَا قَدْ أُضِيفَ إِلَى سَنَاءِ[4]

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ مُذَاكَرَةِ النَّدِيمِ مِنْ تَصْنِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَغْرِبِيِّ هَذَا : قُلْتُ أَصِفُ رَغِيفًا أَمَرَنِي بِوَصْفِهِ الصَّاحِبُ الْجَلِيلُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ وَأَنَا مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ، وَاقْتَرَحَ أَنْ يَكُونَ وَصْفِي لَهُ ارْتِجَالًا فَقُلْتُ :

---

(١) أضوى : أدق ، والضحاء : قرب انتصاف النهار (٢) غرقىء البيضة : القشرة الملتصقة ببياضها وهى أرق وأصفى ما يكون ، ولم أر فيه غرقيا كما ذكر ، فلعلها ضرورة شعرية . (٣) مدينة جليلة نبيلة من أعيان مدن كرمان ، ولأهلها حذق وأكثرهم حاكة وثيابها مشهورة فى جميع البلدان . (٤) سناها : ضوءها ، والسناء بالمد : الرفعة والشرف .

وَرَغِيفٍ كَأَنَّهُ التُّرْسُ(١) يَحْكِي حُمْرَةَ الشَّمْسِ بِالْغُدُوِّ احْمِرَارُهْ

خِفتُ أَنْ يَكْتَسِي نَهَارَ مَآقِيـ ـيَ(٢) بِهِ اللَّيْلُ مُذْ تَبَدَّى نَهَارُهْ

جَمَعَتْهُ أَنَامِلِي ثُمَّ خَلَّتْـ ـهُ فَسِيَّانِ طَيُّهُ وَانْتِشَارُهْ

لَمْ تَقَعْ مِنْهُ قِطْعَةٌ لَا وَلَا بَا نَ لِلَحْظٍ شَقِيقُهُ وَانْكِسَارُهْ

نَاعِمٌ لَيِّنٌ كَمَبْسِمِ مَنْ قَا مَ بِعُذْرِي عِنْدَ الْبَرَايَا عِذَارُهْ

لَسْتُ أَنْسَى بِهِ تَنَعُّمَ ضِرْسِي(٣) إِذْ لِجَزْعِي وَهَجٌ تَوَقَّدُ نَارُهْ

كَانَ أَحْظَى إِذْ ذَاكَ عِنْدِي مِنَ الْوَفْـ ـرِ(٤) إِذَا قَرَّ فِي مَحَلِّي قَرَارُهْ

يَعْلَمُ اللهُ أَنَّنِي لَسْتُ أَنْسَا هُ وَإِنْ شَطَّ عَنْ مَزَارِي مَزَارُهْ

فَاسْتَحْسَنَ الْأَبْيَاتَ وَتَعَجَّبَ مِنْ سُرْعَةِ خَاطِرِي بِهَا ثُمَّ قَالَ لِي مُدَاعِباً نَفَاسَةَ أَخْلَاقٍ فِيهِ : خُذْهُ صِلَةً لَكَ ، فَأَخَذْتُهُ وَتَرَكْتُهُ عَلَى رَأْسِي إِلَى أَنْ قُمْنَا عَنِ الْمَائِدَةِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَارًّا إِلَى مَنْزِلِي وَكُنْتُ أَنْزِلُ بَعِيدًا مِنْ مَنْزِلِهِ ، فَعَرَفَ خُرُوجِي عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَالَ : رُدُّوهُ ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ لِي : عَزَمْتَ أَنْ تَشُقَّ الْأَسْوَاقَ وَالشَّوَارِعَ وَهَذَا عَلَى رَأْسِكَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ لِأُسْأَلَ فَأَقُولَ : هَذَا صِلَةُ مَوْلَانَا وَأَذْكُرُ الْأَبْيَاتَ ،

(١) الترس : صفحة من الفولاذ أى الحديد مستديرة . (٢) ما ق : هي ما يخرج منها الدموع ، و نهاره : بمعنى نهر . (٣) كناية عن تمام اللذة (٤) الوفر : العطاء الوفير .

فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : بِعْنَاهُ (١) . فَقُلْتُ : قَدْ بِعْتُهُ مِنْ مَوْلَانَا بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ فَقَالَ : أَنْقِصْنَا وَاُجْعَلْهَا دَرَاهِمَ ، فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَأَمَرَ لِى بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَخِلْعَةٍ مِنْ ثِيَابِ جَسَدِهِ .

وَقَالَ فِى هَذَا الْكِتَابِ : وَلِى فِى وَصْفِ مَضِيرَةٍ وَصَفْتُهَا وَأَنَا عَلَى مَائِدَةِ أَبِى عَبْدِ اللهِ بْنِ جَيْهَانَ وَزِيرِ صَاحِبِ خُرَاسَانَ :

نِعْمَ الْغِذَاءُ إِذَا مَا أَيْنَعَ الْعُشُبُ
وَرَاقَتِ الْعَيْنَ أَبْرَادٌ لَهُ قُشُبُ (٢)
مَضِيرَةٌ كَالُّلجَيْنِ ، السَّبْكُ يُحْكِمُهَا
مَعْقُودَةٌ مُصْطَفًى لِلطَّبْخِ (٣) مُنْتَخَبُ
تَخَالُهَا أَرْضَ بِلَّوْرٍ وَمَا حَمَلَتْ
مِنَ الدُّسُومَةِ نَقْشًا حَشْوُهُ ذَهَبُ
أَبْرَنْجُهَا (٤) أُكَرٌ سُودٌ مُلَبَّسَةٌ
قَبَاطِيًا عَنْ قَرِيبٍ سَوْفَ تُسْتَكَبُ ؟
وَلَحْمُهَا حُلَلٌ لِلزَّهْرِ قَدْ جُعِلَتْ
مِنْ أَبْيَضِ الثَّلْجِ فِيمَا بَيْنَهَا حُجُبُ

---

(١) أى بعه لنا (٢) أينع : ترعرع واخضر ، والعشب بضم فسكون ، وحرك عينه بالضم للشعر والتصريع ، وراقت العين : أعجبتها ، وأبراد : جمع برد : وهو الثوب ، وقشب جمع قشيب : وهو الجديد (٣) بالأصل : « مصطفى الطبخ » كما نبه بهامشه .

(٤) بالأصل « أبذنجها » والصواب « أبرنج » كما ذكرنا ، وهو حب يؤتى به من الهند والصين ، والقباطى : جمع قبطية : نوع من ثياب مصر .

تُوافِقُ الشَّيْخَ وَالْكَهْلَ اللَّذَيْنِ هُمَا
مِنَ الرُّطُوبَةِ فِي حَالٍ هِيَ الْعَجَبُ

وَلِلْأَبَازِيرِ (١) نَفْحٌ مِنْ دَوَاخِلِهَا
كَالْمِسْكِ لَا بَلْ إِلَيْهَا الْمِسْكُ يَنْتَسِبُ

يَا حُسْنَهَا وَهْيَ بِالْأَيْدِي تُغَارُ (٢) بِلَا
جُرْمٍ أَتَتْهُ وَبِالْأَلْحَاظِ تُنْتَهَبُ

مَنْ حَالَفَتْهُ (٣) فَقَدْ جَلَّتْ مَوَاهِبُهُ
وَنَالَ مِنْ دَهْرِهِ أَضْعَافَ مَا يَجِبُ

﴿ ٤٣ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى الْوَشَّاءُ (٤) * ﴾

محمد بن أحمد الوشاء

أَبُو الطَّيِّبِ النَّحْوِيُّ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ حَسَنُ التَّصْنِيفِ مَلِيحُ التَّأْلِيفِ أَخْبَارِيٌّ. قَالَ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْجَوْزِيِّ فِي تَارِيخِهِ: مَاتَ أَبُو الطَّيِّبِ الْوَشَّاءُ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَلَهُ ابْنٌ يُعْرَفُ بِابْنِ الْوَشَّاءِ. حَدَّثَ الْوَشَّاءُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ نَاصِحٍ وَالْحَارِثِ بْنِ أُسَامَةَ وَثَعْلَبٍ وَالْمُبَرِّدِ. قَالَ الْخَطِيبُ: رَوَتْ عَنْهُ مُنْيَةُ جَارِيَةُ خَلَّافَةَ أُمِّ وَلَدِ الْمُعْتَمِدِ.

قَالَ ابْنُ النَّدِيمِ (٥): وَكَانَ نَحْوِيًّا مُعَلِّمًا لِمَكْتَبِ الْعَامَّةِ

---

(١) جمع أبزار جمع بزر بالفتح ويكسر: وهو التابل أو كل حب يبذر بالذال للنبات والأول هو المراد (٢) تغار: تغزى وتقتحم. (٣) أى لازمته.
(٤) الوشاء: الذى يشى الثياب أى ينقشها ويزخرفها. (٥) بهامش الأصل ص ٨٥
(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان بترجمة ضافية ، وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة

وَكَانَ يُعْرَفُ بِالْأَعْرَابِيِّ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي النحْوِ، كِتَابُ الْجَامِعِ فِي النَّحْوِ، كِتَابٌ فِي الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ، كِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، كِتَابُ الْفَرْقِ، كِتَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، كِتَابُ خَلْقِ الْفَرَسِ، كِتَابُ الْمُثَلَّثِ، كِتَابُ أَخْبَارِ صَاحِبِ الزَّنْجِ، كِتَابُ الزَّاهِرِ فِي الْأَنْوَارِ وَالزَّهَرِ [1]، كِتَابُ السُّلْوَانِ، كِتَابُ الْمُذْهَبِ، كِتَابُ الْمُوَشَّحِ، كِتَابُ سِلْسِلَةِ الذَّهَبِ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْمُتَظَرِّفَاتِ، كِتَابُ الْحَنِينِ إِلَى الْأَوْطَانِ، كِتَابُ حُدُودِ الطَّرْفِ الْكَبِيرُ [2]، كِتَابُ الْمُوَشَّى. نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي عَمْرٍو مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ النُّوقَاتِيِّ [3] أَنْشَدَنِي الشَّافِعِيُّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ، أَنْشَدَنِي أَبُو الطَّيِّبِ الْوَشَّاءُ لِنَفْسِهِ:

لَا صَبْرَ لِي عَنْكَ سِوَى أَنَّنِي ... أَرْضَى مِنَ الدَّهْرِ بِمَا يَقْدِرُ
مَنْ كَانَ ذَا صَبْرٍ فَلَا صَبْرَ لِي ... مِثْلِي عَنْ مِثْلِكَ لَا يَصْبِرُ

وَمِنْ خَطِّهِ وَإِسْنَادِهِ لِلْوَشَّاءِ:

---

(١) بهامش الأصل سماه القفطى فى أنباء الرواة « كتاب الزاهر والأزهار » وقد ذكر له كتابا آخر سماه « زهرة الرياض » وقال: هو كبير فى عدة مجلدات؛ ملكت منها نسخة قيل إنها بخطه فى عشر مجلدات تشتمل على أنواع وأبواب من المنظوم والمنثور فى حسن اختيار تدل على كثرة الاطلاع والبحث. اهـ (٢) بهامش الأصل « لعله الظرف » وفى أنباء الرواة كتاب الطب الكبير، ورواية الفهرست ص ٨٥ « الطرف »

(٣) نسبة إلى نوقات: محلة بسجستان.

يَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ
لَا تَحْسَبَنِّي خَلِيَّ الْبَالِ مِنْ سَهَدِ (١)
حَاشَاكَ مِنْ أَرَقِي حَاشَاكَ مِنْ قَلَقِي
حَاشَاكَ مِنْ طُولِ مَا أَلْقَى مِنَ الْكَمَدِ
حُزْنِي عَلَيْكَ جَدِيدٌ لَا نَفَادَ لَهُ
أَوْهَى (٢) فُؤَادِي وَأَوْهَى عُقْدَةَ الْجَلَدِ
وَالصَّبْرُ عَنْكَ قَلِيلٌ مُضْرِمٌ (٣) قَلَقًا
بَيْنَ الضُّلُوعِ كَصَبْرِ الْأُمِّ عَنْ وَلَدِ

٤٤ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْأَصْبَغِ بْنِ الْحَرُونِ (*)

محمد بن أحمد ابن الحرون

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ (٤) فَقَالَ: هُوَ عَالِمٌ فَاضِلٌ حَسَنُ التَّصْنِيفِ مَلِيحُ التَّأْلِيفِ كَثِيرُ الْأَدَبِ وَاسِعُ الرِّوَايَةِ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَمِنْ أَوْلَادِ الْكُتَّابِ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْمُطَابِقِ وَالْمُجَانِسِ، كِتَابُ الْحَقَائِقِ كَبِيرٌ، كِتَابُ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ، كِتَابُ الْآدَابِ، كِتَابُ الرِّيَاضِ، كِتَابُ الْكُتَّابِ، كِتَابُ الْمَحَاسِنِ، كِتَابُ مُجَالَسَةِ الرُّؤَسَاءِ.

---

(١) أى أرق (٢) أى جعله واهياً مشقوقا (٣) أى مشعل انزعاجا واضطرابا
(٤) بهامش الأصل « ص ١٤٨ »
(*) ترجم له فى كتاب بغية الملتمس

٤٥ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ سَبْرَةَ *

محمد بن أحمد ابن مروان

أَبُو مُسْهِرٍ النَّحْوِيُّ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ [1] ثُمَّ قَالَ: وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْجَامِعِ فِي النَّحْوِ، كِتَابُ الْمُخْتَصَرِ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي عُيَيْنَةَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ.

٤٦ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُزَنِيُّ أَبُو الْحَسَنِ *

محمد بن أحمد المزنى الوزير

وَزِيرُ نُوحِ بْنِ مَنْصُورٍ السَّامَانِيِّ، أَحَدُ أَصْحَابِ الْبَلَاغَةِ وَالرَّسَائِلِ، شَاعَ ذِكْرُهَا فِي الْآفَاقِ، وَتَنَاجَتْ بِحُسْنِهَا الرِّفَاقُ.

٤٧ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ *

محمد بن أحمد الكاتب

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ فَقَالَ: هُوَ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ أَخْبَارِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ كَبِيرٌ.

٤٨ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قُرَيْشٍ الْحُكَيْمِيُّ *

محمد بن أحمد الحكيمى

أَبُو عَبْدِ اللهِ، رَوَى عَنْ يَمُوتَ بْنِ الْمُزَرَّعِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الصَّاغَانِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ نَاصِحٍ، وَالْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ، رَوَى عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَرْزُبَانِيُّ وَغَيْرُهُ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ [2] وَقَالَ: لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ حِلْيَةِ

---

(١) بهامش الأصل «ص ٨٥» (٢) بهامش الأصل «ص ١٥١»

(*) لم نعثر له على من ترجم له سوى ياقوت

(*) لم نوفق إلى ترجمته فيما رجعنا إليه من مظان

(*) لم يترجم له سوى ياقوت فيما علمنا من المراجع

(*) ترجم له فى فهرست ابن النديم

ٱلْأُدَبَاء تَشْتَمِلُ عَلَى أَخْبَارٍ وَمَحَاسِنَ وَأَشْعَارٍ ، كِتَابُ سَفَطِ الْجَوْهَرِ [١] ، كِتَابُ الشَّبَابِ ، كِتَابُ الْفُكَاهَةِ وَالدُّعَابَةِ . حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ قَالَ [٢] : حَدَّثَنِي ٱبْنُ أَبِي قِبْرَاطٍ قَالَ : أَقْرَأَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَكِيمِيُّ كِتَاباً بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ٱلْوَزِيرِ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَتَبَهُ إِلَيْهِ فِي وَزَارَتِهِ ٱلْأَخِيرَةِ وَهُوَ يَتَقَلَّدُ لَهُ طَسَاسِيجَ طَرِيقِ خُرَاسَانَ يَحُثُّهُ فِيهِ عَلَى حَمْلِ الْمَالِ وَضَمَّنَهُ :

قَدْ كُنْتَ – أَكْرَمَكَ اللهُ – بَعِيداً مِنَ التَّقْصِيرِ ، غَنِيًّا عَنِ التَّنْبِيهِ وَالتَّبْصِيرِ ، رَاغِباً فِيمَا خَصَّكَ بِالْجَمَالِ ، وَقَدَّمَكَ عَلَى نُظَرَائِكَ مِنَ الْعُمَّالِ ، وَٱتَّصَلَتْ بِكَ ثِقَتِي ، وَٱنْصَرَفَتْ إِلَيْكَ عِنَايَتِي ، وَرَدَدْتُ ٱلْجَمِيلَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَيْكَ ، وَٱعْتَمَدْتُ فِي الْمُهِمِّ عَلَيْكَ ، ثُمَّ وَضَحَ لِي مِنْ أَثَرِكَ ، وَصَحَّ عِنْدِي مِنْ خَبَرِكَ ، مَا ٱقْتَضَى ٱسْتِزَادَتَكَ ، وَرَدِفَهُ [٣] مَا ٱسْتَدْعَى ٱسْتِبْطَاءَكَ وَلَائِمَتَكَ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ صُورَةَ ٱلْحَالِ ، وَتَطَلُّعِي مَعَ شِدَّةِ الضَّرُورَةِ إِلَى وُرُودِ الْمَالِ ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ تَبْعَثَكَ الْعِنَايَةُ ، عَلَى ٱلْجِدِّ فِي ٱلْجِبَايَةِ ، حَتَّى تَدِرَّ حُمُولُكَ وَتَتَوَفَّرَ ، وَيَتَّصِلَ مَا يُتَوَقَّعُ وُرُودُهُ مِنْ جِهَتِكَ وَلَا تَتَأَخَّرَ ، فَنَشَدْتُكَ لَمَا تَجَنَّبْتَ مَذَاهِبَ ٱلْإِغْفَالِ وَٱلْإِهْمَالِ ، وَقَرَنْتَ الْجَوَابَ [٤] عَنْ كِتَابِي هٰذَا بِمَالٍ ، تُثِيرُهُ مِنْ سَائِرِ

(١) السفط محركة : كالقفة والجمع أسفاط (٢) بهامش الأصل « راجع الجزء الثامن من نشوار المحاضرة للتنوخي » (٣) أي تبعه (٤) وقرنت الجواب : أصحبته

جِهَاتِهِ وَتُحَصِّلُهُ، وَتُبَادِرُ بِهِ وَتَحْمِلُهُ، فَإِنَّ الْعَيْنَ إِلَيْهِ مَمْدُودَةٌ، وَالسَّاعَاتِ لِوُرُودِهِ مَعْدُودَةٌ، وَالْعُذْرَ فِي تَأْخِيرِهِ ضَيِّقٌ، وَأَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ مُشْفِقٌ، وَالسَّلَامُ.

﴿ ٤٩ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَيْسَانَ أَبُو الْحَسَنِ* ﴾

محمد بن أحمد ابن كيسان

النَّحْوِيُّ، وَكَيْسَانُ لَقَبٌ وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي خِلَافَةِ الْمُقْتَدِرِ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الزُّبَيْدِيُّ: وَلَيْسَ هَذَا بِالْقَدِيمِ الَّذِي لَهُ فِي الْعَرُوضِ وَالْمُعَمَّى كِتَابٌ. وَقَالَ الْخَطِيبُ بْنُ بُرْهَانَ: كَيْسَانُ «لَيْسَ بِاسْمِ جَدِّهِ إِنَّمَا هُوَ لَقَبُ أَبِيهِ». وَكَانَ يَحْفَظُ الْمَذْهَبَيْنِ الْكُوفِيَّ وَالْبَصْرِيَّ فِي النَّحْوِ لِأَنَّهُ أَخَذَ عَنِ الْمُبَرِّدِ وَثَعْلَبٍ، وَكَانَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ يَقُولُ: أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ كَيْسَانَ أَنْحَى (١) مِنَ الشَّيْخَيْنِ يَعْنِي الْمُبَرِّدَ وَثَعْلَبًا. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَكَانَ كَمَا قَالَ: يَعْرِفُ الْمَذْهَبَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ إِلَى الْبَصْرِيِّينَ أَمْيَلَ.

وَحَدَّثَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ قَالَ: كَانَ ابْنُ كَيْسَانَ يَسْأَلُ الْمُبَرِّدَ عَنْ مَسَائِلَ فَيُجِيبُهُ

---

(١) أنحى: أفعل تفضيل: أى أكثر نحوا

(*) ترجم له فى كتاب نزهة الألباء، وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

فَيُعَارِضُهَا بِقَوْلِ الْكُوفِيِّينَ فَيَقُولُ فِي هَذَا: عَلَى مَنْ يَقُولُهُ كَذَا وَيَلْزَمُهُ كَذَا، فَإِذَا رَضِيَ قَالَ لَهُ: قَدْ بَقِيَ عَلَيْكَ شَيْءٌ لِمَ لَا تَقُولُ كَذَا؟ فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَقَدْ لَزِمَ قَوْلًا لِلْكُوفِيِّينَ وَلَجَّ (١) فِيهِ: أَنْتَ كَمَا قَالَ جَرِيرٌ:

أُسَلِّيكِ عَنْ زَيْدٍ لِتَنْسَلِي وَقَدْ أَرَى
بِعَيْنَيْكِ مِنْ زَيْدٍ قَذًى غَيْرَ بَارِحِ (٢)
إِذَا ذَكَرَتْ زَيْدًا تَرَقْرَقَ دَمْعُهَا
بِمَذْرُوفَةِ الْعَيْنَيْنِ شَوْسَاءَ (٣) طَامِحِ
تَبَكَّى عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ تَرَ مِثْلَهُ
بَرَاءً (٤) مِنَ الْحُمَّى صَحِيحَ الْجَوَانِحِ
فَإِنْ تَقْصِدِي (٥) فَالْقَصْدُ مِنْكِ سَجِيَّةٌ
وَإِنْ تَجْمَحِي (٦) تَلْقَيْ لِجَامَ الْجَوَامِحِ

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَبْرَمَانَ قَالَ: قَصَدْتُ ابْنَ كَيْسَانَ لِأَقْرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ فَامْتَنَعَ وَقَالَ: اذْهَبْ بِهِ إِلَى أَهْلِهِ يَعْنِي الزَّجَّاجَ وَابْنَ السَّرَّاجِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ يَتَعَصَّبُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: خَلَطَ الْمَذْهَبَيْنِ فَلَمْ يَضْبِطْ مِنْهُمَا شَيْئًا،

(١) لج فيه: لازمه وأبى أن ينصرف عنه (٢) أسليك عن زيد: أجعلك تسلينه وتذهلين عن ذكره، وغير بارح: غير زائل (٣) أى ناظرة بمؤخرها تغيظا، وطامح: رافعة البصر نحوه (٤) براء: برىء: يستوى فيه المفرد وغيره (٥) أى تعدلى (٦) أى وإن تركبي هواك غير منثنية تلبسى لجام الجوامح.

وَكَانَ يُفَضِّلُ الزَّجَّاجَ عَلَيْهِ جِدًّا . وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْمُهَذَّبِ فِى النَّحْوِ ، كِتَابُ غَلَطِ أَدَبِ الْكَاتِبِ ، كِتَابُ اللَّامَاتِ ، كِتَابُ الْحَقَائِقِ ، كِتَابُ الْبُرْهَانِ ، كِتَابُ مَصَابِيحِ الْكُتَّابِ ، كِتَابُ الْهِجَاءِ وَالْخَطِّ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ ، كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ ، كِتَابُ التَّصَارِيفِ ، كِتَابُ الشَّاذَانِىِّ فِى النَّحْوِ ، كِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، كِتَابُ مَعَانِى الْقُرْآنِ ، كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِى النَّحْوِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ عَلَى مَذْهَبِ النَّحْوِيِّينَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْكُوفِيُّونَ وَالْبَصْرِيُّونَ ، كِتَابُ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ . كِتَابُ الْمُخْتَارِ فِى عِلَلِ النَّحْوِ ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ أَوْ أَكْثَرُ . قَرَأْتُ بِخَطِّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَنْدَارَ ، قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِى جَعْفَرٍ السَّقَّالِ فِى آخِرِ الْعَرُوضِ : « إِلَى هَهُنَا أَمْلَى عَلِىُّ بْنُ كَيْسَانَ وَأَنَا كُنْتُ أَسْتَمْلِيهِ ، وَفَرَغْنَا مِنَ الْعَرُوضِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . »

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِىُّ : وَمَا رَأَيْتُ مَجْلِسًا أَكْثَرَ فَائِدَةً وَأَجْمَعَ لِأَصْنَافِ الْعُلُومِ وَخَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِالتُّحَفِ وَالطُّرَفِ وَالنُّتَفِ مِنْ مَجْلِسِ ابْنِ كَيْسَانَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَبْدَأُ بِأَخْذِ الْقُرْآنِ

وَالْقِرَاءَاتِ ، ثُمَّ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا قُرِئَ خَبَرٌ غَرِيبٌ أَوْ لَفْظَةٌ شَاذَّةٌ أَبَانَ عَنْهَا وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا وَسَأَلَ أَصْحَابَهُ عَنْ مَعْنَاهَا ، وَكَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ مُجَالَسَاتُ ثَعْلَبٍ فِي طَرَفَيِ النَّهَارِ ، وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ نَحْوُ مِائَةِ رَأْسٍ مِنَ الدَّوَابِّ لِلرُّؤَسَاءِ وَالْكُتَّابِ وَالْأَشْرَافِ وَالْأَعْيَانِ الَّذِينَ قَصَدُوهُ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ إِقْبَالُهُ عَلَى صَاحِبِ الْمُرَقَّعَةِ الْمُمَزَّقَةِ وَالْعَبَاءِ الْخَلَقِ وَالطِّمْرِ (١) الْبَالِي كَإِقْبَالِهِ عَلَى صَاحِبِ الْقَصَبِ وَالْوَشْيِ وَالدِّيبَاجِ وَالدَّابَّةِ وَالْمَرْكَبِ وَالْحَاشِيَةِ وَالْغَاشِيَةِ .

وَيَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ جَرَى فِي مَجْلِسِهِ مَا امْتَعَضَ مِنْهُ وَأَنْكَرَهُ وَقَضَى مِنْهُ عَجَبًا (٢) ، وَأَنْشَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مِنْ غُرَرِ الشِّعْرِ وَالْمُقَطَّعَاتِ الْحَسَنَةِ وَغَيْرِهَا مَا مَلَأَ السَّمْعَ وَحَيَّرَ الْأَلْبَابَ حَتَّى قَالَ الصَّابِئُ : هَذَا الرَّجُلُ مِنَ الْجِنِّ إِلَّا أَنَّهُ فِي شَكْلِ إِنْسَانٍ .

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا أَنْشَدَ فِي تِلْكَ الْحَالِ :

مَالِي أَرَى الدَّهْرَ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ؟
أَبْقَى لَنَا ذَنَبًا وَاسْتُؤْصِلَ الرَّاسُ !
إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا
لَا يَنْقُصَانِ وَلَكِنْ يَنْقُصُ النَّاسُ

---

(١) الطمر البالى : الثوب الخلق ، والكساء من غير الصوف . والجمع أطمار .
(٢) أى بلغ من العجب أقصاه ، فلا عجب بعده .

أَبْقَى لَنَا كُلُّ مَحْمُولٍ وَفَجَّعَنَا ... بِالْحَامِلِينَ فَهُمْ أَثْوَاءُ[(١)] أَرْمَاسِ
يَرَوْنَ أَنَّ كِرَامَ النَّاسِ إِنْ بَذَلُوا ... حَمْقَى وَأَنَّ لِئَامَ النَّاسِ أَكْيَاسُ

وَتَمَثَّلَ أَيْضًا بِبَيْتَيْ أَبِي تَمَّامٍ :

قَوْمٌ إِذَا خَافُوا عَدَاوَةَ حَاسِدٍ ... سَفَكُوا الدِّمَا بِأَسِنَّةِ الْأَقْلَامِ
وَلَضَرْبَةٌ مِنْ كَاتِبٍ بِمِدَادِهِ ... أَمْضَى وَأَنْفَذُ مِنْ رَقِيقِ حُسَامِ[(٢)]

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : هَكَذَا حَكَى أَبُو حَيَّانَ ، وَلَا أَرَى أَبَا حَيَّانَ أَدْرَكَ ابْنَ كَيْسَانَ ، هَذَا إِنْ صَحَّتْ وَفَاتُهُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْخَطِيبُ ، وَلَا يَكُونُ الصَّابِئُ أَيْضًا أَدْرَكَهُ ، لِأَنَّ مَوْلِدَ الصَّابِئِ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ لَا شَكَّ سَهْوٌ ، فَإِنِّي وَجَدْتُ فِي تَارِيخِ أَبِي غَالِبٍ هَمَّامِ ابْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْمُهَذَّبِ الْمَغْرِبِيِّ أَنَّ كَيْسَانَ مَاتَ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ[(٣)] .

﴿ ٥٠ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورٍ ، أَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَيَّاطِ* ﴾

محمد بن أحمد ابن الخياط

النَّحْوِيُّ ، أَصْلُهُ مِنْ سَمَرْقَنْدَ وَقَدِمَ بَغْدَادَ ، وَمَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ قَالَ : وَكَانَ قَدِ انْحَدَرَ مَعَ الْبَرِيدِ[(٤)] لَمَّا غَلَبُوا عَلَى

---

(١) أى سكان قبور ، وفى هذا البيت إقواء (٢) من إضافة الصفة للموصوف : أى حسام رقيق (٣) بهامش الأصل « وعلى هامش أنباء الرواة ما نصه : توفى سنة تسع وتسعين ومائتين فى خلافة المقتدر بالله » . (٤) بهامش الأصل « يريد البريديين »

(*) ترجم له فى كتاب نزهة الألباء ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاة

البَصْرَةِ وَبِهَا مَاتَ، وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزَّجَّاجِ بِبَغْدَادَ مُنَاظَرَةٌ وَكَانَ يَخْلِطُ المَذْهَبَيْنِ[1] ، وَقَدْ قَرَأَ عَلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ وَكَتَبَ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ العَرَبِيَّةِ ، رَأَيْتُ ذَلِكَ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ. وَلَهُ مَعَ أَصْحَابِ الخَيَّاطِ قِصَّةٌ قَدْ ذُكِرَتْ فِي أَخْبَارِ أَبِي عَلِيٍّ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو القَاسِمِ الزَّجَّاجِيُّ أَيْضًا، وَكَانَ ابْنُ الخَيَّاطِ جَمِيلَ الأَخْلَاقِ طَيِّبَ العِشْرَةِ مَحْبُوبَ الخِلْقَةِ . وَلَهُ مِنَ الكُتُبِ : كِتَابُ مَعَانِي القُرْآنِ ، كِتَابُ النَّحْوِ الكَبِيرُ ، كِتَابُ المُوجَزِ فِي النَّحْوِ ، كِتَابُ المُقْنِعِ فِي النَّحْوِ .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ فِي ضِمْنِ رُقْعَةٍ كَتَبَهَا إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ جَوَابًا عَنْ رُقْعَةٍ وَرَدَتْ مِنْهُ ذَكَرْتُهَا فِي أَخْبَارِ أَبِي عَلِيٍّ[2] : وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنِّي قُلْتُ إِنَّ ابْنَ الخَيَّاطِ كَانَ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا فَغَلِطَ فِي الحِكَايَةِ كَيْفَ أَسْتَجِيزُ ذَلِكَ ؟ وَقَدْ كَلَّمْتُ ابْنَ الخَيَّاطِ فِي مَجَالِسَ كَثِيرَةٍ ، وَلَكِنِّي قُلْتُ : إِنَّهُ لَا لِقَاءَ لَهُ لِأَنَّهُ دَخَلَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ مَوْتِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ وَصَادَفَ أَحْمَدَ ابْنَ يَحْيَى وَقَدْ صُمَّ صَمَمًا شَدِيدًا لَا يَخْرِقُ الكَلَامُ سَمْعَهُ فَلَمْ يُمْكِنْ تَعَلُّمُ النَّحْوِ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَقُولُهُ فِيمَا كَانَ يُؤْخَذُ عَنْهُ عَلَى مَا يُمْلِيهِ دُونَ مَا كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنْكِرُهُ أَهْلُ هَذَا الشَّأْنِ وَمَنْ يَعْرِفُهُمْ .

---

(١) يريد مذهبي البصريين والكوفيين (٢) بهامش الأصل « ٣ — ٢٠ »

﴿ ٥١ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَيْدٍ * ﴾

ابْنِ حَاتِمِ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، الْمُهَلَّبِيُّ النَّحْوِيُّ محمد بن أحمد المهلبي
أَبُو يَعْقُوبَ، مَاتَ بِمِصْرَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي
خِلَافَةِ الْمُطِيعِ، وَكَانَ عَالِمًا نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا، ذَكَرَهُ الزُّبَيْدِيُّ.
قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ أَخَا أَبِي الْحُسَيْنِ عَلِيِّ بْنِ
أَحْمَدَ الْمُهَلَّبِيِّ وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿ ٥٢ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ﴾

ابْنِ إِبْرَاهِيمَ طَبَاطَبَا بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ محمد بن أحمد ابن طباطبا
الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، شَاعِرٌ
مُفْلِقٌ، وَعَالِمٌ مُحَقِّقٌ، شَائِعُ الشِّعْرِ نَبِيهُ الذِّكْرِ. مَوْلِدُهُ
بِأَصْبَهَانَ، وَبِهَا مَاتَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَلَهُ
عَقِبٌ كَثِيرٌ بِأَصْبَهَانَ، فِيهِمْ عُلَمَاءُ وَأُدَبَاءُ وَنُقَبَاءُ وَمَشَاهِيرُ،
وَكَانَ مَذْكُورًا بِالذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ وَصَفَاءِ الْقَرِيحَةِ وَصِحَّةِ الذِّهْنِ
وَجَوْدَةِ الْمَقَاصِدِ، مَعْرُوفٌ بِذَلِكَ مَشْهُورٌ بِهِ. وَهُوَ مُصَنِّفُ
كِتَابِ عِيَارِ الشِّعْرِ، كِتَابِ تَهْذِيبِ الطَّبْعِ، كِتَابِ الْعَرُوضِ
لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ، كِتَابٍ فِي الْمَدْخَلِ فِي مَعْرِفَةِ الْمُعَمَّى مِنَ

(*) ترجم له في كتاب أنباه الرواة ج ثان، وترجم له كذلك في بغية الوعاة،
وترجم له أيضاً في نزهة الألباء في طبقات الأطباء

الشِّعْرِ، كِتَابٌ فِي تَقْرِيظِ الدَّفَاتِرِ.

ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ حَمْزَةُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنْ رُوَاةِ الْأَشْعَارِ بِبَغْدَادَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ أَنَّهُ كَانَ لَهِجًا بِذِكْرِ أَبِي الْحَسَنِ مُقَدِّمًا لَهُ عَلَى سَائِرِ أَهْلِهِ وَيَقُولُ: مَا أُشَبِّهُهُ فِي أَوْصَافِهِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَسْلَمَةَ[(١)] بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، إِلَّا أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ أَكْثَرُ شِعْرًا مِنَ الْمَسْلَمِيِّ وَلَيْسَ فِي وَلَدِ الْحَسَنِ مَنْ يُشْبِهُهُ، بَلْ يُقَارِبُهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَفْوَهُ[(٢)].

قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ أَبِي عَامِرٍ قَالَ: كَانَ أَبُو الْحَسَنِ طُولَ أَيَّامِهِ مُشْتَاقًا إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ مُتَمَنِّيًا أَنْ يَلْقَاهُ أَوْ يَرَى شِعْرَهُ، فَأَمَّا لِقَاؤُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يُفَارِقْ أَصْبَهَانَ قَطُّ، وَأَمَّا ظَفَرُهُ بِشِعْرِهِ فَإِنَّهُ اتَّفَقَ لَهُ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ. وَلَهُ فِي ذَلِكَ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ: وَذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ إِلَى دَارِ مَعْمَرٍ وَقَدْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ مِنْ بَغْدَادَ نُسْخَةٌ مِنْ شِعْرِ[(٣)] عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ، فَاسْتَعَارَهَا فَسُوِّفَ بِهَا[(٤)] فَتَمَكَّنَ عِنْدَهُمْ مِنَ النَّظَرِ فِيهَا، وَخَرَجَ وَعَدَلَ

(١) جاء بالهامش « فى الأصل : سلمة » (٢) الفوه فى الأصل : سعة الفم، أو خروج الأسنان من الشفتين لطولها، أو خروج الثنايا العليا لطولها، ولكن المراد به هنا الفصاحة والبلاغة (٣) بالأصل « من عبد الله » وقد زدنا كلمة شعر كما نبه الهامش

(٤) بهامش الأصل « ليس للكلام اتصال »، ويظهر أنه قد سقطت كلم أو جمل، ونرى أن لاسقوط لأن معنى استعارها : طلب استعارتها.

إِلَيَّ كَالاً مُعْيِيًا كَأَنَّهُ نَاهِضٌ بِحِمْلٍ ثَقِيلٍ، فَطَلَبَ مِحْبَرَةً وَكَاغَدًا وَأَخَذَ يَكْتُبُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ مُقَطَّعَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ فَسَأَلْتُهُ لِمَنْ هِيَ؟ فَلَمْ يُجِبْنِي حَتَّى فَرَغَ مِنْ نَسْخِهَا وَمَلأَ مِنْهَا خَمْسَ وَرَقَاتٍ مِنْ نِصْفِ الْمَأْمُونِيِّ، وَأَحْصَيْتُ الْأَبْيَاتَ فَبَلَغَ عَدَدُهَا مِائَةً وَسَبْعَةً وَثَمَانِينَ بَيْتًا تَحَفَّظَهَا مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَاخْتَارَهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِهَا. وَذُكِرَ عَنْهُ حِكَايَاتٌ، مِنْهَا مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ أَبِي عَامِرٍ قَالَ: مِنْ تَوَسُّعِ أَبِي الْحَسَنِ فِي أَتِيِّ (١) الْقَوْلِ وَقَهْرِهِ لِأَبِيِّهِ (٢)، أَنَّ عَبْدَ اللهِ فَتَى أَبِي الْحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي الْبَغْلِ كَانَتْ بِهِ لُكْنَةٌ شَدِيدَةٌ حَتَّى كَانَ لَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ حَرْفَانِ مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، الرَّاءُ وَالْكَافُ، يَكُونُ مَكَانَ الرَّاءِ غَيْنًا وَمَكَانَ الْكَافِ هَمْزَةً، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ كُرْكِيٌّ يَقُولُ: «أُغْ إِيٌّ» وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ كُرْكُرَةٌ يَقُولُ: «أُغْ أُغَةٌ» وَيُنْشِدُ لِلأَعْشَى:

قَالَتْ أَغَى غَجُلًا فِي أَفِّهِ أَتِفُ

يُرِيدُ «قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفُ». فَعَمِلَ أَبُو الْحَسَنِ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ أَبِي الْحُسَيْنِ حَذَفَ مِنْهَا حَرْفَيْ

(١) أي ما يأتي منه (٢) أي الممتنع منه

لُكْنَةِ الْحُسَيْنِ (١) وَلَقنهُ حَتَّى رَوَاهَا لِأَبِيهِ أَبِي الْحُسَيْنِ فَجُن عَلَيْهَا . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : وَاللهِ أَنا أَقْدَرُ عَلَى أَبِيّ الْكَلامِ مِنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاء (٢) ، وَالْقَصِيدَةُ :

يَا سَيِّداً دَانَتْ لَهُ السَّادَاتُ وَتَتَابَعَتْ فِي فِعْلِهِ الْحَسَنَاتُ
وَتَوَاصَلَتْ نَعْمَاؤُهُ عِنْدِي فَلِي مِنْهُ هِبَاتٌ خَلْفَهُنَّ هِبَاتُ
نِعَمٌ ثَنَتْ عَنِّي الزَّمَانَ وَخَطْبَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا هِيبَتْ لَهُ غَدَوَاتُ
فَأُدِلْتُ مِنْ زَمَنٍ مُنِيتُ بِغَشْمِهِ
أَيَّامَ لِلْأَيَّامِ بِي سَطَوَاتُ (٣)
فَلِمَيِّتِ آمَالِي لَدَيْهِ حَيَاتُهُ وَلِحَاسِدِي نُعْمَى يَدَيْهِ مَمَاتُ
أَوْلَيْتَنِي مِنَناً تَجِلُّ وَتَعْتَلِي عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِوَصْفِهِنَّ صِفَاتُ
فَإِذَا ثُنِيْنَ بِمَنْطِقٍ مِنْ مَادِحٍ فَالْمَدْحُ مِنِّي وَالثَّنَاءُ صُمَاتُ (٤)
مُجْنَا (٥) عَنِ الْمَدْحِ الَّتِي اسْتَحْقَقْتَهَا
وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَعِي النِّيَّاتُ
يَا مَاجِداً فِعْلُ الْمَحَامِدِ دِينُهُ وَسَمَاحُهُ صَوْمٌ لَهُ وَصَلَاةُ

---

(١) بهامش الأصل : « هو ابن أبي الحسين الذي سماه قبل ذلك بفتى أبي الحسين » .

(٢) إنما خص ابن عطاء لأنه كان يتجنب الراء في كلامه للكنته فيها ، فيأتي بالعجب العجاب (٣) فأدلت من الخ : فنصرت عليه وغلبته . ومنيت : ابتليت . بغشمه : بظلمه ، وسطوات : جمع سطوة : البأس والقوة (٤) ثنثن : أثنين ، والصمات السكوت

(٥) مجنا : رجعنا

فيَبيتُ يَشفعُ رَاجياً بتطوّعٍ   مِنهُ وَقد غشي العُيُونَ سُبَاتُ
فَالجودُ مِثلُ قيامِهِ وَسُجُودِهِ
إنْ قِيسَ وَالتّسبيحُ مِنهُ عِدَاتُ (١)
مَا زالَ يُلفَى جَائداً أوْ وَاعِداً   وَعَدَاً تضايقُ دُونَهُ الأوْقَاتُ
لِيَمينِهِ بِالنُّجحِ عِندَ عُفَاتِهِ   في لَيلِ ظَنّهمِ البَهيمِ ثَبَاتُ
ذُو هِمّةٍ عَلَوِيّةٍ تُوفِي عَلَى الـ   ـجَوْزَاءِ تَسقُطُ دُونَهَا الهِمَاتُ
تَنْأَى عَنِ الأوْهَامِ إلّا أنّهَا   تَدْنُو إذَا نِيطَتْ بِهَا الحَاجَاتُ
وَعَزِيمَةٍ مِثلِ الحُسَامِ مَصُونَةٍ   عَنْ أنْ يُفلّ بِهِ الزّمَانَ شَبَاةُ
فَإذَا دَهَى خَطبٌ مُهِمٌّ أيّدٌ (٢)   خَلّى العِدَاةَ وَجَمعُهُمْ أشتَاتُ
لِأبِي الحُسَينِ سَمَاحَةٌ لَوْ أنّهَا   لِلْغَيْثِ لَمْ تَجْدُبْ عَلَيْهِ فَلَاةُ
وَلَهُ مَسَاعٍ (٣) فِي العُلَا عَدَدُ الحَصَى
فِي طَيِّءٍ مِنْ جُلِّهَا مَسْعَاةُ
كَحَيَا السّحَابِ عَلَى البِقَاعِ سِمَاتُهُ
وَلَهُ عَلَى عَافِي نَدَاهُ سِمَاتُ
يُحْيِي بِنَائِلِهِ نُفُوساً مِثلَ مَا   يَحْيَا بِجُودِ الهَاطِلَاتِ نَبَاتُ
شَادَ العَلَاءَ أبُو الحُسَينِ وَحَازَهُ
عَنْ سَادَةٍ هُمْ (٤) شَائِدُونَ بُنَاةُ

(١) عدات جمع عدة : الوعد ، والهاء عوض عن الواو (٢) أي قوى (٣) مساع : مكارم ومعال في أنواع المجد ، جمع مسعاة (٤) بالهامش « في الأصل عن »

سَبَّاقُ غَايَاتٍ تَقَطَّعُ دُونَهَا　　سُبَّاقُهَا إِنْ مُدَّتِ الْحَلَبَاتُ (١)

فَإِذَا سَعَوْا نَحْوَ الْعُلَا وَسَعَى لَهَا　　مُتَمَهِّلًا حِيزَتْ لَهُ الْقَصَبَاتُ

مُسْتَوْفِزٌ عِنْدَ السَّمَاحِ وَإِنْ تَقِسْ　　أَحَدًا بِهِ فِي الْحِلْمِ قُلْتَ حَصَاةُ

طَوْدٌ يَلُوذُ بِهِ الزَّمَانُ وَعِنْدَهُ　　لِجَمِيعِ أَحْدَاثِ الزَّمَانِ أَدَاةُ

بِيَمِينِهِ قَلَمٌ إِذَا مَا هَزَّهُ　　فِي أَوْجُهِ الْأَيَّامِ قُلْتَ قَنَاةُ

فِي سِنِّهِ بَأْسُ السِّنَانِ وَهَيْبَةُ السْـ　　ـسَيْفِ الْحُسَامِ وَقَدْ حَوَتْهُ دَوَاةُ

سَحْبَانَ عِيًّا وَهْوَ عِيًّا بَاقِلٌ　　عَجِلٌ إِلَى النَّجْوَى وَفِيهِ أَنَاةُ (٢)

وَسْنَانُ إِلَّا أَنَّهُ مُتَنَبِّهٌ
يَقْظَانُ مِنْهُ الزَّهْوُ وَالْإِخْبَاتُ (٣)

لَمْ يَخْطُ فِي ظُلُمَاتِ لَيْلِ مِدَادِهِ　　إِلَّا انْجَلَتْ عَنَّا بِهِ الظُّلُمَاتُ

وَأَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ　　قَدْ عُقِّقَتْ عَنِّي لَدَيْهِ هَنَاتُ

فَتَقَاعَسَتْ دُونِي عَوَائِدُ فَضْلِهِ　　وَسَعَتْ سُعَاةٌ بَيْنَنَا وَعِدَاةُ

فَافْتِلْهُ عَنْ طُولِ الْعُقُوقِ وَهُزَّهُ (٤)
فَلَهُ لَدَى فِعْلِ الْعُلَا هَزَّاتُ

وَاللهِ مَا شَأْنِي الْمَدِيحُ وَبَذْلُهُ　　لِمُؤَمَّلٍ (٥) لِيَمِينِهِ نَفَحَاتُ

(١) سباق غايات : أى حائز قصبات السبق فى الفضائل والمناقب والمآثر .
(٢) سحبان عيا : فيه تقديم المفعول ، أى عيا سحبان وأعجزه فى الفصاحة على نبوغه وهو عيا باقل : أى وهو كباقل الذى يضرب به المثل فى العى وثقل اللسان ، والنجوى : السر (٣) الاخبات : الخشوع والتواضع (٤) أى فاصرفه ، والعقوق : عدم البر ، وهزه : هيجه للعمل (٥) المؤمل : الذى تتجه إليه آمال الناس .

إِلَّا مُجَازَاةً لِمَنْ أَضْحَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ أُغْذَى بِهَا وَأُقَاتُ

وَالْمُسْمِعِيُّ لَهُ لَدَىَّ صَنَائِعٌ أَيَّامُهُنَّ لِطَيِّهَا سَاعَاتُ (١)

فَأَخَالُهَا عَهْدَ الشَّبَابِ وَحُسْنَه إِذْ طَارَ لِي فِي ظِلِّهِ اللَّذَّاتُ

خُذْهَا الْغَدَاةَ أَبَا الْحُسَيْنِ قَصِيدَةً ضِيمَتْ بِهَا الرَّاءَاتُ وَالْكَافَاتُ

غُيِّبْنَ عَنْهَا خَتْلَةً أَخَوَاتُهَا عِنْدَ النَّشِيدِ فَمَا لَهَا أَخَوَاتُ

وَلَوَ انَّهُنَّ شَهِدْنَ لَازْدَوَجَتْ لَهَا الْغَيْنَاتُ (٢) وَالْأَلِفَاتُ

فَاسْعَدْ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ بِهَا إِذَا شَقِيَتْ بِلُثْغَةِ مُنْشِدٍ أَبْيَاتُ

نَقَصَتْ فَتَمَّتْ فِي السَّمَاعِ وَأُلْغِيَتْ مِنْهَا الَّتِي هِيَ بَيْنَهَا آفَاتُ

صَفَّيْتُهَا مِثْلَ الْمُدَامِ لَهُ فَمَا فِيهَا لَدَى حُسْنِ السَّمَاعِ قَذَاةُ

مَعْشُوقَةٌ تَسْبِي الْعُقُولَ بِحُسْنِهَا يَا قُوتَةٌ فِي اللِّينِ وَهْيَ صَفَاةُ

عَلَوِيَّةٌ حَسَنِيَّةٌ مَزْهُوَّةٌ تُزْهَى بِحُسْنِ نَشِيدِهَا اللَّهَوَاتُ

مِيزَانُهَا عِنْدَ الْخَلِيلِ مُعَدَّلٌ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعِلَاتُ

لَوْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ الْبَانِي لَهَا (٣) تُلِيَتْ تَوَهَّمَ أَنَّهَا آيَاتُ

لَوْلَا اجْتِنَابِي أَنْ يُمَلَّ سَمَاعُهَا لَأَطَلْتُهَا مَا خُطَّتِ التَّاءَاتُ (٤)

---

(١) قوله صنائع أيامهن الخ : يعنى أن أيام صنائعه ومعروفه كأنها لسرعة طيها ساعات شأن أيام السراء (٢) بياض بالأصل (٣) بهامش الأصل « لعله له » ولا حاجة إلى ذلك (٤) ما خطت التاءات : ما مصدرية ظرفية : أى مدة كتابة التاءات ، يعنى بذلك كثرة الاطالة .

وَقَالَ أَيْضاً فِي الْفَخْرِ :

حَسُودٌ مَرِيضُ الْقَلْبِ يُخْفِي أَنِينَهُ
وَيُضْحِي كَئِيبَ الْبَالِ عِنْدِي حَزِينَهُ

يَلُومُ عَلَى أَنْ رُحْتُ فِي الْعِلْمِ رَاغِباً
أُجَمِّعُ مِنْ عِنْدِ الرُّوَاةِ فُنُونَهُ

وَأَمْلِكُ أَبْكَارَ الْكَلَامِ وَعُونَهُ
وَأَحْفَظُ مِمَّا أَسْتَفِيدُ عُيُونَهُ(١)

وَيَزْعُمُ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَجْلِبُ الْغِنَى
وَيُحْسِنُ بِالْجَهْلِ الذَّمِيمِ ظُنُونَهُ

فَيَا لَائِمِي دَعْنِي أُغَالِي بِقِيمَتِي
فَقِيمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ

إِذَا عُدَّ أَغْنَى النَّاسِ لَمْ أَكُ دُونَهُ
وَكُنْتُ أَرَى الْفَخْرَ الْمُسَوَّدَ دُونَهُ

إِذَا مَا رَأَى الرَّاءُونَ نُطْقِي وَعِيَّهُ
رَأَوْا حَرَكَاتِي قَدْ هَتَكْنَ سُكُونَهُ

وَمَا ثَمَّ(٢) رَيْبٌ فِي حَيَاتِي وَمَوْتِهِ
فَأَعْجَبْ بِمَيْتٍ كَيْفَ لَا يَدْفِنُونَهُ ؟

---

(١) العون جمع عوان : وهي المرأة النصف لافارض ولا بكر ، وعيون الكلام : ماكان بليغاً مستحسناً (٢) أى وما هناك .

أَبَى اللهُ لِي مِنْ صُنْعِهِ أَنْ يَكُونَنِي
إِذَا مَا ذَكَرْنَا فَخْرَنَا وَأَكُونَهُ(١)

وَجَدْتُ فِي كِتَابِ شُعَرَاءِ أَصْبَهَانَ لِحَمْزَةَ الأَصْبَهَانِيِّ قَالَ : وَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِي الْحَسَنِ – رَحِمَهُ اللهُ – يَعْنِي ابْنَ طَبَاطَبَا، أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ يَحْيَى بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَصَفَ لَهُ دَعْوَةً لِأَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكَرَارِيسِيِّ، ذَكَرَ أَنَّهُمْ قَرَّبُوا فِيهَا مَائِدَةً عَلَيْهَا خِيَارٌ وَفِي وَسَطِهَا جَامَاتٌ(٢) عَلَيْهَا «فُطُرُ نَخْشَبَ(٣)» فَسَمَّيْتُهَا مَسِيحِيَّةً لِأَنَّهَا أُدُمُ النَّصَارَى، وَأَنَّهُمْ قَرَّبُوا بَعْدَ ذَلِكَ سِكْبَاجَةً(٤) بِعِظَامٍ عَارِيَةٍ فَسَمَّيْتُهَا شِطْرَنْجِيَّةً، وَأَنَّهُمْ قَرَّبُوا بَعْدَهَا مَضِيرَةً فِي غَضَائِرَ بِيضٍ فَسَمَّيْتُهَا مُعْتَدَّةً وَكَانَتْ بِلَا دَسَمٍ، وَالْمُعْتَدَّةُ لَا تَمَسُّ الدُّهْنَ وَالطِّيبَ، وَأَنَّهُمْ قَدَّمُوا بَعْدَهَا زِيرَبَاجَةً(٥) قَلِيلَةَ الزَّعْفَرَانِ فَسَمَّيْتُهَا عَابِدَةً تَشْبِيهًا بِلَوْنِ الْعُبَّادِ فِي الصُّفْرَةِ، وَأَنَّهُمْ قَرَّبُوا بَعْدَهَا لَوْنًا فَسَمَّيْتُهَا قِنَبِيَّةً(٦)

---

(١) أن يكوننى : أن يكون هو إياى ، وقوله وأكونه : أى أكون أياه .

(٢) الجامات : أوان من فضة من كأس ومشربة ونحوها ، الواحد جام .

(٣) نخشب من مدن ما وراء النهر بين سيحون وسمرقند ، وهى نسف نفسها ، وفطرها جمع فطور : وهو ما اعتيد الفطر عليه من النقل وكانت بالأصل « بخسب » وقال بالهامش لعله « نخشت » وكلاهما تحريف (٤) سكباجة : مرقة تعمل من اللحم والخل ، معرب سكبا بالفارسية ، ومعناها : طعام بخل . (٥) زيرباجة : طعام فارسى ، وهو معرب زيربا

(٦) قنبية منسوبة إلى القنب : وهو نوع من الكتان يفتل من لحائه حبال وخيطان وله حب يسمى الشهدانج وهو فارسى قد جرى فى كلام العرب .

وأنهم قربوا بعدها زبيبية (١) سوداء فسميتها موكبية، وأنهم قربوا بعدها قلية (٢) بعظام الأضلاع فسميتها حسكية (٣)، ثم قربوا بعدها فالوذجة بيضاء فسميتها صابونية، وأنه اعتل على الجماعة بأنه عليل فحولهم من منزله إلى باغ قد طبق بالكراث (٤) فهيأ المجلس هناك، وأحضرهم جرة منثلمة وكانوا يمزجون شرابهم منها، فإذا أرادوا الغائط نقلوها معهم، فكانت مرة في المجلس ومرة في المخرج (٥) وأن الباغبان (٦) ربط بحذائهم عجلة كانت تخور عليهم خواراً مناسباً لقول القائل يا فاطمة، فقلت في ذلك:

يا دعوة مغبرة قاتمة ... كأنها من سفر قادمة
قد قدموا فيها مسيحية ... أضحت على أسلافها نادمة
نعم وشطرنجية لم تزل ... أيد وأيد حولها حائمة (٧)
فلم نزل في لعبها ساعة ... ثم نفضناها (٨) على قائمة
وبعدها معتدة أختها ... عابدة قائمة صائمة
في حجرها أطراف موءودة (٩) ... قد قتلتها أمها ظالمة

(١) زبيبية: منسوبة إلى الزبيب (٢) أي مقلية (٣) حسكية: نسبة إلى الحسك وهو: نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم وورقه كورق الرجلة أو أدق منه.
(٤) طبق بالكراث: أي أحاط به هذا النبات (٥) المخرج: المستراح.
(٦) راعي الماشية فارسية (٧) أي مدومة (٨) نفضناها: حركناها ليزول ما عليها من غبار وغيره. (٩) أصل الموءودة: البنت المدفونة حية، وهذا من عادة الجاهلية، وقد أبطله الاسلام، والمراد: المندمج في غيره.

وَالْقِنِبِيَّاتُ فَلَا تَنْسَهَا ... مُخَيَّرَتِي فِي وَصْفِهَا دَائِمَهْ
أَقُنْبٌ مَا امْتَدَّ فِي إِصْبَعِي ... أَمْ حَيَّةٌ فِي وَسْطِهَا نَائِمَهْ
وَالْمَوْكِبِيَّاتُ بِسُلْطَانِهَا ... قَدْ تَرَكَتْ آنَافَنَا رَاغِمَهْ
وَالْحَسَكِيَّاتُ فَلَا تَنْسَ فِي ... خَنْدَقِهَا أَوْتَادَهَا الْقَائِمَهْ
وَجَامُ صَابُونِيَّةٍ بَعْدَهَا ... فَافْخَرْ بِهَا إِذْ كَانَتِ الْخَاتِمَهْ
ظَلَّ الْكَرَارِيسِي مُسْتَعْبِراً (١) ... مِنْ غُصْبَةٍ فِي دَارِهِ طَاعِمَهْ (٢)
وَقَالَ إِنَّ ابْنِي عَلِيلٌ وَلِي ... قِيَامَةٌ مِنْ أَجْلِهِ قَائِمَهْ
وَوَلْوَلَتْ دَايَاتُهُ (٣) حَوْلَهُ ... وَلَيْسَ إِلَّا عَبْرَةٌ سَاجِمَهْ

وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ بَارِدَةٌ نَشِبْتُ (٤) فِي كِتَابَتِهَا فَكَتَبْتُ مِنْهَا هَذَا . وَلَهُ :

لَا تُنْكِرَنْ إِهْدَاءَنَا لَكَ مَنْطِقاً ... مِنْكَ اسْتَفَدْنَا حُسْنَهُ وَنِظَامَهُ
فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَشْكُرُ فِعْلَ مَنْ ... يَتْلُو عَلَيْهِ وَحْيَهُ وَكَلَامَهُ

وَقَالَ : وَقَدْ صَادَفَ عَلَى بَابِ ابْنِ رُسْتَم غُمَانِيَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ مُعْتَمَّيْنِ بِعِمَامَتَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ فَامْتَحَنَهُمَا فَوَجَدَهُمَا مِنَ الْأَدَبِ خَالِيَيْنِ ، فَدَخَلَ إِلَى مَجْلِسِ أَبِي عَلِيٍّ وَتَنَاوَلَ الدَّوَاةَ وَالْكَاغَدَ

(١) مستعبرا : حزينا جارية عبرته . (٢) طاعمة : مطعومة : ومنه قوله : فانك أنت الطاعم الكاسى : أى المطعوم المكسى . (٣) وولولت داياته : أى أعولت مربياته وقالت واويلاه (٤) أى علقت وتعبت وكلفت

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَكَتَبَ بَدِيهَةً (١) :

رَأَيْتُ بَابَ (٢) الدَّارِ أَسْوَدَيْنِ ذَوَىْ عِمَامَتَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ

كَجَمْرَتَيْنِ فَوْقَ فَحْمَتَيْنِ

قَدْ غَادَرَا الرَّفْضَ (٣) قَرِيرَىْ عَيْنِ

جَدُّكُمَا عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ فَمَا لَهُ أَنْسَلَ ظُلْمَتَيْنِ (٤) ؟

يَا قُبْحَ شَيْنٍ صَادِرٍ عَنْ زَيْنِ حَدَائِدٍ تُطْبَعُ مِنْ لُجَيْنِ

مَا أَنْتُمَا إِلَّا غُرَابَا بَيْنِ طِيرَا فَقَدْ وَقَعْتُمَا لِلْحَيْنِ (٥)

زُورَا ذَوِى السُّنَّةِ فِى الْمِصْرَيْنِ الْمُظْهِرِينَ الْحُبَّ لِلشَّيْخَيْنِ

وَخَلِّيَا الشِّيعَةَ لِلسِّبْطَيْنِ الْحَسَنِ الْمُرْتَضَى وَالْحُسَيْنِ

لَا تُبْرِمَا إِبْرَامَ رَبِّ الدَّيْنِ سَتُعْطَيَانِ فِى مَدَى عَامَيْنِ

قَالَ : وَقَالَ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عِصَامٍ وَكَانَ يَنْتِفُ لِحْيَتَهُ :

يَا مَنْ يُزِيلُ خِلْقَةَ الرَّ حْمَنِ عَمَّا خُلِقَتْ

تُبْ وَخَفِ اللهَ عَلَى مَا . . . . (٦) اجْتَرَحَتْ

هَلْ لَكَ عُذْرٌ عِنْدَهُ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ؟

فِى لِحْيَةٍ إِنْ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ؟

---

(١) أى من غير إعداد وتحضير . (٢) رأيت باب الدار : منصوب على نزع الخافض ، أى على بابها . (٣) غادرا : تركا ، والرفض : التمسك بمذهب الرافضة المعروف . (٤) ذو النورين : صاحبهما ، وأنسل : ولد ، وظلمتين : يريد العبدين الأسودين . (٥) غرابا بين : أى علامتا شؤم وعذاب ، ووقعتما للحين : أى لهلاككما

(٦) بياض بالأصل

وَقَالَ :

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ حَتَّى الْحَشْرِ مَائِدَةً
ظَلْنَا لَدَيْكَ بِهَا فِي أَشْغَلِ الشُّغُلِ

إِذَا أَقْبَلَ الْجَدْيُ مَكْشُوفًا تَرَائِبُهُ (١)
كَأَنَّهُ مُتَمَطٍّ دَائِمُ الْكَسَلِ

قَدْ مَدَّ كِلْتَا يَدَيْهِ لِي فَذَكَّرَنِي
بَيْتًا (٢) تَمَثَّلُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْمُثُلِ

« كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ بَسْطَتَهُ
يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلِ »

وَقَدْ تَرَدَّى بِأَطْمَارِ الرِّقَاقِ لَنَا
مِثْلَ الْفَقِيرِ إِذَا مَا رَاحَ فِي سَمَلِ (٣)

وَلَهُ :

لَنَا صَدِيقٌ نَفْسُنَا فِي مَقْتِهِ مُنْهَمِكَهْ
أَبْرَدُ مِنْ سُكُونِهِ وَسْطَ النَّدِيِّ (٤) الْحَرَكَهْ
وَجُدَرِيٌّ وَجْهِهِ (٥) يَحْكِيهِ جِلْدُ السَّمَكَهْ

---

(١) ترائبه : عظام صدره . ومتمط : متبختر يمد يديه فى المشى . (٢) فى الأصل : « بنتا تمثله » تحريف (٣) تردى : ارتدى ولبس ، وأطمار الرقاق : أثواب المقلين البالية ، وفى سمل : فى ثوب خلق (٤) الندىّ : النادى ، وهو مجلس القوم ومحدثهم .
(٥) أى بثور وجهه بيض الرءوس تنتشر فى جميع البدن أو فى أكثره تنتفط وتتقيح سريعا .

أَوْ جِلْدُ أَفْعَى سُلِخَتْ　　أَوْ قِطْعَةٌ مِنْ شَبَكَهْ
أَوْ حَلَقُ الدِّرْعِ إِذَا　　أَبْصَرْتَهَا مُشْتَبِكَهْ
أَوْ كَدِرُ الْمَاءِ إِذَا　　مَا الرِّيحُ أَبْدَتْ حُبُكَهْ (١)
أَوْ سَفَنٌ مُحَبَّبٌ　　أَوْ كَرِشٌ مُنْفَرِكَهْ (٢)
أَوْ مُنْخُلٌ أَوْ عَرَضٌ (٣)　　رَقِيقَةٌ مُنْهَتِكَهْ
أَوْ حَجَرُ الْحَمَّامِ كَمْ　　مِنْ وَسَخٍ قَدْ دَلَكَهْ
أَوْ كُورُ زُنْبُورٍ (٤) إِذَا　　أَفْرَخَ فِيهِ تَرَكَهْ
أَوْ سَلْحَةٌ يَابِسَةٌ　　قَدْ نَقَرَتْهَا الدِّيَكَهْ

وَمِنْ مَحَاسِنِ ابْنِ طَبَاطَبَا فِي أَبِي عَلِيٍّ الرُّسْتُمِيِّ يَهْجُوهُ بِالدَّعْوَةِ وَالْبَرَصِ :

أَنْتَ أُعْطِيتَ مِنْ دَلَائِلِ رُسْلِ الْـ
ـلَهِ آيًا بِهَا عَلَوْتَ الرُّءُوسَا
جِئْتَ فَرْدًا بِلَا أَبٍ وَبِيُمْنَا
كَ بَيَاضٌ فَأَنْتَ عِيسَى وَمُوسَى

٥٣ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْجَيْهَانِيُّ *

أَبُو عَبْدِ اللهِ ، قَالَ السَّلَامِيُّ فِي تَارِيخِ خُرَاسَانَ : وَفِي سَنَةِ　　محمد بن أحمد الجيهانى

(١) الحبك بضمتين : الماء الدائم إذا مرت به الريح (٢) السفن بالتحريك : جلد شديد الخشونة ، ومنفركة : مدلكة (٣) العرض : جنس من الثياب ، ومنهتكة : مقطعة مخرقة (٤) كور زنبور : موضعه ، قيل هو معرب .
(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ فِى جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وُلِّىَ أَبُو الْحَسَنِ نَصْرُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ ، وَتَوَلَّى التَّدَابِيرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَيْهَانِىُّ فَأَجْرَى الْأَسْبَابَ عَلَى وُجُوهِهَا ، وَكَانَ حَسَنَ النَّظَرِ لِمَنْ أَمَّلَهُ وَقَصَدَهُ ، مُعِينًا لِمَنْ أَمَّهُ وَاعْتَمَدَهُ ، وَكَانَ مُبْتَلًى بِالْمِذْهَبِ[1] فَلَمْ يَكُنْ يُصَافِحُ أَحَدًا إِلَّا دُونَ ثَوْبٍ أَوْ كَاغَدٍ ، وَمَرَّ يَوْمًا بِنَخَّاسٍ يُعَالِجُ دَابَّةً فَتَأَفَّفَ وَأَبْرَزَ يَدَهُ مِنْ كُمِّهِ وَعَلَّقَهَا إِلَى أَنْ نَزَلَ وَصَبَّ عَلَيْهَا قَمَاقِمَ[2] مِنَ الْمَاءِ تَقَذُّرًا مِمَّا فَعَلَهُ النَّخَّاسُ كَأَنَّهُ هُوَ الَّذِى تَوَلَّى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَأْذَنُ فِى إِمْسَاكِ السَّنَانِيرِ[3] فِى دُورِهِ ، فَكَانَ الْفَأْرُ يَتَعَابَثُ فِيهَا ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو الطَّيِّبِ الطَّاهِرِىُّ :

رَأَيْتُ الْوَزِيرَ عَلَى بَابِهِ ... مِنَ الْمِذْهَبِ الشَّائِعِ الْمُنْتَشِرْ
يَرَى الْفَأْرَ أَنْظَفَ شَىْءٍ يَدِبْ ... بُ عَلَى ثَوْبِهِ وَيَعَافُ الْبَشَرْ
يَبِيتُ حَفِيًّا بِهَا مُعْجَبًا[4] ... وَيُضْحِى عَلَيْهَا شَدِيدَ الْحَذَرْ
وَإِنْ سَغِبَتْ فَهْوَ فِى جُحْرِهَا ... يَفُتُّ لَهَا يَابِسَاتِ الْكِسَرْ
فَلِمْ صَارَ يَسْتَقْذِرُ الْمُسْلِمِينَ ... وَيَأْلَفُ مَا هُوَ عَيْنُ الْقَذَرْ ؟

وَلَهُ أَيْضًا فِيهِ :

---

(١) بكسر الميم : شيطان الوضوء (٢) القماقم : آنية من نحاس يسخن فيها الماء ، مفردها قمقم ، معرب كمكم بالفارسية (٣) السنانير : القطط ، وإمساكها : إبقاؤها (٤) أى مبالغا فى إكرامها ، مظهرا السرور بها ، مكثرا السؤال عن حالها .

مَا فِيكَ مِنْ حَسَنٍ نُثْنِي عَلَيْكَ (١) بِهِ
إِلَّا التَّصَنُّعَ بِالْوَسْوَاسِ لِلنَّاسِ
لِيُوهِمُوا شَغَفاً بِالطُّهْرِ مِنْكَ فَلَا
تُعَدُّ فِيمَنْ يُؤَدِّى جِزْيَةَ الرَّاسِ
يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى دُنْيَا حَظِيتَ بِهَا
عَفْوًا بِلَا طُولِ إِبْسَاسٍ وَإِينَاسِ (٢)

وَلَهُ أَيْضاً فِيهِ :

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِى عَجَائِبُهُ يُضْرَبُ فِى سُوقِنَا بِهَا الْمَثَلُ
أَنْتَ إِذَا كُنْتَ طُولَ دَهْرِكَ بِالْـ
ـمَخْرَجِ عَمَّا سِوَاهُ تَشْتَغِلُ
فَأَيْنَ أَلْقَاكَ لِلْحَوَائِجِ أَوْ فِى أَىِّ حِينٍ يُهِمُّكَ الْعَمَلُ ؟؟

قَالَ : وَكَانَ هِجِّيرَى (٣) الْجَيْهَانِىِّ يَقُولُ فِى أَضْعَافِ كَلَامِهِ : « بدواندرون » وَأَنَّ هِجِّيرَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَارِضِ يَقُولُ : « هَزِين » وَفِيهِمَا يَقُولُ الطَّاهِرِىُّ :

وَزِيرَانِ أَمَّا بِالْمُقَدَّمِ مِنْهُمَا نَخَبْلٌ وَبِالثَّانِى يُقَالُ جُنُونُ
إِذَا نَحْنُ كَلَّمْنَاهُمَا نَجَوَابُنَا «بَدواندَرُونُ» دَائِمٌ «وَهَزِينُ»

---

(١) كان بالأصل « فيه ، عليه » فحولناه إلى الخطاب ليتفق مع السياق بعد كما نبه بهامشه (٢) يقول بلا طول معالجة ورفق كما يفعل الحالب من تقديم الابساس للناقة وإيناسها لتدر (٣) هجيرى الرجل : كلمة يلزمها فى كلامه فلا يزال يكررها حشوا

مَتَى تلقَ ذا أَوْ تلقَ ذاكَ لحادثٍ
تُلاقِ مهيناً لا يكادُ يُبينُ

ومَعْنَى «بدواندرون» «اُعدُ إلى داخلٍ» وَمَعْنَى «هزين» الفِرَارُ.

وَلِلطَّاهِرِيِّ فِيهِمْ :

إِنَّ الأُمُورَ إِذَا أَضْحَتْ يُدَبِّرُهَا
طِفْلٌ رَضِيعٌ وَسَكْرَانٌ وَمَجْنُونُ

لَمُخْبِرَاتٌ بِأَنْ لَنْ يَسْتَقِيمَ بِهَا
لِمَنْ تَوَسَّطَهَا دُنْيَا وَلَادِينُ

﴿ ٥٤ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو النَّدَى الْغُنْدِجَانِىُّ(١) اللُّغَوِىُّ * ﴾

رَجُلٌ وَاسِعُ الْعِلْمِ رَاجِحُ الْمَعْرِفَةِ بِاللُّغَةِ وَأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا، وَمَا عَرَفْتُ لَهُ شَيْخاً يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَلَا تِلْمِيذاً يُعَوِّلُ عَلَيْهِ غَيْرَ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَعْرَابِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْأَسْوَدِ صَاحِبِ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي تَصَدَّى فِيهَا لِلْأَخْذِ عَلَى أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّ رِوَايَتَهُ فِي كُتُبِهِ كُلِّهَا عَنْ أَبِي النَّدَى هَذَا، وَأَنَا أَرَى أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ خَرَجَ إِلَى الْبَادِيَةِ وَاقْتَبَسَ عُلُومَهُ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْخِيَمَ وَقَدْ وَقَعَ لِي شَيْءٌ مِنْ خَبَرِهِ فِي ذَلِكَ أَنَا أُورِدُهُ هَهُنَا لِيُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى مَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ كَمَا اسْتَدْلَلْتُ أَنَا بِهِ : وَجَدْتُ بِخَطِّ صَدِيقِنَا كَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ

محمد بن أحمد الغندجانى

(١) نسبة إلى غندجان : بليدة بأرض فارس فى مفازة قليلة الماء معطشة .

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢١

ابْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَبى جَرَادَةَ الْحَلَبِىِّ الفَقِيهِ الْمُدَرِّسِ الْكَاتِبِ الْأَدِيبِ مَا أَسْنَدَهُ إِلَى لَيْثٍ الطَّوِيلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا النَّدَى وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ مَنْ شَاهَدْتُ بِأَخْبَارِ الْعَرَبِ، هَلْ تَعْرِفُ مِنْ شِعْرِ الذَّلْفَاء بِنْتِ الْأَبْيَضِ فِى ابْنِ عَمِّهَا نَجْدَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ؟ قَالَ نعم، كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ جنَازَةَ نَجْدَةَ حَتَّى وَضَعْنَاهُ فِى قَبْرِهِ وَأَهَلْنَا عَلَيْهِ التُّرَابَ وَصَدَرْنَا عَنْهُ (١) غَيْرَ بَعِيدٍ، فَأَقْبَلَتْ نِسْوَةٌ يَتَهَادَيْنَ (٢) فِيهِنَّ امْرَأَةٌ قَدْ فَاقَتْهُنَّ طُولًا كَالْغُصْنِ الرَّطْبِ «وَإِذَا هِيَ الذَّلْفَاءُ» فَأَقْبَلَتْ حَتَّى أَكَبَّتْ عَلَى الْقَبْرِ وَبَكَتْ بُكَاءً مُحْرِقًا، وَأَظْهَرَتْ مِنْ وَجْدِهَا مَا خِفْنَ مَعَهُ عَلَى نَفْسِهَا، فَقُلْنَ لَهَا: يَا ذَلْفَاءُ، إِنَّهُ قَدْ مَاتَ السَّادَاتُ مِنْ قَوْمِكِ قَبْلَ نَجْدَةَ، فَهَلْ رَأَيْتِ نِسَاءَهُمْ قَتَلْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَلَيْهِمْ؟ فَلَمْ يَزَلْنَ بِهَا حَتَّى قَامَتْ فَانْصَرَفَتْ عَنِ الْقَبْرِ، فَلَمَّا صَارَتْ مِنْهُ غَيْرَ بَعِيدٍ عَطَفَتْ بِوَجْهِهَا عَلَيْهِ وَقَالَتْ:

سَئِمْتُ حَيَاتِى حِينَ فَارَقْتُ قَبْرَهُ
وَرُحْتُ وَمَاءُ الْعَيْنِ يَنْهَلُّ هَامِلُهْ (٣)

وَقَالَتْ نِسَاءُ الْحَىِّ قَدْ مَاتَ قَبْلَهُ
شَرِيفٌ فَلَمْ تَهْلِكْ عَلَيْهِ حَلَائِلُهْ (٤)

(١) أى رجعنا عنه (٢) أى يتمايلن فى مشيتهن (٣) ينهل: ينصب، وهامله: دمعه الفائض (٤) أى زوجاته الحليلات، جمع حليلة.

صَدَقْنَ لَقَدْ مَاتَ الرِّجَالُ وَلَمْ يَمُتْ
كَنَجْدَةَ مِنْ إِخْوَانِهِ مَنْ يُعَادِلُهْ
فَتًى لَمْ يَضِقْ عَنْ جِسْمِهِ لَحْدُ قَبْرِهِ
وَقَدْ وَسِعَ الْأَرْضَ الْفَضَاءَ فَضَائِلُهْ

قَالَ: فَقُلْتُ أَحْسَنْتَ وَاللهِ يَا أَبَا النَّدَى وَأَحْسَنَتْ، فَهَلْ تَعْرِفُ مِنْ شِعْرِهَا شَيْئًا آخَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ مِمَّنْ حَضَرَ قَبْرَ نَجْدَةَ عِنْدَ زِيَارَتِهَا إِيَّاهُ لِتَمَامِ الْحَوْلِ فَرَأَيْتُهَا قَدْ أَقْبَلَتْ حَتَّى أَكَبَّتْ عَلَى الْقَبْرِ وَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

يَا قَبْرَ نَجْدَةَ لَمْ أَهْجُرْكَ مَقْلِيَةً
وَلَا جَفَوْتُكَ مِنْ صَبْرِي وَلَا جَلَدِي
لَكِنْ بَكَيْتُكَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَدَدًا
مِنَ الدُّمُوعِ وَلَا عَوْنًا مِنَ الْكَمَدِ
وَآيَسَتْنِي جُفُونِي مِنْ مَدَامِعِهَا
فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ فِيضِي مِنْ دَمِ الْكَبِدِ
فَلَمْ أَزَلْ بِدَمِي أَبْكِيكَ جَاهِدَةً
حَتَّى بَقِيتُ بِلَا عَيْنٍ وَلَا جَسَدِ
وَاللهُ يَعْلَمُ لَوْلَا اللهُ مَا رَضِيَتْ
نَفْسِي عَلَيْكَ سِوَى قَتْلٍ لَهَا بِيَدِي

قَالَ : فقُلتُ : أَحسَنْتَ وَاللهِ يا أَبا النَّدَى وَأَحسَنَتْ ، فهل تَعْرِفُ مِنْ شِعْرِهَا شيئًا آخرَ ؟ قَالَ : نعمْ ، حَضرْنَا عِيداً لَنَا فِي زَمنِ الرَّبِيعِ وَنَحْنُ فِي رِيَاضٍ خَضِرَةٍ مُعْشِبَةٍ فَركبَ الفِتْيَانُ وَعَقَدُوا العَذَبَ الصُّفْرَ (١) فِي القَنَا الحُمْرِ ، وَجَعلُوا يَتَجَاوَلُونَ فلمَّا أَرَدْنَا الانصِرَافَ قَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : أَلَا تَجْعَلُونَ (٢) طَرِيقَكُمْ عَلَى الذَّلْفَاءِ ! وَلَعَلَّهَا إِذَا نظرَتْ إِلَيْكُمْ تَسلَّتْ بِمَنْ بَقِيَ عَمَّنْ هَلَكَ . قَالَ : فخَرَجنَا نَؤُمُّهَا فأَصَبْنَاهَا بَارِزَةً مِنْ خِبَائِهَا وَهِيَ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَعْلُوهَا كُسُوفُ الحُزْنِ (٣) فَسلَّمْنَا عَلَيْهَا وَقُلْنَا : يَا ذَلْفَاءُ إِلَى كَمْ يَكُونُ هَذَا الوَجْدُ عَلَى نَجْدَةَ ؟ أَمَا آنَ لَكِ أَنْ تَتَسلَّى بِمَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي عَمِّكِ عَمَّنْ هَلَكَ ، هَا نَحْنُ سَادَاتُ قَوْمِكِ وَفِتْيَانُهُمْ وَنُجُومُهُمْ ، وَفِينَا السَّادَةُ وَالذَّادَةُ (٤) ، وَالبَأْسُ وَالنَّجْدَةُ . فَأَطْرَقَتْ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا بَاكِيَةً تَقُولُ :

صَدَقْتُمْ إِنَّكُمْ لَنُجُومُ قَوْمِي ... لُيُوثٌ عِنْدَ مُخْتَلَفِ العَوَالِي
وَلَكِنْ كَانَ نَجْدَةُ بَدْرَ قَوْمِي ... وَكَهْفَهُمُ المُنِيفَ عَلَى الجِبَالِ
فَمَا حُسْنُ السَّمَاءِ بِلَا نُجُومٍ ... وَمَا حُسْنُ النُّجُومِ بِلَا هِلَالِ !!

ثُمَّ دَخَلَتْ خِبَاءَهَا وَأَرْسَلَتْ سِتْرَهَا فَكَانَ آخِرَ العَهْدِ

---

(١) أي الرايات ، والقنا الحمر : الرماح (٢) بالأصل « لا تجعلون » تحريف
(٣) أي تغيره (٤) أي المدافعون جمع ذائد

بِهَا . وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ فِى الْمُذَيَّلِ : أَنْشَدَنَا شَافِعُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَمَّامِيُّ ، أَنْشَدَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْغَافِرِ الْفَارِسِيُّ ، أَنْشَدَنِى أَبُو حَرْبٍ رَزْمَاشُوبُ بْنُ زِيَادٍ الْجِيلِيُّ بِشِيرَازَ ، أَنْشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْغُنْدِجَانِيُّ الْأَدِيبُ ، أَنْشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَسْوَدُ الْغُنْدِجَانِيُّ الْأَدِيبُ ، أَنْشَدَنَا أَبُو النَّدَى قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا بِالْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَاصِمٍ يُنْشِدُ لِنَفْسِهِ :

وَمَا مُغْزِلٌ بِالْغَوْرِ غَوْرِ تِهَامَةٍ
بِأَوْدِيَةٍ صَابَتْ عَلَيْهَا عُهُودُهَا (١)
تَرُودُ الضُّحَى أَفْنَانَ ضَالٍ وَتَتَّقِى
وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْأَرَاكَةِ جِيدُهَا (٢)
بِأَحْسَنَ مِنْ سَلْمَى وَلَا ضَوْءُ دُرَّةٍ
تَسَمَّى (٣) إِلَيْهَا غَائِصٌ يَسْتَجِيدُهَا

قَرَأْتُ فِى كِتَابِ اللَّقَائِطِ لِأَبِي يَعْلَى بْنِ الْهَبَّارِيَّةِ وَقَدْ ذَكَرَ (٤) أَبَا مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيَّ وَوَضَعَ مِنْهُ وَانْتَصَرَ لِلنَّمَرِيِّ الَّذِى شَرَحَ الْحَمَاسَةَ وَغَيْرِهِ ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ رِوَايَاتِهِمْ

(١) مغزل : ظبية لها غزال ، والغور : المطمئن من الحجر يأوى إليه الوحش ، وصابت : نزلت وسالت ، وعهودها : أمطارها ، والعهد : مطر بعد مطر يدرك آخره بال أوله (٢) ترود الضحى إلخ : تذهب فى طلب الأفنان « وهى الأغصان ضحى » . والضال : السدر البرى ، أو شجر آخر ، والأراكة : واحدة شجر الأراك

(٣) أى انتسب ليعلم شأنه (٤) فى الأصل : « وقد ذكرنا » تحريف كما نبه بهامشه

وَإِتْقَانِ عِلْمِهِمْ وَمَقَالَاتِهِمْ ثُمَّ قَالَ: فَكَيْفَ نَتْرُكُ أَمْثَالَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ لِرِوَايَةِ مِثْلِ أَبِي النَّدَى؟ وَلَمْ يَذْكُرْ لِي مَنْ لَقِيتُهُ مِنْ شُيُوخِ بِلَادِ فَارِسَ مِنْ فَضْلِ أَبِي النَّدَى إِلَّا أَنَّهُ غَابَ عَنْ أَهْلِهِ مُدَّةً وَأَقَامَ فِي الْبَادِيَةِ سِنِينَ عِدَّةً، وَعَادَ يَرْوِي وَيُخْبِرُ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ فَأَخَذَ يَطْلِيهِ بِالزَّيْتِ وَيَقِفُهُ فِي شَمْسِ الْقَيْظِ بِالْغُنْدِجَانِ وَهِيَ حَارَّةٌ جِدًّا وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ لِيَكُونَ أَسْمَرَ اللَّوْنِ كَالْعَرَبِ حَتَّى مَاتَ ذَلِكَ الْمِسْكِينُ

﴿ ٥٥ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ نُوحٍ * ﴾

محمد بن أحمد الأزهرى

ابْنِ الْأَزْهَرِ بْنِ نُوحِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، الْأَزْهَرِيُّ أَبُو مَنْصُورٍ اللُّغَوِيُّ الْأَدِيبُ الشَّافِعِيُّ الْمَذْهَبِ الْهَرَوِيُّ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو النَّضْرِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْفَامِيُّ فِي تَارِيخِ هَرَاةَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَوَافَقَهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْكُتُبِيُّ الْهَرَوِيُّ فِي كِتَابِ الْوَفَيَاتِ لَهُ وَزَادَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ. قَالَ الْحَاكِمُ: وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ تَارِيخِ السِّنِينَ تَصْنِيفِ أَبِي يَعْقُوبَ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفُرَاتِ الْهَرَوِيِّ الْحَافِظِ وَأَصْلُهُ عِنْدِي بِخَطِّهِ فِي عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ: أَنَّ مَوْلِدَ أَبِي مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيِّ

(*) ترجم له فى بغية الوعاة

فى سَنة اثْنَتَين ومائتين، أخذ الأزهرىُّ عن أبى الفضل محمد ابن أبى جعفر المنذرىّ عن ثعلب وغيره فأكثر. وعن أبى محمد المزنىّ عن أبى الخليفة الجمحىّ، وعن أبى محمد عبد الله بن عبد الوهّاب البغوىّ عن الرَّبيع بن سليمان عن الشّافعىّ، وعن عبد الله بن محمد بن هاجك، وأبى القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوىّ. ورد بغداد وأدرك ابن دريد فلم يرو عنه قال: ودخلت داره ببغداد مرّة (١) فألفيته على كبر سنّ سكران لا يكاد يستمرّ لسانه على الكلام من سكره. وأخذ الأزهرىُّ ببغداد عن أبى عبد الله إبراهيم بن عرفة نفطويه، وعن ابن السرّاج، وصنّف: كتاب التّهذيب فى اللّغة، كتاب معرفة الصّبح، كتاب التّقريب فى التّفسير، كتاب تفسير ألفاظ كتاب المزنىّ، كتاب علل القراءات، كتاب فى الرّوح وما جاء فيه من القرآن والسُّنّة، كتاب تفسير أسماء الله عزّ وجلّ، كتاب معانى شواهد غريب الحديث، كتاب الرّدّ على اللّيث، كتاب تفسير شواهد غريب الحديث، كتاب تفسير إصلاح المنطق، كتاب تفسير السّبع الطّوال، كتاب تفسير شعر أبى تمّام، كتاب الأدوات.

(١) بالأصل « غيره » محريف كما نبه بهامشه

وَذَكَرَ فى مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ قَالَ: وَكُنْتُ امْتُحِنْتُ بِالإِسَارِ (١) سَنَةَ عَارَضَتِ الْقَرَامِطَةُ الْحَاجَّ بِالْهَبِيرِ (٢) ، وَكَانَ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَقَعْتُ فِى سَهْمِهِمْ عَرَبًا نَشَئُوا بِالْبَادِيَةِ يَتَتَبَّعُونَ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ أَيَّامَ النُّجَعِ (٣) ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى إِعْدَادِ الْمِيَاهِ فِى مَحَاضِرِهِمْ زَمَنَ الْقَيْظِ ، وَيَرْعَوْنَ النَّعَمَ وَيَعِيشُونَ بِأَلْبَانِهَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِطِبَاعِهِمُ الْبَدَوِيَّةِ وَقَرَائِحِهِمُ الَّتِى اعْتَادُوهَا ، وَلَا يَكَادُ يَكُونُ فِى مَنْطِقِهِمْ لَحْنٌ أَوْ خَطَأٌ فَاحِشٌ ، فَبَقِيتُ فِى إِسَارِهِمْ دَهْرًا طَوِيلًا ، وَكُنَّا نَتَشَتَّى (٤) الدَّهْنَاءَ ، وَنَتَرَبَّعُ الصَّمَّانَ (٥) ، وَنَتَقَيَّظُ السِّتَّارَيْنِ (٦) ، وَاسْتَفَدْتُ مِنْ مُخَاطَبَاتِهِمْ وَمُحَاوَرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا أَلْفَاظًا جَمَّةً ، وَنَوَادِرَ كَثِيرَةً أَوْقَعْتُ أَكْثَرَهَا مِنَ الْكِتَابِ ، وَسَتَرَاهَا فِى مَوَاضِعِهَا إِذَا أَنْتَ قَرَأْتَهَا عَلَيْنَا (٧) إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَذَكَرَ فِى تَضَاعِيفِ كِتَابِهِ أَنَّهُ أَقَامَ بِالصَّمَّانِ شَتْوَتَيْنِ ، وَرَأَى بِبَغْدَادَ أَبَا إِسْحَاقَ الزَّجَّاجَ وَأَبَا بَكْرِ بْنَ الْأَنْبَارِىِّ وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ أَخَذَ عَنْهُمْ شَيْئًا .

---

(١) أى بالأسر (٢) القرامطة : فرقة من غلاة الشيعة ، الواحد قرمطى . والهبير : زرود فى طريق مكة كانت عنده وقعة ابن أبى القرمطى بالحاج سنة ٣١٢ هـ (٣) النجع : جمع نجعة ، وهى طلب الكلأ فى موضعه (٤) أى نقيم زمن الشتاء بالدهناء : وهى من ديار بنى تميم (٥) أى نقيم زمن الربيع بالصمان : وهى أرض غليظة دون الجبل ، وبلدة متاخمة الدهناء (٦) أى نقيم زمن شدة الحر فى الستارين : وهما فى ديار بنى ربيعة ، يقال لأحدهما الستار الأغبر ، وللآخر الستار الجابرى (٧) بالأصل « عليها » تحريف كما نبه بهامشه

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : كَانَتْ سَنَةُ الْهَبِيرِ هِيَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا كَانَتْ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ (١) ، عَارَضَهُمْ أَبُو طَاهِرٍ الْجَنَّابِيُّ فَقَتَلَ بَعْضَهُمْ وَأَسْتَرَقَّ بَعْضَهُمْ وَأَسْتَوْلَى عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِمْ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ .

٥٦ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طَالِبٍ الْأَخْبَارِيُّ *

محمد بن أحمد الأخبارى

قَالَ الْخَطِيبُ : مَاتَ بَعْدَ سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَيُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ ، سَكَنَ الشَّامَ وَحَدَّثَ بِطَرَابُلُسَ ، أَنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَغْدَادِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْأَعْرَابِيُّ لِنَفْسِهِ :

كُنْتُ دَهْرًا أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالْوَعْـ
ـدِ وَأَخْلُو مُسْتَأْنِسًا بِالْأَمَانِي
فَمَضَى الْوَاعِدُونَ ثُمَّ اقْتَطَعْنَا
عَنْ فُضُولِ الْمُنَى لِصَرْفِ الزَّمَانِ (٢)

٥٧ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ شَنَبُوذَ *

محمد بن أحمد المقرىء

أَبُو الْحَسَنِ الْمُقْرِئُ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ فِي سَنَةِ

---

(١) وأنت ترى ما ذكر قبل عند ذكر الهبير من أنه كان فى سنة ٣١٢ هـ .

(٢) بالأصل « فصول » تصحيف وبهذا « صروف » وهو لا يتفق مع ما اقتطعنا ساكن العين ولا يمكن فتحها مع سلامة الوزن .

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ بغداد بترجمة ضافية ج أول س ٣١٠

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ بغداد ج أول س ٢٨٠

ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة ، قال الخطيب : قد تخيّر لنفسه حروفاً من شواذّ القراءات فقرأ بها ، فصنف أبو بكرٍ الأنباري وغيره كتباً في الرّدّ عليه .

قرأت بخطّ أبي عليّ بن إسحاق الصابىء ، قال القاضي أبو سعيدٍ السّيرافي — رحمه الله : كان ابن شنبوذ واسمه محمد ابن أحمد بن أيوب كثير اللّحن قليل العلم ، وكان ديّنا وفيه سلامةٌ وحمقٌ ، ثمّ ذكر توبته كما ذكرنا بعد .

حدّث إسماعيل بن عليّ الخطيبيّ في كتاب التّاريخ قال : واشتهر ببغداد أمر رجلٍ يعرف بابن شنبوذ يقرىء النّاس ويقرأ في المحراب بحروفٍ يخالف فيها المصحف فيما يروى عن عبد الله بن مسعودٍ ، وأبيّ بن كعبٍ وغيرهما ممّا كان يقرأ به قبل المصحف الذي جمعه عثمان ، ويتتبّع الشّواذّ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره النّاس ، فوجّه السّلطان وقبض عليه في سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثمائة وحمل إلى دار الوزير محمد بن مقلة وأحضر القضاة والفقهاء والقرّاء وناظره الوزير بحضرته ، فأقام على ما ذكر عنه ونصره ، واستنزله (١) الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه

(١) أى طلب منه أن ينزل ويرجع عن حاله

أَوْ يَرْجِعَ عَمَّا يَقْرَأُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الشَّوَاذِّ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي تَزِيدُ عَلَى الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ وَأَشَارُوا بِعُقُوبَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ بِمَا يَضْطَرُّهُ إِلَى الرُّجُوعِ ، فَأَمَرَ بِتَجْرِيدِهِ (١) وَإِقَامَتِهِ بَيْنَ الْخَبَّازِينَ ، وَأَمَرَ بِضَرْبِهِ بِالدِّرَّةِ عَلَى قَفَاهُ فَضُرِبَ نَحْوَ الْعَشَرَةِ ضَرْباً شَدِيداً فَلَمْ يَصْبِرْ وَاسْتَغَاثَ وَأَذْعَنَ بِالرُّجُوعِ وَالتَّوْبَةِ فَخُلِّيَ عَنْهُ وَأُعِيدَتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ وَاسْتُتِيبَ (٢) ، وَكُتِبَ عَلَيْهِ كِتَابُ تَوْبَتِهِ وَأُخِذَ فِيهِ خَطُّهُ بِالتَّوْبَةِ فَتَقَوَّلَ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ دَعَا عَلَى ابْنِ مُقْلَةَ بِقَطْعِ الْيَدِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ الاتِّفَاقِ إِنْ صَحَّ ، وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ (٣) فَقَالَ : كَانَ ابْنُ شَنَبُوذَ يُنَاوِىءُ أَبَا بَكْرِ بْنَ مُجَاهِدٍ وَلَا يَعْشِرُهُ (٤) ، وَكَانَ دَيِّناً فِيهِ سَلَامَةٌ وَحُمْقٌ . قَالَ لِي الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ يُوسُفُ بْنُ السِّيرَافِيِّ : إِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ اللَّحْنِ قَلِيلَ الْعِلْمِ ، وَقَدْ رَوَى قِرَاءَاتٍ كَثِيرَةً ، وَلَهُ كُتُبٌ مُصَنَّفَةٌ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ مِمَّا خَالَفَ فِيهِ قِرَاءَةَ الْجُمْهُورِ . « قَالَ الْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ : وَسُئِلَ عَنْهُ بِحَضْرَةِ الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيِّ ابْنِ مُقْلَةَ فَاعْتَرَفَ بِهِ وَلَمْ يُنْكِرْهُ » : « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ

---

(١) أي بتخليعه ثيابه الرسمية (٢) أي طلبت منه التوبة

(٣) بهامش الأصل « ص ٣١ » (٤) أي لا يساوى منه واحدا من عشرة

يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَامْضُوا[١] إِلَى ذِكْرِ اللهِ ». وَقَرَأَ « وَكَانَ أَمَامَهُمْ[٢] مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا ». وَقَرَأَ « كَالصُّوفِ[٣] الْمَنْفُوشِ ». وَقَرَأَ « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ[٤] مَا أَغْنَى ». وَقَرَأَ « فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدَيْكَ[٥] لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ». وَقَرَأَ « وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ[٦] أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ». وَقَرَأَ « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ[٧] وَالْأُنْثَى ». وَقَرَأَ « وَقَدْ كَذَّبَ[٨] الْكَافِرُونَ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ». وَقَرَأَ « إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ[٩] » إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ مَا خَالَفَ فِيهِ ابْنُ كَثِيرٍ أَبَا عَمْرٍو، كِتَابُ قِرَاءَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. كِتَابُ اخْتِلَافِ الْقُرَّاءِ، كِتَابُ شَوَاذِّ الْقِرَاءَاتِ، كِتَابُ انْفِرَادَاتِهِ[١٠].

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ أَلَّفَهُ الْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ عَبْدُ السَّلَامِ الْقَزْوِينِيُّ سَمَّاهُ أَفْوَاجَ الْقُرَّاءِ قَالَ: كَانَ ابْنُ شَنَبُوذَ أَحَدَ الْقُرَّاءِ

---

(١) المشهور : فاسعوا . قال فى الكشاف : قرأ عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم : فامضوا (٢) المشهور : وراءهم ، وذكر فى الكشاف قراءة أبىّ وعبدالله : « صالحة » . ولم يذكر أمامهم (٣) هي قراءة ابن مسعود . والمشهور : كالعهن
(٤) هي أيضاً قراءة ابن مسعود والمشهور : وتب (٥) المشهور : ببدنك
(٦) المشهور : رزقكم (٧) المشهور : وما خلق الذكر الخ (٨) المشهور : فقد كذبتم فسوف الخ مع حذف الكافرين ، هذا وكل ما علق به على القراءات منقول عن هامش الأصل (٩) المشهور : كبير (١٠) أى ما انفرد به من القراءات وخالف فيه القراء .

وَالْمُتَنَسِّكِينَ ، وَكَانَ يَرْجِعُ إِلَى وَرَعٍ وَلَـكِنَّهُ كَانَ يَمِيلُ إِلَى الشَّوَاذِّ وَيقْرَأُ بِهَا ، وَرُبَّمَا أَعْلَنَ بِبَعْضِهَا فِي بَعْضِ صَلَوَاتِهِ الَّتِي يُجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ ، وَسُمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ وَأُنكِرَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَدَعْهُ لِلإِنكَارِ فَقَامَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ فِيهِ حَقَّ الْقِيَامِ ، وَأَشْهَرَ أَمْرَهُ وَرَفَعَ حَدِيثَهُ إِلَى الْوَزِيرِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَهُوَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ فَأُخِذَ وَضُرِبَ أَسْوَاطاً زَادَتْ عَلَى الْعَشَرَةِ وَلَمْ تَبْلُغِ الْعِشْرِينَ ، وَحُبِسَ وَاسْتُتِيبَ فَتَابَ وَقَالَ : إِنِّي قَدْ رَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ أَقْرَأُ بِهِ وَلَا أُخَالِفُ مُصْحَفَ عُثْمَانَ ، وَلَا أَقْرَأُ إِلَّا بِمَا فِيهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيٍّ مَحْضَراً بِمَا سَمِعَ مِنْ لَفْظِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ فِي آخِرِهِ بِخَطِّهِ . وَكَانَ الْمَحْضَرُ بِخَطِّ أَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَيْمُونٍ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ تَجَرَّدَ (١) فِي كَشْفِهِ وَمُنَاظَرَتِهِ ، فَانْتَهَى أَمْرُهُ إِلَى أَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ السِّمْسَارُ فِي إِصْلَاحِ أَمْرِهِ وَسَأَلَ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ أَنْ يُطْلِقَهُ وَأَنْ يُنْفِذَهُ إِلَى دَارِهِ مَعَ أَعْوَانِهِ بِاللَّيْلِ خِيفَةً عَلَيْهِ لِئَلَّا يَقْتُلَهُ الْعَامَّةُ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَوُجِّهَ إِلَى الْمَدَائِنِ سِرًّا مُدَّةَ شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ بِبَغْدَادَ مُسْتَخْفِياً مِنَ الْعَامَّةِ . وَنُسْخَةُ الْمَحْضَرِ الْمَعْمُولِ

(١) أي جد فيه وتفرغ له

عَلَى ٱبْنِ شَنَبُوذَ بِخَطِّ ٱبْنِ مَيْمُونٍ : يَقُولُ مُحَمَّدُ ٱبْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱبْنِ شَنَبُوذَ : قَدْ كُنْتُ أَقْرَأُ حُرُوفًا تُخَالِفُ مَا فِي مُصْحَفِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ — رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ — ٱلْمُجْمَعِ عَلَيْهِ وَٱلَّذِي ٱتَّفَقَ أَصْحَابُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ ، ثُمَّ بَانَ لِي أَنَّ ذَلِكَ خَطَأٌ فَأَنَا مِنْهُ تَائِبٌ وَعَنْهُ مُقْلِعٌ وَإِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ بَرِيءٌ ، إِذْ كَانَ مُصْحَفُ عُثْمَانَ هُوَ ٱلْحَقَّ ٱلَّذِي لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ ، وَلَا أَنْ يُقْرَأَ بِغَيْرِ مَا فِيهِ . نُسْخَةُ خَطِّ ٱبْنِ شَنَبُوذَ فِي هَذَا ٱلْمَحْضَرِ : يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ ٱبْنِ شَنَبُوذَ : مَا فِي هَذِهِ ٱلرُّقْعَةِ صَحِيحٌ ، وَهُوَ قَوْلِي وَٱعْتِقَادِي ، وَأُشْهِدُ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَسَائِرَ مَنْ حَضَرَ عَلَى نَفْسِي بِذَلِكَ وَكَتَبَ بِخَطِّهِ ، فَمَتَى خَالَفْتُ ذَلِكَ أَوْ بَانَ مِنِّي غَيْرُهُ فَأَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ـ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَهُ ـ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِنْ دَمِي ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ ٱلْأَحَدِ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ ٱلْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي مَجْلِسِ ٱلْوَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ـ أَدَامَ ٱللهُ تَوْفِيقَهُ ـ وَحَسْبِيَ ٱللهُ وَحْدَهُ ، وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

خَطُّ ٱبْنِ مُجَاهِدٍ : ٱعْتَرَفَ ٱبْنُ شَنَبُوذَ بِمَا فِي هَذِهِ ٱلرُّقْعَةِ وَكَتَبَ ٱبْنُ مُجَاهِدٍ بِيَدِهِ وَذَكَرَ ٱلتَّارِيخَ .

خَطُّ ٱبْنِ أَبِي مُوسَى : ٱعْتَرَفَ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱبْنِ شَنَبُوذَ بِمَا فِي هَذِهِ

الرُّقْعَةِ بِحُضُورِى طَوْعاً . وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى مُوسَى الْهَاشِمِىُّ وَذَكَرَ التَّارِيخَ . شَهَادَةٌ أُخْرَى : شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَى إِقْرَارِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ شَنَبُوذَ بِجَمِيعِ مَا فِى هَذَا الْكِتَابِ وَذَكَرَ التَّارِيخَ . وَقَالَ ابْنُ شَنَبُوذَ فِى الْمَجْلِسِ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ خَالَفُوا بَعْضَ مَا فِى هَذَا الْمُصْحَفِ الَّذِى فِى أَيْدِينَا وَكَانَ اعْتِرَافُهُ بِهِ طَوْعاً . شَهِدَ بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى مُوسَى وَكَتَبَ بِيَدِهِ . وَشَهِدَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُجَاهِدٍ وَكَتَبَ بِيَدِهِ . قَالَ الْقَاضِى أَبُو يُوسُفَ : كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ مِنْ مَشَايِخِنَا بِالرَّىِّ ثُمَّ بِبَغْدَادَ أَنَّ سَبَبَ الْإِنْكَارِ عَلَى ابْنِ شَنَبُوذَ أَنَّهُ قَرَأَ أَوْ قُرِىءَ عَلَيْهِ فِى آخِرِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ عِنْدَ حِكَايَةِ قَوْلِ عِيسَى « وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ مِنَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) »

﴿ ٥٨ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّنَبُوذِىُّ أَبُو الْفَرَجِ (*) ﴾

محمد بن أحمد الشنبوذى

الْمُقْرِىءُ ، يُعْرَفُ بِغُلَامِ ابْنِ شَنَبُوذَ ، مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ ، وَمَوْلِدُهُ فِى سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ . قَالَ الْخَطِيبُ : رَوَى عَنْ أَبِى الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ شَنَبُوذَ وَغَيْرِهِ

(١) المشهور : « وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »

(*) ترجم له فى طبقات المفسرين بترجمة ضافية ، وترجم له أيضا فى كتاب تاريخ بغداد .

كُتُبًا فى القراءات وتكلم النَّاسُ فى رواياته، وسئل الدَّارقطنى عنه فأساء القول فيه والثناء عليه قال: وسمعت عبيد الله الصيرفى يذكر أبا الفرج الشنبوذى فعظم أمره، ووصف علمه بالقرآن وحفظ التفسير وقال: سمعته يقول: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن. وله من التصانيف: كتاب الشارة فى تلطيف العبارة فى علم القرآن، كتاب التفسير ولم يتم.

٥٩ — محمد بن أحمد المعمرى أبو العباس *

محمد بن أحمد المعمرى

النحوى، أحد شيوخ النحاة ومشهوريهم، صحب الزجاج وأخذ عنه، وكان أبو الفتح المراغى تلميذه وصاحبه، وكان أكثر مقامه بالبصرة وبها توفى وأظنه من أهلها، وله شعر صالح متوسط من أشعار الأدباء، ومات فيما أحسب بين الخمسين وثلاثمائة والثلاثمائة قال ذلك ابن عبد الرحيم.

قال: وأنشدنى أبو القاسم التنوخى عن أبيه له من قصيدة مدح بها جده أبا القاسم أولها:

وجفون المضانيات المراض ... والثنايا يلحن بالإيماض (١)

(١) المضانيات: اللائى يصبن العشاق بالضنى، والمراض: الفاترات الطرف، والإيماض: البريق

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

وَالعُهُودِ الَّتِي تَلُوحُ بِهَا الصُّحْـ ... ـفُ خِلَافَ الصُّدُودِ وَالْإِعْرَاضِ
لَبَرَتْنِي الْخُطُوبُ حَتَّى نَضَتْنِي ... حَرَضًا بَالِيًا مِنَ الْأَحْرَاضِ (١)
وَجَدَتْنِي وَالدَّهْرُ سِلْمِي سَلِيمِي ... لَمْ يَنَلْنِي بِنَابِهِ الْعَضَّاضِ (٢)
بَيْنَ بُرْدٍ مِنَ الشَّبَابِ جَدِيدٍ ... وَرِدَاءٍ مِنَ الصِّبَا فَضْفَاضِ (٣)
وَمُدِيرٍ عُرَى الْأُمُورِ بِرَأْيٍ ... يَقِظِ الْحَزْمِ مُبْرِمٍ نَقَّاضِ (٤)
دَقَّ مَعْنًى وَجَلَّ قَدْرًا فَجَادَتْ ... فِي مَعَانِيهِ نُهْيَةُ الْأَغْمَاضِ (٥)

وَأَنْشَدَ أَيْضًا لَهُ :

لَوْ قَدْ وَجَدْتُ إِلَى شِفَائِكَ مَنْهَجًا
جُبْتُ الصَّبَاحَ إِلَيْهِ أَوْ حَلَكَ الدُّجَى
لَـكِنْ رَأَيْتُكَ لَا يَحِيكُ (٦) الْعَتْبُ فِيـ
ـكَ وَلَا الْعِتَابُ وَلَا الْمَدِيحُ وَلَا الْهِجَا
فَاذْهَبْ سُدًى (٧) مَا فِيكَ شَرٌّ يُتَّقَى
يَوْمًا وَلَيْسَ لَدَيْكَ خَيْرٌ يُرْتَجَى

(١) لبرتنى الخ : جواب القسم ، أى أنحلتنى وأضعفت جسمى ، والخطوب : حوادث الزمان ، جمع خطب ، ونضتنى : خلعتنى وتركتنى ، وحرضا : مريضا لا أستطيع النهوض (٢) والدهر الخ : أى مسالم لى لم تدركنى نوائبه ، والعضاض : الكثير العض (٣) الفضفاض : الواسع (٤) ومدير : أى محيط بالأمور عالم بها ، وعرى الأمور : مواثيقها ، ويبرم الأمور : أى يحكمها ، والنقاض : الكثير الابطال (٥) أى عقول الخاملين الأذلاء ، جمع غمض ، يقول : لما اتصف هذا المدير بما ذكرنا حرك عقول الخاملين فمدحوه ، فما بالك بغيرهم (٦) بهامش الأصل : «أى لا يؤثر» (٧) لفظ يستعمل للواحد والجمع : بمعنى مهملا .

وَإِذَا امْرُؤٌ كَانَتْ خَلَائِقُ نَفْسِهِ
هَذِي الْخَلَائِقَ فَالنَّجَا مِنْهُ النَّجَا

قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ وِشَاحٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو تَمَّامٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : جَاءَتْنِي فِي بَعْضِ الْبُكَرِ (١) رِسَالَةُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَعْمَرِيِّ النَّحْوِيِّ بِالْبَصْرَةِ — وَكُنْتُ أَغْشَى مَجْلِسَهُ دَائِمًا وَآخُذُ عَنْهُ — أَنْ أَدْرِكْنِي ، فَبَادَرْتُ إِلَيْهِ وَتَبِعَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِي ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَيْهِ عَرَّفَنِي أَنَّ صَبِيَّةً مَمْلُوكَةً لَهُ مُوَلَّدَةً (٢) قَدْ كُنْتُ أُشَاهِدُهَا فِي وَلَدِهِ قَدْ هَرَبَتْ مِنْهُ ، وَتَنَاوَلَتْ صَدْرًا (٣) مِمَّا كَانَ فِي مَنْزِلِهِ ، فَأَنْفَذْتُ أَصْحَابِي وَبَثَثْتُهُمْ (٤) فِي الْجِيرَانِ ، وَبِحَيْثُ يُظَنُّ بِهَا الْحُصُولُ فِيهِ ، فَمَا بَعُدَ أَنْ أُحْضِرَتْ وَمَا أَخَذَتْ ، فَسُرَّ الْمَعْمَرِيُّ وَطَابَتْ نَفْسُهُ ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالِانْصِرَافِ أَنْشَدَنِي :

مَا لَا يُرَى كَبَسَتْ (٥) عَا دِيَةُ الدَّهْرِ عَمُودَهْ
كَانَ حِرْبَاءَ (٦) فَأَضْحَى بِشَقَاءِ الْبَخْتِ دُودَهْ

(١) البكر : جمع بكرة : وهي أول النهار (٢) مولدة : أي مولودة بين العرب وليست بعربية محضة (٣) أي طائفة (٤) أي فرقتهم ونشرتهم (٥) كبست الخ : اقتحمت ، وعادية الدهر : اعتداؤه وما يصيب الناس منه (٦) الحرباء : دويبة أكبر من القطاة تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون ألوانا بحر الشمس ، وهو ذكر أم حبين ، يضرب به المثل في التقلب .

قَالَ ابْنُ وِشَاحٍ: وَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كَانَ رَسْمُ الْمَعْمَرِيِّ (١) أَنْ يَجْلِسَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ فَبَكَّرْنَا إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَقَالَ لِلْجَمَاعَةِ: لَيْسَ لَكُمُ الْيَوْمَ عِنْدِي فَائِدَةٌ وَلَا مِنِّي حَظٌّ، فَلَمَّا هَمَمْنَا بِالِانْصِرَافِ قَالَ:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ وَلَمْ أَنِكْ ... وَلَمْ أَصْطَبِحْ فَالْأَرْبَعَاءُ مَشُومُ

فَإِنْ نِكْتُ فِيهِ وَاصْطَبَحْتُ وَلُمْتُهُ ... فَإِنِّي لِيَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ظَلُومُ

انْصَرِفُوا مَأْجُورِينَ فَانْصَرَفْنَا. قَالَ: وَكَانَ شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ لِشُرْبِ النَّبِيذِ كَثِيرَ التَّوَفُّرِ عَلَيْهِ قَاطِعًا أَكْثَرَ زَمَانِهِ بِهِ، وَلَمَّا مَاتَ رَثَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ الْآمِدِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْمُوَازَنَةِ بِقَوْلِهِ:

يَا عَيْنُ أَذْرِي الدُّمُوعَ وَانْسَكِبِي ... أَصْبَحَ تِرْبُ الْعُلُومِ فِي التُّرَبِ (٢)

لَقِيتُ بِالْمَعْمَرِيِّ يَوْمَ ثَوَى ... أَوَّلَ رُزْءٍ (٣) بِآخِرِ الْأَدَبِ

كَانَ عَلَى أَعْجَمِيِّ نِسْبَتِهِ ... فَضِيلَةً مِنْ فَضَائِلِ الْعَرَبِ

وَكَتَبَ أَبُو الْقَاسِمِ الْآمِدِيُّ إِلَى الْمَعْمَرِيِّ جَوَابَ أَبْيَاتٍ كَتَبَ بِهَا إِلَيْهِ:

---

(١) أى عادته (٢) ترب العلوم بكسر التاء: أى قرينها، والترب: الذى ولد معك وتربى. والترب: القبور (٣) الرزء: المصيبة العظيمة التى تثقل الكاهل.

يَامُهْدِيَ الشِّعْرِ إِلَى مَنْ يَرَى أَنَّكَ تَسْتَغْلِي عَنِ الشِّعْرِ
أَنْتَ الَّذِي تَحْكُمُ فِيهِ إِذَا أَعْيَا عَلَى الْبَاقِلَانِيِّ الْحَبْرِ (١)
وَتَكْشِفُ الْغَامِضَ حَتَّى يُرَى أَوْضَحَ أَسْبَابًا مِنَ الْفَجْرِ
بِنْتَ عَنِ الْمِثْلِ (٢) وَمَنْ ذَا الَّذِي إِلَى مَدًى تَبْلُغُهُ يَجْرِي ؟
كُلٌّ إِلَى عِلْمِكَ ذُو حَاجَةٍ كَحَاجَةِ الْأَرْضِ إِلَى الْقَطْرِ

٦٠ — مُحَمَّدُ (٣) بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ الْقَطَّانُ *

محمد بن أحمد القطان

وَيُعْرَفُ بِالْمَتُّوثِيِّ (٤)، وَيُكْنَى أَبَا سَهْلٍ . أَحَدُ الشُّيُوخِ الْفُضَلَاءِ الْمُقَدَّمِينَ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ وَكَانَ ثِقَةً جَيِّدَ الْمَعْرِفَةِ بِالْعُلُومِ ، وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَسَمِعَ كَثِيرًا مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ عَنْ بِشْرِ بْنِ مُوسَى الْأَسَدِيِّ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ الْكُدَيْمِيِّ ، وَأَبِي الْعَيْنَاءِ وَثَعْلَبٍ وَالْمُبَرِّدِ وَغَيْرِهِمْ ، وَلَقِيَ السُّكَّرِيَّ أَبَا سَعِيدٍ ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ أَشْعَارَ اللُّصُوصِ مِنْ صُنْعِهِ ، وَسَمِعَهُ مِنْهُ الْخَالِعُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّاعِرُ وَفُلِجَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ ، وَكَانَ يَنْزِلُ بِدَارِ الْقُطْنِ مِنْ غَرْبِيِّ دَارِ السَّلَامِ « بَغْدَادَ » وَلَهُ بَقِيَّةُ حَالٍ حَسَنَةٍ . قَالَ الْخَالِعُ : وَحَكَى لَنَا أَنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ يَتَوَكَّلُ لِعَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ الْجَرَّاحِ الْوَزِيرِ (٥) وَأَنَّهُ صَحِبَهُ حِينَ نُفِيَ

(١) الحبر : العالم الصالح الفاضل ، وفيه فتح الحاء وكسرها (٢) بنت عن المثل : بعدت عن النظير ، فلا نظير لك (٣) جاء بهامش الأصل : إنما اسمه : أحمد ويؤيده ما فى معجم البلدان ج ٤ ص ٤١٢ (٤) نسبة إلى متوث بفتح الميم وتشديد التاء : قلعة حصينة بين الأهواز وواسط ، وقال أبو الفرج الأصبهانى : مدينة بين سوق الأهواز وقرقوب (٥) أى يعمل كوكيل يباشر أموره بتفويض ممن وكله .

مِنَ بَغْدَادَ وعَادَ بعَوْدِهِ ، وَأَنَّهُمْ نَزَلُوا فِي بَعْضِ طَرِيقِهِمْ بِأَحَدِ أُمَرَاءِ الشَّامِ ، وَأَنَّهُ حَمَلَ عَلَى يَدِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى سَمَكَةَ فِضَّةٍ وَزْنُهَا زِيَادَةٌ عَلَى خَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مَبِيتَةً[1] لِلطِّيبِ وَعَلَيْهَا جَوْهَرٌ وَيَاقُوتٌ قَدْ رُصِّعَتْ بِهِ ، فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِهَا عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ ، فَرَدَدْتُهَا إِلَى صَاحِبِهَا فَوَهَبَهَا لِي وَلَمْ أَتَجَاسَرْ عَلَى قَبُولِهَا إِلَّا بَعْدَ اسْتِئْذَانِهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ فَأَذِنَ لِي فَكَانَتْ أَصْلَ حَالِي .

قَالَ الْخَالِعُ : وَكَانَتْ بِضَاعَةُ أَبِي سَهْلٍ جَيِّدَةً فِي الْعِلْمِ ، فَكَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَيَعْرِفُ الْقِرَاءَاتِ وَيَرْوِيهَا ، وَيَطَّلِعُ عَلَى قِطْعَةٍ مِنَ اللُّغَةِ ، وَيَعْرِفُ النَّحْوَ وَيَحْفَظُ الشِّعْرَ وَيَقُولُهُ ، وَكَانَ يَتَشَيَّعُ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ وَيُظَاهِرُ بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي الْأُصُولِ عَلَى رَأْيِ الْمُجْبِرَةِ[2] ، وَلَمْ يُعْقِبْ وَلَدًا ذَكَرًا ، وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ بَقِيَتْ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَبَاعَتْ كُتُبَهُ ، وَلَهُ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ رَكِيكَةٌ بَارِدَةٌ وَمِنْ أَصْلَحِهَا :

غَضِبَ الصُّولِيُّ لَمَّا ... كَسَرَ الضَّيْفُ وَسَمَّى[3]
ثُمَّ عِنْدَ الْمَضْغِ مِنْهُ ... كَادَ أَنْ يَتْلَفَ غَمَّا
قَالَ لِلضَّيْفِ تَرَفَّقْ[4] ... شُمَّ رِيحَ الْخُبْزِ شَمَّا

(١) مبيتة : اسم مكان من بات : أى موضعا للطيب (٢) المجبرة : هم الجبرية ، وهم فرقة تقول بأن الانسان مجبور فى أعماله لا اختيار له فيها . (٣) أى عند ما كسر الرغيف وسمى للأكل (٤) أى تمهل وتلطف

وَاُغْتَنِمْ شُكْرِى فَقَالَ الضَّـ ـيْفُ بَلْ أَكْلًا وَذَمَّا

٦١ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ الْفَسَوِىُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ *

محمد بن أحمد الفسوى

يُعْرَفُ بِخَاطِفٍ . صَاحِبُ أَبِي بَكْرِ بْنِ السَّرَّاجِ ، وَرَوَى عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ وَغَيْرِهِ .

٦٢ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو الرَّيْحَانِ الْبَيْرُونِيُّ *

محمد بن أحمد البيرونى

الْخُوارِزْمِىُّ ، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ مَعْنَاهَا الْبَرَّانِىُّ ، لِأَنَّ بَيْرُونَ بِالْفَارِسِيَّةِ مَعْنَاهُ بَرًّا ، وَسَأَلْتُ بَعْضَ الْفُضَلَاءِ عَنْ ذَلِكَ فَزَعَمَ أَنَّ مُقَامَهُ بِخُوَارِزْمَ كَانَ قَلِيلًا ، وَأَهْلُ خُوَارِزْمَ يُسَمُّونَ الْغَرِيبَ بِهَذَا الِاسْمِ ، كَأَنَّهُ لَمَّا طَالَتْ غُرْبَتُهُ عَنْهُمْ صَارَ غَرِيبًا ، وَمَا أَظُنُّهُ يُرَادُ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الرُّسْتَاقِ (١) يَعْنِى أَنَّهُ مِنْ بَرَّا الْبَلَدِ . وَمَاتَ السُّلْطَانُ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ فِى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَأَبُو الرَّيْحَانِ حَىٌّ بِغَزْنَةَ .

وَجَدْتُ كِتَابَ تَقَاسِيمِ الْأَقَالِيمِ تَصْنِيفَهُ وَخَطَّهُ وَقَدْ كَتَبَهُ فِى هَذَا الْعَامِ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ النَّيْسَابُورِىُّ فَقَالَ : لَهُ فِى الرِّيَاضِيَّاتِ السَّبْقُ الَّذِى لَمْ يَشُقَّ الْمُحْضِرُونَ (٢)

---

(١) الرستاق : السواد والقرى . (٢) المحضرون : الذين يحضرون أفراسهم أى يجهدونها فى العدو لتصل إلى الحضر منه لتسبق فى المضمار

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

غُبَارُهُ ، وَلَمْ يَلْحَقِ الْمُضْمِرُونَ [١] الْمُجِيدُونَ مِضْمَارَهُ ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْأَقْسَامَ الْأَرْبَعَةَ لَهُ أَرْضًا خَاشِعَةً ، سَمَتْ لَهُ لَوَاقِحُ [٢] مُزْنِهَا، وَاهْتَزَّتْ بِهِ يَوَانِعُ نَبْتِهَا ، فَكَمْ مَجْمُوعٍ لَهُ عَلَى رَوْضِ النُّجُومِ ظِلُّهُ ، وَيُرَفْرِفُ عَلَى كَبِدِ السَّمَاءِ طَلُّهُ . وَبَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا صَنَّفَ الْقَانُونَ الْمَسْعُودِيَّ أَجَازَهُ السُّلْطَانُ بِحِمْلِ فِيلٍ مِنْ نَقْدِهِ الْفِضِّيِّ ، فَرَدَّهُ إِلَى الْخِزَانَةِ بِعُذْرِ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ ، وَرَفَضَ الْعَادَةَ فِي الِاسْتِغْنَاءِ بِهِ ، وَكَانَ — رَحِمَهُ اللهُ — مَعَ الْفُسْحَةِ فِي التَّعْمِيرِ وَجَلَالَةِ الْحَالِ فِي عَامَّةِ الْأُمُورِ مُكِبًّا عَلَى تَحْصِيلِ الْعُلُومِ مُنْصَبًّا إِلَى تَصْنِيفِ الْكُتُبِ يَفْتَحُ أَبْوَابَهَا ، وَيُحِيطُ بِشَوَاكِلِهَا وَأَقْرَابِهَا [٣] وَلَا يَكَادُ يُفَارِقُ يَدَهُ الْقَلَمُ ، وَعَيْنَهُ النَّظَرُ ، وَقَلْبَهُ الْفِكْرُ إِلَّا فِي يَوْمَيِ النَّيْرُوزِ وَالْمِهْرَجَانِ مِنَ السَّنَةِ لِإِعْدَادِ مَا تَمَسُّ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ فِي الْمَعَاشِ مِنْ بُلْغَةِ الطَّعَامِ وَعُلْقَةِ الرِّيَاشِ ، ثُمَّ هِجِّيرَاهُ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ مِنَ السَّنَةِ عِلْمٌ يُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ قِنَاعَ الْإِشْكَالِ، وَيَحْسِرُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ كِمَامَ الْإِغْلَاقِ .

---

(١) المضمرون : الذين يضمرون خيلهم أى يقللون علفها فتصير ضامرة ليرتفع عدوها فتحوز السبق فى المضمار . والمضمار : الموضع الذى تضمر فيه الخيل ، وغاية الفرس فى السباق (٢) الريح اللاقحة : التى تحمل ماء المزن « السحاب » إلى الأرض الجرز فتنبت (٣) الشواكل جمع شاكلة ، وهى من الفرس : الجلد بين عرض الخاصرة والركبة ، والأقراب جمع قرب بضم فسكون وبضمتين : وهو من الشاكلة إلى مسراق البطن .

حَدَّثَ القَاضِى كَثِيرُ بْنُ يَعقُوبَ البَغْدَادِىُّ النَّحْوِىُّ فِى السُّتُورِ عَنِ الفقيهِ أَبِى الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْوَلْوَالِجِىِّ (١) قَالَ: دَخلتُ عَلَى أَبِى الرَّيْحَانِ وَهُوَ يَجُودُ بنفسِهِ قَدْ حَشْرَجَ نَفَسُهُ (٢) وَضَاقَ بِهِ صَدْرُهُ فَقَالَ لِى فِى تِلْكَ الْحَالِ: كَيْفَ قُلتَ لِى يَوْمًا حِسَابَ الْجَدَّاتِ الفَاسِدَةِ (٣)؟ فَقُلْتُ لَهُ إِشفَاقًا عليهِ: أَفِى هَذِهِ الْحَالَةِ؟. قَالَ لِى يَاهَذَا، أُوَدِّعُ الدُّنْيَا وَأَنَا عَالِمٌ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، أَلَا يَكُونُ خَيْرًا مِنْ أَنْ أُخَلِّيَهَا وَأَنَا جَاهِلٌ بِهَا. فَأَعَدْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَحَفِظَ وَعَلَّمَنِى مَا وَعَدَ، وَخَرَجْتُ مِنْ عِندِهِ وَأَنَا فِى الطَّرِيقِ فَسَمِعْتُ الصُّرَاخَ. وَأَمَّا نَبَاهَةُ قَدْرِهِ وَجَلَالَةُ خَطَرِهِ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَقَدْ بَلَغَنِى مِنْ حُظْوَتِهِ لَدَيْهِمْ أَنَّ شَمْسَ الْمَعَالِى قَابُوسَ بْنَ وَشْمَكِيرَ أَرَادَ أَنْ يَسْتَخْلِصَهُ لِصُحْبَتِهِ وَيَرْتَبِطَهُ (٤) فِى دَارِهِ، عَلَى أَنْ تَكُونَ لَهُ الإِمْرَةُ (٥) الْمُطَاعَةُ فِى جَمِيعِ مَا يَحْوِيهِ مِلْكُهُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مُلْكُهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ وَلَمْ يُطَاوِعْهُ، وَلَمَّا سَمَحَتْ قَرُونَتُهُ (٦) بِمِثْلِ ذَلِكَ أَسْكَنَهُ فِى دَارِهِ (٧)، وَأَنْزَلَهُ مَعَهُ فِى قَصْرِهِ. وَدَخَلَ خُوَارَزْمشَاهُ يَوْمًا وَهُوَ يَشْرَبُ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ فَأَمَرَ بِاسْتِدْعَائِهِ مِنَ الْحُجْرَةِ فَأَبْطَأَ قَلِيلًا

(١) نسبة إلى والوالج: مدينة بطخارستان (٢) أى تردد فى ضيق (٣) الجدات الفاسدة: التى من قبل الأم (٤) أى يحجزه (٥) الامرة بالكسر: أى الولاية (٦) القرونة بالفتح: النفس كالقرون والقرينة والقرين (٧) كان فى هذه الجملة اضطراب كما نبه بهامش الأصل وقد أقمناه

فَتَصَوَّرَ ٱلْأَمْرَ عَلَى غَيْرِ صُورَتِهِ ، وَثَنَى الْعِنَانَ نَحْوَهُ وَرَامَ النُّزُولَ ، فسبقه أبو الرَّيحان إلى الْبُرُوزِ وَنَاشَدَهُ اللهَ أَلَّا يفعل فتمثل خوارزمشاه :

الْعِلْمُ مِنْ أَشْرَفِ ٱلْوِلَايَاتِ يَأْتِيهِ كُلُّ ٱلْوَرَى وَلَا يَاتِى

ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا الرُّسُومُ الدُّنْيَاوِيَّةُ لَمَا ٱسْتَدْعَيْتُكَ ، فَالْعِلْمُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى ، وَكَأَنَّهُ سَمِعَ هذا فِى أَخْبَارِ الْمُعْتَضِدِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَوْمًا يَطُوفُ فِى الْبُسْتَانِ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ ٱلْحَرَّانِىِّ إِذْ جَذَبَهَا دَفْعَةً وَخَلَّاهَا فقال ثَابِتٌ : مَا بَدَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : كَانَتْ يَدِى فَوْقَ يَدِكَ وَالْعِلْمُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى.

وَلَمَّا ٱسْتَبْقَاهُ السُّلْطَانُ الْمَاضِى لِخَاصَّةِ أَمْرِهِ وَحَوْجَاءِ صَدْرِهِ (١) كَانَ يُفَاوِضُهُ فِيمَا يَسْنَحُ لِخَاطِرِهِ مِنْ أَمْرِ السَّمَاءِ وَالنُّجُومِ ، فَيُحْكَى أَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ رَسُولٌ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ التُّرْكِ وَحَدَّثَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِمَا شَاهَدَ فِيمَا وَرَاءَ الْبَحْرِ نَحْوَ الْقُطْبِ الشَّمَالِىِّ (٢) مِنْ دَوْرِ الشَّمْسِ عَلَيْهِ ظَاهِرَةً فِى كُلِّ دَوْرِهَا فَوْقَ ٱلْأَرْضِ بِحَيْثُ يَبْطُلُ اللَّيْلُ فَتَسَارَعَ عَلَى عَادَتِهِ فِى التَّشَدُّدِ فِى الدِّينِ إِلَى نِسْبَةِ الرَّجُلِ إِلَى ٱلْإِلْحَادِ وَالْقَرْمَطَةِ (٣) عَلَى بَرَاءَةِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ عَنْ

---

(١) بهامش الأصل « أى حاجته » (٢) بالأصل : « الجنوبى » والذى يتفق مع حال الرسول وما كان ميسورا أن يقرب منه إذ ذاك إنما هو القطب الشمالى كما ذكرنا لا الجنوبى (٣) الالحاد : الميل عن الدين ، والطعن فيه عقيدة القرامطة .

هَذِهِ الآفات حَتَّى قال أَبُو نصرِ بنُ مِشْكَان : إِنَّ هذا لا يَذْكُرُ ذَلِكَ عَنْ رَأْيٍ يَرْتَئِيهِ ، وَلَكِنْ عَنْ مُشاهَدَةٍ يَحْكِيهِ ، وَتلا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً » ، فَسأَلَ أَبا الرَّيحَان عنهُ ، فَأَخَذَ يَصِفُهُ لَهُ عَلَى وَجْهِ الاخْتِصَارِ وَيُقَرِّرُهُ عَلَى طَرِيقِ الإِقْنَاعِ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ يُحْسِنُ الإِصْغَاءَ وَيَبْذُلُ الإِنْصافَ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ وَانْقَطَعَ الحَدِيثُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ وَقْتَئِذٍ ، وَأَمَّا ابْنُهُ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ فَقَدْ كَانَ فِيهِ إِقْبَالٌ عَلَى عِلْمِ النُّجُومِ وَمَحَبَّةٌ لِحَقَائِقِ العُلُومِ ، فَفَاوَضَهُ يَوْماً فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ وَفِي سَبَبِ اخْتِلافِ مَقَادِيرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي الأَرْضِ ، وَأَحَبَّ أَنْ يَتَّضِحَ لَهُ بُرْهَانُ مَا لَمْ يَصِحَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِعِيَانٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الرَّيْحَانِ: أَنتَ المُنْفَرِدُ اليَوْمَ بِامْتِلاكِ الخَافِقَيْنِ (١) ، وَالمُسْتَحِقُّ بِالحَقِيقَةِ اسْمَ مَلِكِ الأَرْضِ ، فَأَخْلِقْ بِهَذِهِ المَرْتَبَةِ إِيثَارَ الاطِّلاعِ عَلَى مَجَارِى الأُمُورِ ، وَتَصَارِيفِ أَحْوَالِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِقْدَارِهَا فِي عَامِرِهَا وَغَامِرِهَا (٢) ، وَصَنَّفَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ كِتَاباً فِي اعْتِبَارِ مِقْدَارِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِطَرِيقٍ تَبْعُدُ عَنْ مُوَاضَعَاتِ المُنَجِّمِينَ (٣) وَأَلْقَابِهِمْ ، وَيُقَرِّبُ تَصَوُّرَهُمْ مِنْ فَهْمِ مَنْ لَمْ يَرْتَضْ

---

(١) أى الشرق والغرب (٢) أى خرابها (٣) أى مصطلحاتهم

بها ولم يعتدها ، وكان السلطان الشهيد قد مهر بالعربية فسهل وقوفه عليه ، وأجزل إحسانه إليه . وكذلك صنف كتابه فى لوازم الحركتين بأمره ، وهو كتاب جليل لا مزيد عليه مقتبس أكثر كلماته عن آيات من كتاب الله عز وجل . وكتابه المترجم بالقانون المسعودى يعفى (١) على أثر كل كتاب صنف فى تنجيم أو حساب . وكتابه الآخر المعنون بالدستور الذى صنفه باسم شهاب الدولة أبى الفتح مودود ابن السلطان الشهيد مستوف أحاسن المحاسن .

قال مؤلف الكتاب : هذا ذكره محمد بن محمود ، وإنما ذكرته أنا ههنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغوياً ، له تصانيف فى ذلك رأيت أنا منها : كتاب شرح شعر أبى تمام رأيته بخطه لم يتمه ، كتاب التعلل بإحالة الوهم فى معانى نظم أولى الفضل ، كتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه ، كتاب المسامرة فى أخبار خوارزم ، كتاب مختار الأشعار والآثار . وأما سائر كتبه فى علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر ، رأيت فهرستها فى وقف الجامع بمرو فى نحو الستين ورقة بخط مكتنز (٢)

(١) أى يغطى (٢) أى مجتمع

وَحدَّثني بعضُ أهلِ الفضلِ : أنَّ السببَ في مصيرِهِ إلى غزْنة أنَّ السُّلطانَ محمُودًا لمَّا استولى على خوارزم قبض عليه وعلى أُستاذِهِ عبدِ الصمدِ الأوَّل (١) ابنِ عبدِ الصمدِ الحكيمِ ، واتَّهمهُ بالقرمطةِ والكفرِ فأذاقهُ الحِمامَ وهمَّ أن يُلحق به أبا الرَّيحانِ ، فساعدهُ فُسحةُ الأجلِ بسببٍ خلَّصهُ من القتلِ ، وقيل لهُ : إنَّهُ إمامُ وقتِهِ في علمِ النُّجومِ ، وإنَّ المُلوكَ لا يستغنونَ عن مثلِهِ ، فأخذهُ معهُ ودخل إلى بلادِ الهندِ وأقامَ بينهم وتعلَّمَ لغتهم واقتبسَ علومهم ، ثمَّ أقامَ بغزْنة حتَّى ماتَ بها أرى في حُدودِ سنةِ ثلاثٍ وأربعمائةٍ عن سنٍّ عاليةٍ ، وكانَ حسنَ المُحاضرةِ (٢) ، طيِّبَ العِشْرةِ خليعًا في ألفاظِهِ عفيفًا في أفعالِهِ ، لم يأتِ الزَّمانُ بمثلِهِ علمًا وفهمًا ، وكانَ يقُولُ شعرًا إن لم يكنْ في الطبقةِ العُلْيا فإنَّهُ من مثلِهِ حسنٌ . منهُ في ذِكرِ صُحبةِ المُلوكِ ، ويمدحُ أبا الفتحِ البُستيَّ من كتابِ سرِّ السُّرورِ :

مضى أكثرُ الأيَّامِ في ظلِّ نعمةٍ
على رُتبٍ فيها علوتُ كراسيا

(١) بهامش الأصل « لعل اسمه كان عبد الأول بن عبد الصمد » ونحن نجوز أن يكون الأول صفة لأستاذ إذ لامانع منه (٢) أى الكلام بما يحضر من غير إعداد سابق .

فَآلُ عِرَاقٍ قَدْ غَذَوْنِى بِدَرِّهِمْ
وَمَنْصُورٌ مِنْهُمْ قَدْ تَوَلَّى غِرَاسِيَا (١)

وَشَمْسُ الْمَعَالِى كَانَ يَرْتَادُ خِدْمَتِى (٢)
عَلَى نُفْرَةٍ مِنِّى وَقَدْ كَانَ قَاسِيَا

وَأَوْلَادُ مَأْمُونٍ وَمِنْهُمْ عَلِيُّهُمْ
تَبَدَّى بِصُنْعٍ صَارَ لِلْحَالِ آسِيَا (٣)

وَآخِرُهُمْ مَأْمُونُ رَفَّهَ حَالَتِى
وَنَوَّهَ بِاسْمِى ثُمَّ رَأَّسَ رَاسِيَا (٤)

وَلَمْ يَنْقَبِضْ مَحْمُودُ عَنِّى بِنِعْمَةٍ
فَأَغْنَى وَأَقْنَى مُغْضِياً عَنْ مَكَاسِيَا (٥)

عَفَا عَنْ جَهَالَاتِى وَأَبْدَى تَكَرُّمًا
وَطَرَّى بِجَاهٍ رَوْنَقِى وَلِبَاسِيَا (٦)

عَفَاءٌ (٧) عَلَى دُنْيَاىَ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ
وَوَاحَزَنِى إِنْ لَمْ أَزُرْ قَبْلُ آسِيَا

وَلَمَّا مَضَوْا وَاُعْتَضْتُ مِنْهُمْ عِصَابَةً
دَعَوْا بِالتَّنَاسِى فَاغْتَنَمْتُ التَّنَاسِيَا

---

(١) غراسيا : الغراس : ما يغرس من الشجر ، والمراد ، التعهد كما يتعهد الغراس (٢) أى يتفقدها (٣) أى مصلحا (٤) رفه الخ : أى وسعها وألان عيشى ، ورأس راسيا : أى جعله رئيسا (٥) أى متغافلا عن ظلمى (٦) أى جعله طريا حسنا (٧) أى هلاكا

وَخَلفْتُ فِى غزْنِينَ (١) لَحماً كَمُضْغَةٍ
عَلَى وَضَمٍ لِلطَّيْرِ لِلعِلْمِ نَاسِيَا
فَأُبْدِلْتُ أَقْوَاماً وَلَيْسُوا كَمِثْلِهِمْ
مَعَاذَ إِلَهِى أَنْ يَكُونُوا سَوَاسِيَا
بِجَهْدٍ شَأَوْتُ الْجَالِبِينَ (٢) أَئِمَّةً
فَمَا اُقْتَبَسُوا فِى الْعِلْمِ مِثْلَ اُقْتِبَاسِيَا
فَمَا بَرَكُوا لِلْبَحْثِ عِنْدَ مَعَالِمٍ
وَلَا اُحْتَبَسُوا (٣) فِى عُقْدَةٍ كَاحْتِبَاسِيَا
فَسَائِلْ بِمِقْدَارِى هُنُوداً بِمَشْرِقٍ
وَبِالْغَرْبِ مَنْ قَدْ قَاسَ قَدْرَ عَمَاسِيَا (٤)
فَلَمْ يَثْنِهِمْ عَنْ شُكْرِ جُهْدِى نَفَاسَةٌ
بَلِ اُعْتَرَفُوا طُرًّا وَعَافُوا اُنْتِكَاسِيَا (٥)
أَبُو الْفَتْحِ فِى دُنْيَاىَ مَالِكُ رِبْقَتِى (٦)
فَهَاتِ بِذِكْرَاهُ الْحَمِيدَةِ كَاسِيَا
فَلَا زَالَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ عَامِراً وَلَا زَالَ فِيهَا لِلغُوَاةِ مُوَاسِيَا

---

(١) غزنين : هى مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان ، وهى التى تسميها العامة غزنة (٢) أى علوت ، والجالبين : الصائحين (٣) بركوا : أقاموا ، والمعالم : مظان العلم . واحتبسوا : أى حبسوا أنفسهم (٤) العماس : الحرب الشديدة (٥) أى تنقيصى (٦) ربقتى : الربقة : حبل فيه عدة عرى يشد به البهم ، والمراد : أنه فرج كربتى وخلصنى من غائلتها

وَمِنْ أَقْوَمِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ لِشَاعِرٍ اُجْتَدَاهُ :

يَا شَاعِراً جَاءَنِى يَخْرَى عَلَى الْأَدَبِ
وَافَى لِيَمْدَحَنِي وَالذَّمُّ مِنْ أَدَبِي
وَجَدْتُهُ ضَارِطاً فِي لِحْيَتِي سَفَهاً
كَلَّا فَلِحْيَتُهُ عُثْنُونُهَا ذَنَبِي
وَذَاكِرًا فِي قَوَافِي شِعْرِهِ حَسَبِي
وَلَسْتُ وَاللهِ حَقّاً عَارِفاً نَسَبِي
إِذْ لَسْتُ أَعْرِفُ جَدِّى حَقَّ مَعْرِفَةٍ
وَكَيْفَ أَعْرِفُ جَدِّى إِذْ جَهِلْتُ أَبِي؟
إِنِّى أَبُو لَهَبٍ شَيْخٌ بِلَا أَدَبٍ
نَعَمْ وَوَالِدَتِى حَمَّالَةُ الْحَطَبِ
الْمَدْحُ وَالذَّمُّ عِنْدِى يَا أَبَا حَسَنٍ
سِيَّانِ مِثْلُ اُسْتِوَاءِ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
فَأَعْفِنِي عَنْهُمَا لَا تَشْتَغِلْ بِهِمَا
بِاللهِ لَا تُوقِعَنْ نَفْسَكَ فِي تَعَبِ

وَلَهُ :

وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْمَجْدِ غَيْرَ مُجَاهِدٍ
ثَوَى طَاعِماً لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَاسِيَا
وَبَاتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي ظِلِّ رَاحَةٍ
وَلَكِنَّهُ عَنْ حُلَّةِ الْمَجْدِ عَارِيَا

وَلَهُ فِي التَّجْنِيسِ :

فَلَا يَغْرُرْكَ مِنِّى لِينُ مَسٍّ
تَرَاهُ فِي دُرُوسٍ وَاُقْتِبَاسِ

فَإِنِّى أَسْرَعُ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا إِلَى خَوْضِ الرَّدَى فِى وَقْتِ بَاسِ

وَمِنْهُ :

تَنَغَّصُ بِالتَّبَاعُدِ طِيبُ عَيْشِى فَلَا شَىْءٌ أَمَرُّ مِنَ الْفِرَاقِ
كِتَابُكَ إِذْ هُوَ الْفَرَجُ الْمُرَجَّى أَطَبُّ لِمَا أَلَمَّ مِنَ الْفِرَاقِ

وَلَهُ :

أَتَأْذَنُونَ لِصَبٍّ فِى زِيَارَتِكُمْ
إِنْ كَانَ مَجْلِسُكُمْ خِلْواً مِنَ النَّاسِ ؟
فَأَنْتُمُ النَّاسُ لَا أَبْغِى بِكُمْ بَدَلًا
وَأَنْتُمُ الرَّاسُ وَالْإِنْسَانُ بِالرَّاسِ
وَكَدُّكُمْ لِمَعَالٍ تَنْهَضُونَ بِهَا
وَغَيْرُكُمْ طَاعِمٌ مُسْتَرْجِعٌ كَاسِى
فَلَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ أَيَّامِ عِيشَتِهِ
سِوَى التَّلَهِّى بِأَيْرٍ قَامَ أَوْ كَاسٍ
لَدَى الْمَكَايِدِ إِنْ رَاجَتْ مَكَايِدُهُ
يَنْسَى الْإِلَهَ وَلَيْسَ اللهُ بِالنَّاسِ

﴿ ٦٣ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْكَاتِبُ * ﴾

الْمَعْرُوفُ بِالْمُفَجَّعِ صَاحِبُ ثَعْلَبَ . كَذَا وَجَدْتُ نَسَبَهُ محمد بن أحمد الكاتب

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٣

بِخَطِّ الطَّبَرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِعِضْرَابِ اللَّبَنِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَيُكْنَى أَبَا عَبْدِاللهِ ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ[1] فَقَالَ: إِنَّهُ لَقِيَ ثَعْلَبًا وَأَخَذَ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ وَكَانَ شَاعِرًا شِيعِيًّا، وَلَهُ قَصِيدَةٌ يُسَمِّيهَا بِالْأَشْبَاهِ يَمْدَحُ فِيهَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ دُرَيْدٍ مُهَاجَاةٌ.

وَذَكَرَهُ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ فِي كِتَابِ الْيَتِيمَةِ[2] فَقَالَ: الْمُفَجَّعُ الْبَصْرِيُّ صَاحِبُ ابْنِ دُرَيْدٍ وَالْقَائِمُ مَقَامَهُ فِي التَّأْلِيفِ وَالْإِمْلَاءِ. حَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ الْمَشَايِخِ الْبَصْرِيِّينَ قَالَ: كَانَ الْمُفَجَّعُ وَشِمَالٌ يَتَهَاجَيَانِ وَكَانَ شِمَالٌ سُنِّيًّا وَالْمُفَجَّعُ شِيعِيًّا، فَقَالَ فِيهِ الْمُفَجَّعُ:

دَارُ شِمَـــــالٍ فِي بَنِي أَصْمَعْ

فَقَالَ شِمَالٌ كَذَا هُوَ، فَقَالَ الْمُفَجَّعُ:

أُنْظُرْ إِلَيْهَا فَهْيَ فِي بَلْقَعْ[3]

قَالَ شِمَالٌ: أَيُّ شَيْءٍ ذَنْبِي إِذَا خَرِبَتِ الْمَحَلَّةُ؟ قَالَ:

وَهْوَ خَبِيثُ النَّفْسِ مُسْتَهْتَرٌ ... بِكُلِّ أَيْرٍ قَائِمٍ أَصْلَعْ

فَقَالَ شِمَالٌ: هُوَ شِيعِيٌّ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُنَزِّهَ ذِكْرَ الْقَائِمِ وَالْأَصْلَعِ عَنْ لَفْظِ الْهِجَاءِ. قَالَ:

وَذَا قَبِيحٌ أَنْ يُرَى شَاعِرٌ ... يُنَاكُ فِي الشِّرْمِ عَلَى أَرْبَعْ

(١) بهامش الأصل ص ٨٣ (٢) بهامش الأصل ص ١٢٩ (٣) أى أرض قفر لاشىء فيها .

قَالَ شِمَالٌ : وَغيرُ الشاعِرِ أَيضاً قبيحٌ أَنْ يُرَى كَذا . ثُمَّ عمِلَ فِيهِ شِمَالٌ يُعرِّضُ بِهِ :

رَجُلٌ نَازِلٌ بِدَرْبِ سَطِيحٍ
أَىُّ شَخْصٍ بِاللَّيلِ يَرْكَبُ سَطْحَهْ ؟
أَخَذَ اللهُ لِابْنِ عَفَّانَ مِنْهُ (١) وَلِشَيْخَيْهِ وَالزُّبَيْرِ وَطَلْحَهْ

فَلمَّا سَمِعَتْ رَبِيعَةُ بِذَلِكَ قصدَتْ دَارَ الْمُفَجِّعِ فَهَرَبَ مِنْها .

وَمِنْ شِعْرِ الْمُفَجِّعِ :

لِيَ أَيْرٌ أَرَاحَنِي اللهُ مِنْهُ صَارَ حُزْنِي بِهِ عَرِيضاً طَوِيلَا
نَامَ إِذْ زَارَنِي الْحَبِيبُ عِنَاداً وَلَعَهْدِي بِهِ يَنِيكُ الرَّسُولَا
حُسِبَتْ زَوْرَةٌ عَلَى لَحِيْنٍ (٢) وَافْتَرَقْنَا وَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَا

وَوَجَدْتُ لَهُ أَيضاً فِيمَا رَوَاهُ الْحُمِيدِيُّ :

لَنَا صَدِيقٌ مَلِيحُ الْوَجْهِ مُقْتَبَلٌ وَلَيْسَ فِي وُدِّهِ نَفْعٌ وَلَا بَرَكَهْ
شَبَّهْتُهُ بِنَهَارِ الصَّيْفِ يُوسِعُنَا
طُولًا وَيَمْنَعُ مِنَّا النَّوْمَ وَالْحَرَكَهْ

وَقَدْ هَجَاهُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ :

إِنَّ الْمُفَجَّعَ وَيْلَهُ شَرُّ الأَوَائِلِ وَالأَوَاخِرْ
وَمِنَ النَّوَادِرِ أَنَّهُ يُمْلِي عَلَى النَّاسِ النَّوَادِرْ

---

(١) أى انتقم منه وعاقبه (٢) زورة : مرة من الزيارة ، والحين : أى لوقت مبهم طال أو قصر .

كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وَمَالَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ   تَعَاطِيكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : لُقِّبَ بِالْمُفَجَّعِ لِبَيْتٍ قَالَهُ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مُكْثِرٌ عَالِمٌ أَدِيبٌ ، مَاتَ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ . قَالَ : وَهُوَ الْقَائِلُ فِي أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الزَّيْنَبِيِّ الْهَاشِمِيِّ يَمْدَحُهُ :

لِلزَّيْنَبِيِّ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ   خُلُقٌ كَطَعْمِ الْمَاءِ غَيْرُ مُزَنَّدِ (١)

وَشَهَامَةٌ تَقْصِي اللُّيُوثَ إِذَا سَطَا   وَنَدًى يُغَرِّقُ كُلَّ بَحْرٍ مُزْبِدِ (٢)

يَحْتَلُّ بَيْتًا فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ   طَالَتْ دَعَائِمُهُ مَحَلَّ الْفَرْقَدِ (٣)

حُرٌّ يَرُوحُ الْمُسْتَمِيحُ وَيَغْتَدِي   بِمَوَاهِبٍ مِنْهُ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

فَإِذَا تَحَيَّفَ مَالَهُ إِعْطَاؤُهُ   فِي يَوْمِهِ نَهَكَ الْبَقِيَّةَ فِي غَدِ (٤)

بِضِيَاءِ سُنَّتِهِ الْمَكَارِمُ تَهْتَدِي   وَبِجُودِ رَاحَتِهِ السَّحَائِبُ تَقْتَدِي

مِقْدَارُ مَا بَيْنِي وَمَا بَيْنَ الْغِنَى   مِقْدَارُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمِرْبَدِ

وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ : وَأَمَّا شِعْرُهُ فَقَلِيلٌ كَثِيرُ الْحَلَاوَةِ يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْهُ مَاءُ الظَّرْفِ وَفِيهِ يَقُولُ اللَّحَّامُ :

---

(١) أى غير بخيل ولا ضيق الحال (٢) أى قاذف بالزبد لكثرة مائه

(٣) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وهما فرقدان ، ولكنه يأتى فى الشعر مفردا لشدة اتصالها (٤) تحيف ماله : تنقصه ، ونهك : أفنى

إِنَّ الْمُفَجَّعَ فَالْعَنُوهُ مُؤَنَّثٌ (١)

نَغِلٌ (٢) يَدِينُ بِبُغْضِ أَهْلِ الْبَيْتِ

يَهْوَى الْعُلُوقَ وَإِنَّمَا يَهْوَاهُمُ   بِمُؤَخَّرٍ حَيٍّ وَقَلْبٍ مَيِّتِ

وَمِنْ شِعْرِهِ وَيُرْوَى لِابْنِ لَنْكَكَ :

لَنَا سِرَاجٌ نُورُهُ ظُلْمَةٌ   لَيْسَ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ

كَأَنَّهُ شَخْصُ الْإِمَامِ الَّذِي

يَبْغِي الْهُدَى مِنْهُ أُولُو الرَّفْضِ (٣)

وَلِلْمُفَجَّعِ تَصَانِيفُ مِنْهَا : كِتَابُ التَّرْجُمَانِ (٤) فِي الشِّعْرِ وَمَعَانِيهِ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةَ عَشَرَ حَدًّا وَهِيَ : حَدُّ الْإِعْرَابِ ، حَدُّ الْمَدِيحِ ، حَدُّ الْبُخْلِ ، حَدُّ الْحِلْمِ وَالرَّأْيِ ، حَدُّ الْغَزَلِ ، حَدُّ الْمَالِ حَدُّ الِاغْتِرَابِ ، حَدُّ الْمَطَايَا ، حَدُّ الْخُطُوبِ ، حَدُّ النَّبَاتِ ، حَدُّ الْحَيَوَانِ حَدُّ الْهِجَاءِ ، حَدُّ اللُّغْزِ وَهُوَ آخِرُ الْكِتَابِ . وَلَهُ أَيْضاً : كِتَابُ الْمُنْقِذِ فِي الْإِيمَانِ يُشْبِهُ كِتَابَ الْمَلَاحِنِ لِابْنِ دُرَيْدٍ إِلَّا أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَجْوَدُ وَأَتْقَنُ . كِتَابُ أَشْعَارِ الْجَوَارِي لَمْ يَتِمَّ ، كِتَابُ عَرَائِسِ الْمَجَالِسِ ، كِتَابُ غَرِيبِ شِعْرِ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ ، كِتَابُ قَصِيدَتِهِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ

(١) فى الأصل « بزيت » وما ذكرنا هو الصواب كما فى اليتيمة وكما نبه الهامش .

(٢) النغل بالسكون والتحريك : ولد الزنية فاسد من نواح كثيرة (٣) الرفض : هم الرافضة إحدى فرق الشيعة بايعوا زيد بن على ثم رفضوه فسموا بذلك (٤) هكذا وكزعفران وبفتح التاء وضم الجيم .

ذَكَرَهُ أَبُو جعفرٍ فِي مُصَنِّفِي الإِمَامِيَّةِ .

وَمِمَّا أَنْشَدَهُ الثَّعَالِبِيُّ لَهُ فِي غُلَامٍ يُكْنَى أَبَا سَعْدٍ :

زَفَرَاتٌ تَعْتَادُنِي عِنْدَ ذِكْرَا ... كَ وَذِكْرَاكَ مَا تَرِيمُ[1] فُؤَادِي

وَسُرُورِي قَدْ غَابَ عَنِّي مُذْ غِبْـ ... ـتَ فَهَلْ كُنْتُمَا عَلَى مِيعَادِ ؟

حَارَبَتْنِي الأَيَّامُ فِيكَ أَبَا سَعْـ ... ـدٍ بِسَيْفِ الهَوَى وَسَهْمِ البِعَادِ

لَيْسَ لِي مَفْزَعٌ سِوَى عَبَرَاتٍ ... مِنْ جُفُونٍ مَكْحُولَةٍ بِالسُّهَادِ

فِي سُهَادِي لِطُولِ أُنْسِي بِذِكْرَا ... كَ اعْتِيَاضٌ مِنَ الكَرَى وَالرُّقَادِ

وَبِحَسْبِي مِنَ المَصَائِبِ أَنِّي ... فِي بِلَادٍ وَأَنْتُمُ فِي بِلَادِ

وَلَهُ :

أَلَا يَا جَامِعَ البَصْـ ... ـرَةِ لَا خَرَّبَكَ اللهُ

وَسَقَى صَحْنَكَ الغَيْـ ... ـثُ مِنَ المُزْنِ فَرَوَّاهُ

فَكَمْ مِنْ عَاشِقٍ فِيكَ ... يَرَى مَا يَتَمَنَّاهُ

وَكَمْ ظَبْيٍ مِنَ الإِنْسِ ... مَلِيحٍ فِيكَ مَرْعَاهُ

نَصَبْنَا الفَخَّ بِالعِلْمِ ... لَهُ فِيكَ فَصِدْنَاهُ

بِقُرْآنٍ قَرَأْنَاهُ ... وَتَفْسِيرٍ رَوَيْنَاهُ

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ لِلشِّعْـ ... ـرِ بِالشِّعْرِ طَلَبْنَاهُ

---

(١) أي ما تفارق

فَمَا زَالَتْ يَدُ الْأَيَّا ... مِ حَتَّى لَانَ مَتْنَاهُ
وَحَتَّى ثَبَتَ السَّرْجُ ... عَلَيْهِ وَرَكِبْنَاهُ
أَلَا يَا طَالِبَ الْأَمْرَ ... دِ كَذَّبْ مَاذَكَرْنَاهُ
فَلَا يَغْرُرْكَ مَا قُلْنَا ... فَمَا بِالْجِدِّ قُلْنَاهُ
وَإِنْ كَانَ مِنَ الْبُغْضِ ... يُزَنَّى (١) حِينَ تَلْقَاهُ
فَرُدَّ الدِّرْهَمَ الضَّرْبَ (٢) ... إِلَيْهِ تَتَلَقَّاهُ
فَبِالدِّرْهَمِ يُسْتَنْزَ ... لُ مَا فِي الْجَوِّ مَأْوَاهُ
وَبِالدِّرْهَمِ يُسْتَخْرَ ... جُ مَا فِي الْقَفْرِ مَثْوَاهُ

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ بِشْرَانَ (٣) بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ جَعْفَرٍ فِي تَارِيخِهِ قَالَ: وَفِيهَا يَعْنِي فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُفَجَّعُ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ، وَكَانَ شَاعِرَ الْبَصْرَةِ وَأَدِيبَهَا، وَكَانَ يَجْلِسُ فِي الْجَامِعِ بِالْبَصْرَةِ فَيُكْتَبُ عَنْهُ وَيُقْرَأُ عَلَيْهِ الشِّعْرُ وَاللُّغَةُ وَالْمُصَنَّفَاتُ، وَامْتَنَعَ مِنَ الْجُلُوسِ مُدَّةً لِسَبَبٍ لَحِقَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ حَضَرَهُ فَخُوطِبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُنْسِيَهُمْ أَسْمَاءَهُمْ لَفَعَلْتُ.

---

(١) مخفف يزنىء : بمعنى يضيق (٢) أى المضروب المعد للتداول

(٣) فى الأصل : « شيران » تحريف كما نبه بهامشه

وَشِعْرُهُ مَشْهُورٌ ، فَمِنْهُ وَقَدْ دَامَتِ الْأَمْطَارُ وَقَطَعَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ (١) :

يَا خَالِقَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَا وَوَاهِبَ الْمَالِ وَالْبَنِينَا
وَرَافِعَ السَّبْعِ فَوْقَ سَبْعٍ لَمْ يَسْتَعِنْ فِيهِمَا مُعِينَا
وَمَنْ إِذَا قَالَ كُنْ لِشَيْءٍ لَمْ تَقَعِ النُّونُ أَوْ يَكُونَا
لَا تَسْقِنَا الْعَامَ صَوْبَ (٢) غَيْثٍ أَكْثَرَ مِنْ ذَا فَقَدْ رَوِينَا

وَلَهُ يُخَاطِبُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيَّ وَقَدْ أَعَادَ عَلَيْهِ ذِكْرَ سَبَبٍ :

قُلْ لِمَنْ كَانَ قَدْ عَفَا عَنْ ذُنُوبِ الْمُفَجَّعِ
لَا تُعِدْ ذِكْرَ مَا مَضَى مَنْ عَفَا لَمْ يُقَرِّعِ (٣)

وَلَهُ وَقَدْ سَأَلَ بَعْضَ أَصْدِقَائِهِ أَيْضًا رُقْعَةً وَشِعْرًا لَهُ يُهَنِّئُهُ فِي مِهْرَجَانٍ إِلَى بَعْضِهِمْ فَقَصَّرَ حَتَّى مَضَى الْمِهْرَجَانُ :

إِنَّ الْكِتَابَ وَإِنْ تَضَمَّنَ طَيُّهُ
كُنْهَ الْبَلَاغَةِ كَالْفَصِيحِ الْأَخْرَسِ
فَإِذَا أَعَانَتْهُ عِنَايَةُ حَامِلٍ فَجَوَابُهُ يَأْتِي بِنُجْحٍ مُنْفِسِ
وَإِذَا الرَّسُولُ وَنَى وَقَصَّرَ عَامِدًا
كَانَ الْكِتَابُ صَحِيفَةَ الْمُتَلَمِّسِ (٤)

(١) وقطعت عن الحركة : أى قطعت الطريق ومنعت الناس من مزاولة أعمالهم
(٢) صوب غيث : من إضافة الصفة للموصوف : أى مطر منصب (٣) أى لم يعنف
(٤) ونى : أبطأ ، وصحيفة المتلمس : مثل يضرب لمن يسعى بنفسه فى هلاكها ويغررها ، والمتلمس شاعر مشهور

قَدْ فَاتَ يَوْمُ الْمِهْرَجَانِ فَذِكْرُهُ
فِي الشِّعْرِ أَبْرَدُ مِنْ سَخَاءِ الْمُفْلِسِ

فَسُئِلَ عَنْ سَخَاءِ الْمُفْلِسِ فَقَالَ: يَعِدُ فِي إِفْلَاسِهِ بِمَا لَا يَفِي بِهِ عِنْدَ إِمْكَانِهِ. قَالَ: دَخَلَ الْمُفَجَّعُ يَوْمًا إِلَى الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّنُوخِيِّ فَوَجَدَهُ يَقْرَأُ [1] مَعَانِيَ الشِّعْرِ عَلَى الْعُبَيْسِيِّ فَأَنْشَدَ:

قَدْ قَدِمَ الْعُجْبُ عَلَى الرُّوَيْسِ
وَشَارَفَ الْوَهْدُ أَبَا قُبَيْسِ [2]

وَطَاوَلَ الْبَقْلُ فُرُوعَ الْمَيْسِ
وَهَبَّتِ الْعَنْزُ لِقَرْعِ التَّيْسِ [3]

وَادَّعَتِ الرُّومُ أَبًا فِي قَيْسِ
وَاخْتَلَطَ النَّاسُ اخْتِلَاطَ الْحَيْسِ [4]

إِذْ قَرَا الْقَاضِي حَلِيفُ الْكَيْسِ
مَعَانِيَ الشِّعْرِ عَلَى الْعُبَيْسِي

(١) كانت كلمة « يقرأ » ساقطة من الأصل وقد نبه عليها هامشه (٢) الرويس : تصغير روس ، وهو السيىء ، يقال : هو روس سوء ، أى رجل سوء ، والتصغير للتحقير ، والوهد : المنخفض من الأرض ، وأبا قبيس : جبل بمكة (٣) الميس : شجر عظيم ونوع من الكروم ينهض على ساق ، وهبت : قامت ، والتيس : الذكر من الظباء والمعز والوعول (٤) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج ثم يندر منه نواه وربما جعل فيه سويق .

وَأَلْقَى ذَلِكَ إِلَى التَّنُوخِيِّ وَانْصَرَفَ. وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْأَكْفَانِيُّ رَاوِيَتَهُ وَكَتَبَ لِي بِخَطِّهِ مِنْ مَلِيحِ شِعْرِهِ شَيْئاً كَثِيراً قَالَ: وَمَدَحَ أَبَا الْقَاسِمِ التَّنُوخِيَّ فَرَأَى مِنْهُ جَفَاءً فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

لَوْ أَعْرَضَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَأَبَوْا ... لَمْ يَنْقُصُوا رِزْقِيَ الَّذِي قُسِمَا

كَانَ وِدَادٌ فَزَالَ وَانْصَرَمَا ... وَكَانَ عَهْدٌ فَبَانَ وَانْهَدَمَا

وَقَدْ صَحِبْنَا فِي عَصْرِنَا أُمَمًا ... وَقَدْ فَقَدْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ أُمَمَا

فَمَا هَلَكْنَا هُزْلًا وَلَا سَاخَتِ الْـ ... أَرْضُ وَلَمْ تَقْطُرِ السَّمَاءُ دَمَا

فِي اللهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ خَلَفٌ ... لَا يَرْهَبُ الدَّهْرَ مَنْ بِهِ اعْتَصَمَا

حُرٌّ ظَنَنَّا بِهِ الْجَمِيلَ فَمَا ... حَقَّقَ ظَنًّا وَلَا رَعَى الذِّمَمَا

فَكَانَ مَاذَا مَا كُلُّ مُعْتَمَدٍ ... عَلَيْهِ يَرْعَى الْوَفَاءَ وَالْكَرَمَا

غَلِطْتُ وَالنَّاسُ يَغْلَطُونَ وَهَلْ ... تَعْرِفُ خَلْقًا مِنْ غَلْطَةٍ سَلِمَا؟

مَنْ ذَا إِذَا أُعْطِيَ السَّدَادَ فَلَمْ ... يُعْرَفْ بِذَنْبٍ وَلَمْ يَزِلْ قَدَمَا (١)

---

(١) لم يزل قدما: أى لم يسقط بمعنى لم يهف، وحذف ثانى المدغمين ضرورة، أو يكون الفعل بفتح الزاى مضارعا لما زال لا مضارع زل، على أن القدم بنفس التحريك يكون حينئذ الشجاع ذا التقدم فى ثبات.

شَلَّتْ يَدِي لِمْ جَلَسْتُ عَنْ تَفَهٍ [1]
أَكْتُبُ شَجْوِى وَأَمْتَطِي الْقَلَمَا ؟

يَا لَيْتَنِي قَبْلَهَا خَرِسْتُ فَلَمْ ... أُعْمِلْ لِسَانًا وَلَا فَتَحْتُ فَمَا
يَا زَلَّةً مَا أُقِلْتُ عَثْرَتَهَا ... أَبْقَتْ عَلَى الْقَلْبِ وَالْحَشَا أَلَمَا
مَنْ رَاعَهُ بِالْهَوَانِ صَاحِبُهُ ... فَعَادَ فِيهِ فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

وَلَهُ :

أَظْهَرْتُ لِلرِّئْمِ [2] بَعْضَ وَجْدِي ... وَإِنَّمَا الْوَجْدُ مَا سَتَرْتُهْ
وَقُلْتُ حُبِّيكَ قَدْ بَرَانِي ... فَقَالَ دَعْهُ بِذَا أَمَرْتُهْ

وَلَهُ قَصِيدَتُهُ ذَاتُ الْأَشْبَاهِ ، وَسُمِّيَتْ بِذَاتِ الْأَشْبَاهِ لِقَصْدِهِ فِيمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْخَبَرِ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ الرَّازِقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : « إِنْ تَنْظُرُوا إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَنُوحٍ فِي هَمِّهِ ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي خُلُقِهِ ، وَمُوسَى فِي مُنَاجَاتِهِ ، وَعِيسَى فِي سِنِّهِ ، وَمُحَمَّدٍ فِي هَدْيِهِ وَحِلْمِهِ ، فَانْظُرُوا إِلَى هَذَا الْمُقْبِلِ » . فَتَطَاوَلَ النَّاسُ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَوْرَدَ الْمُفَجِّعُ ذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ وَفِيهَا مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ وَأَوَّلُهَا :

---

(١) سكن ميم ما الاستفهامية بعد حذف ألفها للجر ضرورة ، والتفه : الخسة والحقارة. فيمن جلس يمدحه . (٢) الرئم : الظبي الخالص البياض يعبر به عن حبيبه .

أَيُّهَا اللَّائِمِي لِحُبِّي عَلِيًّا قُمْ ذَمِيماً إِلَى الْجَحِيمِ خَزِيًّا
أَبِخَيْرِ الْأَنَامِ عَرَّضْتَ لَا زِلْـ
ـتَ مَذُوداً (١) عَنِ الْهُدَى مَزْوِيًّا (٢)
أَشْبَهَ الْأَنْبِيَاءَ كَهْلاً وَزَوْلاً (٣) وَفَطِيماً وَرَاضِعاً وَغَذِيًّا
كَانَ فِي عِلْمِهِ كَآدَمَ إِذْ عُلِّـ ـمَ شَرْحَ الْأَسْمَاءِ وَالْمَكْنِيَّا
وَكَنُوحٍ نَجَّى مِنَ الْهُلْكِ مَنْ سَيْـ
ـيَرَ فِي الْفُلْكِ إِذْ عَلَا الْجُودِيَّا (٤)
وَجَفَا فِي رِضَا الْإِلَهِ أَبَاهُ وَاجْتَوَاهُ (٥) وَعَدَّهُ أَجْنَبِيًّا
كَاعْتِزَالِ الْخَلِيلِ آزَرَ (٦) فِي الـ ـلَهِ وَهِجْرَانِهِ أَبَاهُ مَلِيًّا
وَدَعَا قَوْمَهُ فَآمَنَ لُوطٌ
أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ رُحْماً وَرِيًّا (٧)
وَعَلِيٌّ لَمَّا دَعَاهُ أَخُوهُ سَبَقَ الْحَاضِرِينَ وَالْبَدَوِيَّا
وَلَهُ مِنْ أَبِيهِ ذِي الْأَيْدِ (٨) إِسْمَا
عِيلَ شِبْهٌ مَا كَانَ عَنِّي خَفِيًّا
إِنَّهُ عَاوَنَ الْخَلِيلَ عَلَى الْكَعْـ ـبَةِ إِذْ شَادَ رُكْنَهَا الْمَبْنِيَّا

(١) أى مدفوعاً مبعدا (٢) أى مصروفاً ممنوعاً (٣) الزول : الفتى

(٤) الجودى : جبل بالجزيرة بقربه الموصل (٥) اجتوى : كره، وفاعله وفاعل جفا قبله راجع إلى على لا نوح (٦) آزر : اسم أبى سيدنا إبراهيم عليه السلام والداً أو عماً على خلاف (٧) رحماً : قرابة، وريا : هيئة، وأصلها رئيا خففت الهمزة وحدث الادغام (٨) أى صاحب القوة

وَلَقَدْ عَاوَنَ الْوَصِيُّ حَبِيبَ الْـ لَهِ إِذْ يَغْسِلَانِ مِنهَا الصُّفِيَّا (١)

رَامَ حَمْلَ النَّبِيِّ كَيْ يَقْطَعَ الْأَصْـ

ـنَامَ مِنْ سَطْحِهَا الْمُثُولَ الْحُبِيَّا (٢)

فَحَنَاهُ ثِقْلُ النُّبُوَّةِ حَتَّى كَادَ يَنْآدُ تَحْتَهُ مُنْثَنِيَا (٣)

فَارْتَقَى مَنْكِبَ النَّبِيِّ عَلِيٌّ صِنْوُهُ (٤) مَا أَجَلَّ ذَا الْمُرْتَقَيَا

فَأَمَاطَ الْأَوْثَانَ عَنْ ظَاهِرِ الْكَعْـ

ـبَةِ يَنْفِي الرِّجَاسَ (٥) عَنْهَا نَفِيَّا

وَلَوَ انَّ الْوَصِيَّ حَاوَلَ مَسَّ النَّـ ـجْمِ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْهُ قَصِيَّا

أَفَهَلْ تَعْرِفُونَ غَيْرَ عَلِيٍّ ؟

وَابْنِهِ اسْتَرْحَلَ النَّبِيَّ مَطِيَّا (٦)

وَشِعْرُ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْمُفَجَّعِ كَثِيرٌ حَسَنٌ . وَكَانَ يَوْمًا بِالْأَهْوَازِ جَالِسًا مَعَ جَمَاعَةٍ فَاجْتَازَ بِهِ غُلَامٌ لِمُوسَى بْنِ الطَّيِّبِ نَدِيمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيِّ يُقَالُ لَهُ طَرِيفٌ وَهُوَ أَمْرَدُ مَلِيحٌ فَسَأَلَ الْمُفَجَّعُ عَنْهُ فَقِيلَ : هَذَا غُلَامُ نَدِيمِ الْبَرِيدِيِّ فَقَالَ :

اجْتَازَ بِي الْيَوْمَ فِي الطَّرِيقِ فَتًى يَخْتَالُ فِي مُورِقٍ مِنَ الْبَانِ (٧)

(١) الصفى بضم الصاد وكسرها جمع صفاة : وهى الحجر الصلد الضخم ، فهو يريد إذ يمحوان منها الأوثان والأصنام (٢) المثول : الماثلة جمع ماثل : أى المنتصبة ، والحبي جمع حاب : أى المرتفعة المناكب إلى الأعناق . (٣) أى ينوء (٤) أى ابن عمه ، ويطلق الصنو على القريب (٥) الرجاس : الرجس ، وهو القذر أو الشرك (٦) أى اتخذه راحلة كالمطى (٧) يريد فى قد كأنه غصن البان المورق

بِالْأَمْرِ هَذَا غُلَامُ صَفْعَانِ[٢] فَقُلْتُ مَنْ ذَا ؟ فَقَالَ لِي خَبِرٌ[١]

وَلِأَبِي عَبْدِ اللهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْأَهْوَازِ مَدَائِحُ كَثِيرَةٌ وَأَهَاجٍ ، وَلَهُ قَصِيدَةٌ فِي أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ دَرَسْتَوَيْهِ يَرْثِيهِ فِيهَا وَهُوَ حَيٌّ يَقُولُ فِيهَا وَيُلَقِّبُهُ بِدُهْنِ الْآجُرِّ :

مَاتَ دُهْنُ الْآجُرِّ فَاخْضَرَّتِ الْأَرْ
ضُ وَكَادَتْ جِبَالُهَا لَا تَزُولُ

وَيَصِفُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِيهَا . قَالَ : وَكَانَ الْمُفَجَّعُ يُكْثِرُ عِنْدَ وَالِدِي وَيُطِيلُ الْمُقَامَ عِنْدَهُ ، وَكُنْتُ أَرَاهُ عِنْدَهُ وَأَنَا صَبِيٌّ بِالْأَهْوَازِ ، وَلَهُ إِلَيْهِ مُرَاسَلَاتٌ وَلَهُ فِيهِ مِدَحٌ كَثِيرَةٌ كُنْتُ جَمَعْتُهَا فَضَاعَتْ أَيَّامَ دُخُولِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى الْأَهْوَازَ وَنَهْبِ « رُزْنَامَاتِهَا[٣] » ، وَكَانَ مِنْهَا قَصِيدَةٌ بِخَطِّهِ عِنْدِي يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْجُودِ مَنْ مَوْلَاكَ قَالَ نَعَمْ ؟
عَبْدُ الْمَجِيدِ الْمُغِيرَةُ بْنُ بُشْرَانِ[٤]

وَأَذْكُرُ لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى :

يَا مَنْ أَطَالَ يَدِي إِذْ هَاضَنِي[٥] زَمَنِي
وَصِرْتُ فِي الْمِصْرِ مَجْفُوًّا وَمُطَّرَحَا

(١) أى خبير عالم (٢) يقال رجل صفعان أو مصفعانى : إذا كان من شأنه أن يصفع أى يضرب على قفاه . (٣) جمع روزنامة فارسية (٤) فى الأصل : « شيران » تحريف كما تقدم التنبيه على ذلك (٥) فى الأصل : « يا قمراً طال » وأراه تحريفا ، وهاضنى : كسرنى بعد كسر .

أَنقَذْتَنِي مِنْ أُنَاسٍ عِنْدَ دِينِهِمُ
قَتْلُ الأَدِيبِ إِذَا مَا عِلْمُهُ اتَّضَحَا

قَالَ : وَكَانَتْ وَفَاتُهُ قَبْلَ وَفَاةِ وَالِدِي بِأَيَّامٍ يَسِيرَةٍ ، وَمَاتَ وَالِدِي فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَفِيهَا مَاتَ الْخُرُورِيُّ (١) الشَّاعِرُ . وَمِنْ مُلَحِهِ الْمَشْهُورَةِ قَوْلُهُ لِإِنْسَانٍ أَهْدَى إِلَيْهِ طَبَقًا فِيهِ قَصَبُ السُّكَّرِ وَالْأُتْرُنْجِ (٢) وَالنَّارَنْجِ وَأَرَاهُ أَبَا سَعْدٍ غُلَامَهُ :

إِنَّ شَيْطَانَكَ فِي الظَّرْ ... فِ لَشَيْطَانٌ مَرِيدُ
فَلِهَذَا أَنْتَ فِيهِ ... تَبْتَدِي ثُمَّ تُعِيدُ
قَدْ أَتَتْنَا تُحْفَةٌ مِنْ ... كَ عَلَى الْحُسْنِ تَزِيدُ
طَبَقٌ فِيهِ قُدُودٌ ... وَنُهُودٌ وَخُدُودٌ (٣)

وَأَنْشَدَ الثَّعَالِبِيُّ (٤) لَهُ فِي غُلَامٍ مُغَنٍّ جُدِرَ (٥) فَازْدَادَ حُسْنًا وَجَمَالًا :

يَا قَمَرًا جُدِّرَ حَتَّى اسْتَوَى ... فَزَادَهُ حُسْنًا وَزَادَتْ هُمُومْ

(١) كانت بالأصل « الحراورى » تحريف، وقال بهامش الأصل: « لعله الخزورى » وعند الذهبي أن الخرورى الشاعر توفى بعد الأربعمائة ، إذ لا شاعر بتلك النسبة « الحراورى » (٢) الأترنج : ثمر شجر بستانى من جنس الليمون (٣) قدود : جمع قد ، وهو القوام ، وأراد بها قصب السكر لطوله ، والنهود : الثدى ، وأراد بها الاترنج لاستدارته ، وخدود جمع خد ، وأراد بها النارنج لحمرته (٤) بهامش الأصل « يتيمة ج ٢ ص ١٣١ » (٥) أى أصابه الجدرى ويشدد كما ذكر فى البيت بعده .

كَأَنَّهُ غَنَّى لِشَمْسِ الضُّحَى فَنَقَّطَتْهُ طَرَبًا بِالنُّجُومْ

وَأَنْشَدَ لَهُ أَيْضاً :

فَسَا عَلَى قَوْمٍ فَقَالُوا لَهُ (١) إِنْ لَمْ تَقُمْ مِنْ بَيْنِنَا قُمْنَا

فَقَالَ لَا عُدْتُ فَقَالُوا لَهُ مِنْ نَتْنٍ فِيهِ ذَا كَمَا كُنَّا

وَأَنْشَدَ لَهُ أَيْضاً :

أَدَارُوهَا وَلِلَّيْلِ اعْتِكَارُ (٢) فَخِلْتُ اللَّيْلَ فَاجَأَهُ النَّهَارُ

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَاللَّيْلُ دَاجٍ أَلَاحَ الصُّبْحُ أَمْ بَدَتِ الْعُقَارُ؟؟

فَقَالَ هِيَ الْعُقَارُ تَدَاوَلُوهَا مُشَعْشَعَةً (٣) يَطِيرُ لَهَا شَرَارُ

فَلَوْلَا أَنَّنِي أَمْتَاحُ مِنْهَا (٤) حَلَفْتُ بِأَنَّهَا فِي الْكَأْسِ نَارُ

﴿ ٦٤ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ غَيْثَةَ * ﴾

محمد بن أحمد النوقاتى

النُّوقَاتِيُّ بِالتَّاءِ قَبْلَ يَاءِ النِّسْبَةِ ، وَنُوقَاتُ مَحَلَّةٌ بِسِجِسْتَانَ يُقَالُ لَهَا نُوهَا فَعُرِّبَتْ ، يُكْنَى أَبَا عُمَرَ السِّجِسْتَانِيَّ وَهُوَ وَالِدُ عُمَرَ وَعُثْمَانَ ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ . ذَكَرَهُ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ تَارِيخِ مَرْوَ فَقَالَ : دَخَلَ إِلَى خُرَاسَانَ وَكَتَبَ بِهَرَاةَ وَمَرْوَ وَبَلْخَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ

---

(١) الشطر الأول فى اليتيمة كما ذكرناه ، وكان فى الأصل هكذا : « جزنا على قوم فقالوا لنا الخ » ورواية اليتيمة أصح ومعها تنتظم بقية الشعر كما نبه بالهامش .

(٢) أداروها : يريد الخمر : أى أطافوها عليهم ، واعتكار الليل : اشتداد سواده والتباسه (٣) أى ممزوجة بالماء (٤) أى أستقى

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته هذه

الشُيُوخِ وَأَكْثَرَ وَاشْتَغَلَ بِالتَّصَانِيفِ[١] ، وَبَلَغَ فِيهَا الغَايَةَ وَكَانَ مَرْزُوقًا فِيهَا مُحْسِنًا ، جَمَعَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَفَنٍّ ، وَأَحْسَنَ فِي كُلِّ التَّصَانِيفِ ، سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ القُرَشِيَّ ثُمَّ ذَكَرَ خَلْقًا كَثِيرًا ، مِنْهُمُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ الْبَيِّعِ الْحَافِظُ ، وَأَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ حِبَّانَ الْبُسْتِيُّ ، وَأَبُو يَعْلَى النَّسَفِيُّ ، وَأَبُو عَلِيٍّ حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّفَّاءُ ، وَأَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ .

وَرَوَى عَنْهُ أَبْنَاهُ عُمَرُ وَعُثْمَانُ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا : كِتَابُ آدَابِ الْمُسَافِرِينَ ، كِتَابُ الْعِتَابِ وَالْإِعْتَابِ ، كِتَابُ فَضْلِ الرَّيَاحِينِ ، كِتَابُ الْعِلْمِ ، كِتَابُ الشَّيْبِ ، كِتَابُ مِحْنَةِ الظِّرَافِ فِي أَخْبَارِ الْعُشَّاقِ ، كِتَابُ مُعَاشَرَةِ الْأَهْلِينَ . وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِ مِحْنَةِ الظِّرَافِ :

نَمَّتْ دُمُوعِي عَلَى سِرِّي وَكِتْمَانِي
وَشَرَّدَ النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيَّ أَحْزَانِي
وَأَقْلَقَتْنِي عَمَّا أَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى الْهَوَى حَسَرَاتٌ مِنْكَ تَغْشَانِي
يَا مَنْ جَفَانِي وَأَقْصَانِي وَغَادَرَنِي
صَبًّا وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ يَلْحَانِي

(١) كانت فى الأصل : « التصنيف » تحريف ، وما ذكرنا الصحيح للضمائر المؤنثة بعد

لَا تنسَ أَيَّامَ أُنسٍ قدْ مننتَ بهَا
وَدَاوِ غُلَّةَ قلْبٍ فِيكَ أَعْيَانِي

وَمِنْ كِتَابِ مِحْنَةِ الظّرَافِ مِمَّا نَسَبَهُ أَبُو عُمَرَ إِلَى نَفْسِهِ وَمِنْ خطِّهِ نَقَلْتُ:

سَأَهْجُرُكُمْ مَا دُمْتُمُ فِي حِجَابِكُمْ
عَلَى الْكُرْهِ حَتَّى تَأْمَنُوا الرُّقَبَاءَ
مُسَاعَدَةً مِنِّي لَكُمْ لَا تَصَبُّراً
وَلَمْ يَصْبِرِ الْعَطْشَانُ يُبْصِرُ مَاءَ

وَأَنْشَدَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ:

أَصَابَكَ عَيْنٌ بَعْدَ فَرْطِكَ (١) فِي حُبِّي
أَمَ اذْنَبْتُ فَاسْتَحْسَنْتَ يَا سَيِّدِي ذَنْبِي؟
أَحِينَ سَلَبْتَ الْقَلْبَ مِنِّي صَبَابَةً
وَصَيَّرْتَنِي عَبْداً تَجَافَيْتَ عَنْ قُرْبِي؟
سَأَصْبِرُ حَتَّى تَعْجَبُوا مِنْ تَصَبُّرِي
وَأَنْتَظِرُ الْحُسْنَى عَلَى ذَاكَ مِنْ رَبِّي

وَأَنْشَدَ السَّمْعَانِيُّ بِإِسْنَادٍ لَهُ رَفَعَهُ إِلَى النُّوقَاتِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ عَنِ الصُّولِيِّ عَنْ ثَعْلَبٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ:

---

(١) أى إفراطك وإسرافك

أَرَى بَصَرِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
يَكِلُّ[1] وَخَطْوِي عَنْ مَدَى الْخَطْوِ يَقْصُرُ[2]
وَمَنْ يَصْحَبِ الْأَيَّامَ سِتِّينَ حِجَّةً
يُغَيِّرْنَهُ وَالدَّهْرُ لَا يَتَغَيَّرُ
لَعَمْرِي لَئِنْ أَمْسَيْتُ أَمْشِي مُقَيَّداً
لَمَا كُنْتُ أَمْشِي مُطْلَقَ الْقَيْدِ أَكْثَرُ[3]

قَالَ: وَحَدَّثَ أَبُو عُمَرَ بْنُ النُّوقَاتِيِّ فِي رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فَتَكُونُ وَفَاتُهُ بَعْدَ هَذَا الشَّهْرِ.

﴿ ٦٥ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْخَلَّالُ أَبُو الْغَنَائِمِ * ﴾

محمد بن أحمد الخلال

اللُّغَوِيُّ، إِمَامٌ عَالِمٌ جَيِّدُ الضَّبْطِ، صَحِيحُ الْخَطِّ، مُعْتَمَدٌ عَلَيْهِ مُعْتَبَرٌ، أَخَذَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، وَأَبِي الْحَسَنِ الرُّمَّانِيِّ وَتِلْكَ الطَّبَقَةِ.

﴿ ٦٦ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طَالِبٍ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ * ﴾

محمد بن أحمد الحلبي

الْحَلَبِيُّ أَبُو الْحَسَنِ، سَمِعَ بِبَغْدَادَ أَبَا بَكْرِ بْنَ دُرَيْدٍ وَأَبَا بَكْرِ بْنَ الْأَنْبَارِيِّ، وَأَبَا عَلِيِّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ

---

(١) أى يضعف بحيث لايتحقق المنظور (٢) أى يعجز (٣) أى للذى كنت أمشيه الخ.

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ١٥

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٩

الْكَاتِبَ الْمَعْرُوفَ بِالْكَوْكَبِيِّ ، وَأَبَا عَبْدِ اللهِ نِفْطَوَيْهِ ، وَأَبَا عِيسَى مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ قَطَنٍ السِّمْسَارَ ، وَبِحَلَبَ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَاسَتَ الْحَاضِرِيَّ الْحَلَبِيَّ ، وَالْقَاضِيَ أَبَا حُصَيْنٍ ، وَمَاتَ بَعْدَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلَهُ كِتَابُ الشُّبَّانِ (١) وَالشِّيبِ أَحْسَنَ فِيهِ .

﴿ ٦٧ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَشْرَسَ * ﴾

محمد بن أحمد ابن أشرس

أَبُو الْفَتْحِ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، أَدِيبٌ فَاضِلٌ شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ ، كَانَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْخُوَارِزْمِيِّ بِنَيْسَابُورَ ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ فَلَقِيَ بِهَا جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ كَالرَّبَعِيِّ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، وَأَبِي الْحَسَنِ السِّمْسِمِيِّ وَغَيْرِهِمَا ، ذَكَرَهُ الْبَاخَرْزِيُّ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو جَعْفَرٍ الْبَحَّاثِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَاكِمُ أَبُو سَعْدِ بْنُ دُوسْتَ قَالَ : كَانَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ أَشْرَسَ مِنْ نَاحِيَةِ الرُّخِّ ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ بِنَيْسَابُورَ وَيَخْتَلِفُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الْخُوَارِزْمِيِّ ، فَلَمَّا

---

(١) قال بهامش الأصل : « لعله الشباب » وهو وهم منه جره إليه قراءته « الشيب » جمع أشيب ، على أنها « الشيب » مقابل الشباب كما توهم .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ١٧

نَزَفَ مَا عِنْدَهُ (١) ارْتَحَلَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ قَالَ: فَرَأَيْتُ كِتَابًا بِخَطِّ يَدِهِ وَقَدْ كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ وَذَكَرَ فِي أَثْنَائِهِ أَنْ لَيْسَ الْيَوْمَ بِخُرَاسَانَ مَنْ يَقُومُ بِاخْتِيَارِ فَصِيحِ الْكَلَامِ لِثَعْلَبٍ، وَأَلْفَاظِ الْكَتَبَةِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِيسَى.

قَالَ أَبُو سَعْدٍ: وَكَانَ الْخُوَارِزْمِيُّ يَوْمَئِذٍ حَيًّا يُرْزَقُ، وَالْأَلْسِنَةُ لِفَضْلِهِ تُطَاقُ. وَهَذَانِ الْكِتَابَانِ مِنْ زَغَبِ (٢) فِرَاخِ الْكُتُبِ، وَأَنْكَرَ مَعْرِفَةَ أَهْلِ خُرَاسَانَ بِهِمَا، فَمَا ظَنُّكَ بِالْقَشَاعِمِ اللُّقْمَانِيَّةِ مِنْ أُمَّهَاتِنَا (٣). وَأَنْشَدَنِي الْقَاضِي أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ: أَنْشَدَنِي الْحَاكِمُ أَبُو سَعْدٍ قَالَ: أَنْشَدَنِي ابْنُ الْأَشْرَسِ لِنَفْسِهِ فِي أَبِي الْحَسَنِ الْأَهْوَازِيِّ يَهْجُوهُ:

يَا عَجَبًا لِشَيْخِنَا الْأَهْوَازِي ... يُزْهَى عَلَيْنَا وَهُوَ فِي هَوَانِ (٤)

قَالَ الْحَاكِمُ أَبُو سَعْدٍ: وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ:

كَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ لَمَّا عَلَا ... فُرُوعَهَا قَطْرُ النَّدَى قَطَرَا (٥)
وَلَاحَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهَا ضُحًى ... زَبَرْجَدٌ (٦) قَدْ أَثْمَرَ الدُّرَّا

---

(١) يقال: نزف ماء البئر ينزفه: إذا انزحه كله، وقال بهامش الأصل عن نزف: «بمعنى فرغ، ولعل الصواب نفد» فأخطأ فى الأمرين (٢) الزغب محركة: صغار الريش.

(٣) القشاعم: جمع قشعم: وهو الضخم المسن من النسور، وجاء بالهامش عن أمهاتنا «لعله من أمهاتها أى من أمهات الكتب» ولكن لا داعية إليه، إذ مراد الأصل من أمهات كتبنا (٤) يزهى علينا بالبناء للمجهول: أى يتكبر، والهوان: الذل

(٥) قطر الندى: نقط المطر، وقطر: فعل ماض: أى سال وسقط والجملة حالية.

(٦) كانت بالأصل «زبرجدا» خطأ.

نَقَدَ الحَاكِمُ أَبُو سَعْدٍ عَلَى بَيْتِهِ فقَالَ: قَوْلُهُ «قَدْ أَثْمَرَ الدُّرُّ» لَا يَسْتَقِيمُ فِى النَّحْوِ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ أَثْمَرَتِ النَّخْلَةُ الثَّمَرَ، وَإِنَّمَا يُقَالُ أَثْمَرَتْ ثَمَرًا بِغَيْرِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ. وَكَتَبَ ابْنُ آشْرَسَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَبِى الْفَتْحِ الْحَدَّادِ بِنَيْسَابُورَ:

رُبَّ غُلَامٍ صَارَ فِى بَغْدَادَ إِحْدَى الْفِتَنِ
رَقَّعْتُ خَرْقَ ظَهْرِهِ بِرُقْعَةٍ مِنْ بَدَنِى

قَالَ الْحَاكِمُ: فِى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَلَلٌ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفَسَّرَ عَلَى وَجْهٍ قَبِيحٍ لِأَنَّ لِحْيَتَهُ أَيْضًا مِنْ بَدَنِهِ. قَالَ الْقَاضِى الْبَحَّانِىُّ: فَقُلْتُ لَهُ: وَهَذَا التَّفْسِيرُ أَشْبَهُ، لِأَنَّ اللِّحْيَةَ أَشْبَهُ بِالرُّقْعَةِ مِنَ الْفِعْلِ، قَالَ نَعَمْ. لِأَنَّ اللِّحْيَةَ تُرَقِّعُ وَذَاكَ يُمَزِّقُ. هَذَا آخِرُ مَا ذَكَرَهُ الْبَاخَرْزِىُّ فِى كِتَابِهِ.

قَالَ الْقَاضِى أَبُو الْمَحَاسِنِ بْنُ مِسْعَرٍ الْمَغْرِبِىُّ فِى كِتَابِهِ: وَمِمَّنْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ: أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَشْرَسَ النَّيْسَابُورِىُّ، وَكَانَ مُلَازِمًا دَارَ الْخِلَافَةِ وَيَأْتِى يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ إِلَى قَطِيعَةِ الْمَلْحَمِ فَكُنْتُ أَصِلُ إِلَيْهِ فِى هَذَا الْمَوْضِعِ، وَكَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ غَزِيرَ الْحِفْظِ، وَكَانَ حَيًّا فِى سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَلَمْ تَتَجَاوَزْ وَفَاتُهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمَا لَقِيتُ أَحَدًا مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ يُحَقِّقُ لِى وَقْتَ وَفَاتِهِ فَأُثْبِتُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

٦٨ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو سَعْدٍ *

محمد بن أحمد العميدى

العَمِيدِيُّ ، أَدِيبٌ نَحْوِيٌّ لُغَوِيٌّ مُصَنِّفٌ سَكَنَ مِصْرَ . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْحَبَّالُ : أَبُو سَعْدٍ العَمِيدِيُّ لَهُ أَدَبِيَّاتٌ ، مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ الْعَمِيدِيُّ يَتَوَلَّى دِيوَانَ التَّرْتِيبِ وَعُزِلَ عَنْهُ كَمَا ذَكَرَ الرُّوذْبَارِيُّ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ وَوَلِيَهُ ابْنُ مَعْشَرٍ (١) ، ثُمَّ تَوَلَّى دِيوَانَ الْإِنْشَاءِ بِمِصْرَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ اسْتُخْدِمَ فِيهِ عِوَضًا مِنْ وَلِيِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ خَيْرَانَ الْكَاتِبِ فِي صَفَرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَتَوَلَّى الدِّيوَانَ بَعْدَهُ أَبُو الْفَرَجِ الذُّهْلِيُّ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي الْأَدَبِ مِنْهَا : كِتَابُ تَنْقِيحِ الْبَلَاغَةِ فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ ، رَأَيْتُهُ بِدِمَشْقَ فِي خِزَانَةِ الْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ — خَلَّدَ اللهُ دَوْلَتَهُ — وَعَلَيْهِ خَطُّهُ ، وَقَدْ قُرِئَ عَلَيْهِ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، كِتَابُ الْإِرْشَادِ إِلَى حَلِّ الْمَنْظُومِ وَالْهِدَايَةِ إِلَى نَظْمِ الْمَنْثُورِ (٢) ، كِتَابُ انْتِزَاعَاتِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ الْعَرُوضِ ، كِتَابُ الْقَوَافِي كَبِيرٌ (٣) .

---

(١) بهامش الأصل « فى الأنباء ابن مسرة » (٢) بهامش الأصل « جعلهما فى الأنباء كتابين مستقلين » (٣) بهامش الأصل « زاد له فى الأنباه كتابا سماه : سرقات المتنبى . وقال : هو كتاب حسن يدل على اطلاع كثير » .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ، وترجم له أيضا فى كتاب أنباه الرواة جزء ٢

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُشْرِفٍ : أَنْشَدَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ ابْنِ الدَّلِيلِ الصَّوَّافُ (١) بِمِصْرَ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَمِيدِيُّ لِنَفْسِهِ :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرِي لَمْ أَجِدْ لِي ... مَقَرَّ عِبَادَةٍ إِلَّا الْقَرَافَهْ
لَئِنْ لَمْ يَرْحَمِ الْمَوْلَى اجْتِهَادِي ... وَقِلَّةَ نَاصِرِي لَمْ أَلْقَ رَافَهْ (٢)

﴿ ٦٩ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ كَامِلٍ * ﴾

محمد بن أحمد البخاري

ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ سِنَانٍ ، الْبُخَارِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْغُنْجَارِ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ . لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ فَيَجِبُ ذِكْرُهُ ، إِنَّمَا ذَكَرْتُهُ لِأَنَّهُ أَلَّفَ كِتَابَ تَارِيخِ بُخَارَى .

قَالَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ : مَاتَ الْغُنْجَارُ الْبُخَارِيُّ سَنَةَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ حَوْضِ الْفِدَامِ بِبُخَارَى .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَامَا الْأَصْبَهَانِيُّ الْحَافِظُ فِيمَا زَادَهُ عَلَى تَارِيخِ غُنْجَارٍ بَعْدَ ذِكْرِ نَسَبِ غُنْجَارٍ كَمَا ذَكَرْنَا قَالَ : سُمِّيَ غُنْجَاراً لِتَتَبُّعِهِ وَجَمْعِهِ فِي حَالِ شَبَابِهِ أَحَادِيثَ أَبِي أَحْمَدَ عِيسَى بْنِ مُوسَى غُنْجَارٍ الْبُخَارِيِّ قَالَ : وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ عَنْهُ الْحَدِيثَ كَثِيرٌ

(١) بهامش الأصل « فى الأنباه : محمد بن حمود بن الدليل بن الصواف »

(٢) رافة مخفف رأفة بالهمزة : أى رحمة

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته هذه

عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَبِيبٍ ، وَمَشَايِخُهُ أَكْثَرُهُمْ مَذْكُورُونَ فِي تَصْنِيفِهِ لِتَارِيخِ بُخَارَى. سَمِعْتُهُ يَقُولُ : وُلِدْتُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

﴿ ٧٠ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَعْمَرِيُّ أَبُو بَكْرٍ * ﴾

محمد بن أحمد المعمرى

الْأَدِيبُ . مَاتَ فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ : الْأَدِيبُ الْمَعْمَرِيُّ مَشْهُورٌ ثِقَةٌ حَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّيُوخِ ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ وَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ الْمَشَايِخِ ، سَمِعَ أَبَا حَفْصٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْفَقِيهَ إِمْلَاءً . رَوَى عَنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ السُّكَّرِيُّ .

﴿ ٧١ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ يُعْرَفُ بِابْنِ بِشْرَانَ * ﴾

محمد بن أحمد ابن بشران

وَبِشْرَانُ جَدُّهُ لِأُمِّهِ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْخَالَةِ أَيْضًا ، وَيُكْنَى أَبَا غَالِبٍ مِنْ أَهْلِ وَاسِطٍ ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْمَعْرُوفِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، تَجَمَّعَ فِيهِ أَشْتَاتُ (١) الْعُلُومِ ، وَقَرَنَ بَيْنَ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ وَالْفَهْمِ وَشِدَّةِ الْعِنَايَةِ ، صَاحِبُ نَحْوٍ وَلُغَةٍ وَحَدِيثٍ

---

(١) أى متفرقها ومتنوعها

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان بترجمة ضافية ، وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة

وَأَخْبَارٍ وَدِينٍ وَصَلَاحٍ، وَإِلَيْهِ كَانَتِ الرِّحْلَةُ فِي زَمَانِهِ، وَهُوَ عَيْنُ وَقْتِهِ وَأَوَانِهِ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ ثِقَةً ضَابِطًا مُحَرِّرًا حَافِظًا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مَحْدُودًا[1]، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ خَلْقٍ لَا يُحْصَوْنَ: مِنْهُمْ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ دِينَارٍ الْكَاتِبُ صَاحِبُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ.

وَحَدَّثَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُمَيْدِيُّ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَلَّابِيُّ الْوَاسِطِيُّ صَدِيقُنَا مِنْ وَاسِطَ: أَنَّ أَبَا غَالِبِ بْنَ بِشْرَانَ النَّحْوِيَّ مَاتَ بِوَاسِطَ فِي خَامِسَ عَشَرَ رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ. قَالَ الْجَلَّابِيُّ: وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَجَاءَهُ مَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْقَاضِيَ وَجَمَاعَةً مَعَهُ قَدْ خَتَمُوا عَلَى كُتُبِهِ حِرَاسَةً لَهَا وَخَوْفًا عَلَيْهَا فَقَالَ:

لَئِنْ كَانَ الزَّمَانُ عَلَيَّ أَنْحَى ... بِأَحْدَاثٍ غُصِصْتُ لَهَا بِرِيقِي
فَقَدْ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا بِأَنِّي ... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

قَالَ: وَهَذَا آخِرُ مَا قَالَهُ مِنَ الشِّعْرِ. قَالَ الْحُمَيْدِيُّ: وَمَا أَظُنُّ الْبَيْتَيْنِ إِلَّا لِغَيْرِهِ. قَالَ: وَأَنْشَدَنَا وَقَدِ انْقَطَعَ النَّاسُ عَنْ عِيَادَتِهِ وَالدُّخُولِ إِلَيْهِ:

(١) أى غير ذى حظ، وفى الأصل « مجدودا » وهو لا يتفق مع الاستثناء إلا إذا كان تأكيدا للمدح بما يشبه الذم وبعيد أن يكون هذا هنا.

مَالِي أَرَى الْأَبْصَارَ بِي جَافِيَهْ ... لَمْ تَلْتَفِتْ مِنِّي إِلَى نَاحِيَهْ ؟

لَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى الْمَيِّتِ لَا ... وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْعَافِيَهْ

وَلَهُ حَظٌّ وَافِرٌ مِنَ الشِّعْرِ فِي قَوْلِهِ وَعِلْمِهِ ، فَمِنْ شِعْرِهِ :

لَوْلَا تَعَرُّضُ ذِكْرِ مَنْ سَكَنَ الْغَضَا
مَا كَانَ قَلْبِي لِلضَّنَى مُتَعَرِّضَا
لَكِنْ جَفَا جَفْنِي الْكَرَى بِجَفَائِهِمْ
وَحَشَا حَشَايَ فِرَاقُهُمْ جَمْرَ الْغَضَا (١)
وَلَوَ انَّ مَا بِي بِالرِّيَاحِ لَمَا جَرَتْ
وَالْبَرْقِ لَوْ يُمْنَى بِهِ مَا أَوْمَضَا (٢)
يَا رَاكِبًا يَطْوِي الدُّجُنَّةَ عِيسُهُ
فَتُرِيهِ رَضْرَاضَ الْحَصَا مُتَرَضْرِضَا (٣)
بَلِّغْ رَعَاكَ اللهُ سُكَّانَ الْغَضَا
عَنِّي التَّحِيَّةَ إِنْ عَرَضْتَ مُعَرِّضَا (٤)
وَقُلِ انْقَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَوُدُّنَا
بَاقٍ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي مَا انْقَضَى

---

(١) حشا الخ : أى ملأ فراقهم حشاى من جمر الغضا ، وجمره يبقى زمانا طويلا لا ينطفىء (٢) يمنى الخ : يبتلى به ويصاب ، وما أومض : أى مالمع (٣) تطوى الخ : تقطع إبله الظلام أى تسير فيه ، والرضراض : الصغير من الحصى ، ومترضرضا : متكسرا (٤) إن عرضت الخ : أى إن أتيت العروض ، أى مكة والمدينة وماحولها ، ومتعرضاً : أى متعوجا مبديا عرضك .

إِنْ كَانَ قَدْ حَكَمَ الزَّمَانُ بِبُعْدِكُمْ
أَبَداً فَتَسْلِيماً لِمَا حَكَمَ الْقَضَا

وَنَضَا الشَّبَابُ قِنَاعَهُ لَمَّا رَأَى
سَيْفَ الْمَشِيبِ عَلَى الْمَفَارِقِ مُنْتَضَى (١)

قَدْ كُنْتُ أَلْقَى الدَّهْرَ أَبْيَضَ نَاضِراً
فَاسْوَدَّ لَمَّا صَارَ رَأْسِى أَبْيَضَا

لَوْلَا اعْتِرَافِى بِالزَّمَانِ وَرَيْبِهِ
مَا كُنْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِى غَيْرَ الرِّضَا

وَلَهُ :

لَا تَغْتَرِرْ بِهَوَى الْمِلَاحِ فَرُبَّمَا ظَهَرَتْ خَلَائِقُ لِلْمِلَاحِ قِبَاحُ
وَكَذَا السُّيُوفُ يَرَوْنَ حُسْنَ صِقَالِهَا
وَبِحَدِّهَا تَتَخَطَّفُ الْأَرْوَاحُ

وَلَهُ :

هَوَى النَّفْسِ سُكْرٌ وَالسُّلُوُّ إِفَاقَةٌ
وَلَنْ يَسْتَبِينَ الرُّشْدَ ذُو الرُّشْدِ أَوْ يَصْحُو
فَدَعْ نُصْحَ مَنْ أَعْمَاهُ عَنْ رُشْدِهِ الْهَوَى
فَإِنَّ سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْغِشُّ وَالنُّصْحُ

---

(١) نضا الشباب الخ : نزع قناعه ، أى ذهب الشباب على الاستعارة ، ومنتضى : أى مستلا من غمده حين رأى المشيب هاجماً عليه كالسيف ، وهذا على الاستعارة أيضاً .

وَلَهُ :

وَلَمَّا أَثَارُوا الْعِيسَ لِلْبَيْنِ بَيَّنَتْ
غَرَامِي لِمَنْ حَوْلِي دُمُوعٌ وَأَنْفَاسُ (١)

فَقُلْتُ لَهُمْ لَا بَأْسَ بِي (٢) فَتَعَجَّبُوا
وَقَالُوا الَّذِي أَبْدَيْتَهُ كُلُّهُ بَاسُ

تَعَوَّضْ بِأُنْسِ الصَّبْرِ مِنْ وَحْشَةِ الْأَسَى
فَقَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ مِنْ قَبْلِكَ النَّاسُ

وَلَهُ :

تَوَهَّمَهُ قَلْبِي فَأَوْحَى ضَمِيرُهُ
قَبُولًا فَأَحْكَمْنَا الْهَوَى بِالسَّرَائِرِ (٣)

فَلَمَّا الْتَقَيْنَا شَبَّتِ الْحَرْبَ بَيْنَنَا
عَلَى السِّلْمِ مِنَّا مُقْلَتَاهُ وَنَاظِرِي (٤)

جَرَحْتُ بِلَحْظِي وَجْنَتَيْهِ فَأَقْصَدَتْ (٥)
لَوَاحِظُهُ قَلْبِي بِأَسْهُمِ ثَائِرِ

وَلَهُ :

سَقَى اللهُ لَيْلَاتٍ بِتُّ فِيهِ مُغَازِلًا
غَزَالًا حَكَى لِي وَجْهُهُ طَلْعَةَ الْبَدْرِ

---

(١) يقول : لما هيجوا الرواحل للفراق بكيت وحزنت ، فدل ذلك على غرامي وهيامي وافتضح أمري (٢) أي لا شدة (٣) توهمه : تخيله وتمثله ، وأوحى الخ : ألهمني ضميره قبولا لحبي ، فأحكمنا إلخ : فوثقنا الحب بالسر المكتوم خشية العزال

(٤) يقول : فلما تقابلنا والتقت عيناه عيناى قامت بيننا الحرب مع المسالمة بيننا

(٥) أى أصابته فقتلته لساعته ، وأسهم ثائر : أراد بها نظراته النافذة الثائرة .

أَصَبْتُ بِهِ مِنْ غِرَّةِ الدَّهْرِ (١) فُرْصَةً
فَبَادَرْتُهَا عِلْماً بِعَاقِبَةِ الدَّهْرِ

وَلَهُ :

أَفْدِي الَّذِي عَارِضَا خَدَّيْهِ لَمْ يَدَعَا
إِذْ أَعْرَضَا جَوْهَراً مِنِّي وَلَا عَرَضَا (٢)
وَلَمْ يَزَلْ مُمْرِضِي تَمْرِيضُ مُقْلَتِهِ
حَتَّى ثَنَانِي عَلَى فَرْشِ الضَّنَى حَرَضَا (٣)
قَالَ الْوُشَاةُ إِلَى كَمْ ذَا الْغَرَامُ بِهِ ؟
فَقُلْتُ حَتَّى أَرَى مِنْ حُسْنِهِ عِوَضَا
قَالُوا فَقَدْ كُنْتَ ذَا صَبْرٍ تَعُوذُ بِهِ
فَقُلْتُ شَرَّدَهُ عَنِّي الْهَوَى فَمَضَى (٤)

وَلَهُ :

إِنْ قَدَّمَ الْحَظُّ قَوْماً مَا لَهُمْ قَدَمٌ
فِي فَضْلِ عِلْمٍ وَلَا حَزْمٍ وَلَا جَلَدِ
فَهٰكَذَا الْفَلَكُ الْعُلْوِيُّ أَنْجُمُهُ
تَقَدَّمَ الثَّوْرُ فِيهَا رُتْبَةَ الْأَسَدِ (٥)

---

(١) أى غفلته (٢) عارضا خديه : جانباهما عرضا ، يقول : لم يبق منى شىء بسبب إعراضه عنى (٣) يقول : ولم يزل تمريض عينه وفتورها ممرضا لى حتى أورثنى المرض المعاود والهلاك (٤) أى تعتصم به وتلتجىء إليه ، وشرده : طرده ، وقوله فمضى : أى فذهب صبرى (٥) الثور : برج فى السماء وكذا الأسد ، وتقدم الثور على الأسد فى الفلك سلوى لمن تقدمه من هو أقل منه .

وَلَهُ :

لَمَّا بَدَا يَفْتِنُ الْأَلْبَابَ رُؤْيَتُهُ
أَبْدَيْتُ مِنْ حُبِّهِ مَا كُنْتُ أُخْفِيهِ
وَبَانَ عُذْرِي لِعُذَّالِي فَكُلُّهُمُ إِلَىَّ مُعْتَذِرٌ مِنْ عَذْلِهِ فِيهِ
لَكِنْ سَكِرْتُ بِرَاحٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ
فَمَا أَفَقْتُ بِغَيْرِ الرَّاحِ مِنْ فِيهِ

قَالَ : وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ بِشْرَانَ إِجَازَةَ هَذَا الْبَيْتِ (١) :

لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ وَجْدِي عَلَيْكَا
وَاشْتِكَائِي شَوْقِي إِلَيْكَ إِلَيْكَا (٢)

فَقَالَ :

وَنُزُولُ الْمَشِيبِ قَبْلَ أَوَانِ الشَّيْـ
ـبِ فِي عَارِضَيَّ مِنْ عَارِضَيْكَا (٣)
وَحَيَاتِي لَدَيْكَ فِي قَبْضَةِ الْأُسْدِ
فَكُنْ حَافِظًا حَيَاتِي لَدَيْكَا
وَعَلَيْكَ اعْتَمَدْتُ فِي حِفْظِ عَهْدِي
فَارْعَ لِي حُرْمَةَ اعْتِمَادِي عَلَيْكَا

---

(١) الاجازة فى الشعر : أن يزيد الشاعر إلى كلام غيره بعد فراغه منه (٢) إليك الأولى متعلقة بشوق ، والثانية متعلقة باشتكائى (٣) فى عارضى متعلق بنزول ، وقوله من عارضيكا : أى من تأثير عارضيك أى خديك ، متعلق بمحذوف خبر لنزول .

نَاظِرِى نَاظِرٌ إِلَى جَنَّةٍ مِنْـ

ـكَ وَقَلْبِى فِى النَّارِ مِنْ نَاظِرَيْـكَا[١]

نقلتُ من خطّ خميسٍ الْحَوْزِىِّ قَالَ : قَالَ قاضِى الْقُضَاةِ أبو الفرجِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبيدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ قاضِى الْبَصْرَةِ قَالَ : اجْتَمَعْتُ مع أَبِى غالِبِ بْنِ بُشْرانَ فِى جُمادَى الْأُولَى سَنَة سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِواسِطَ فَسأَلْتُهُ أَوَّلاً عَنْ سَبَبِ تَجَنُّبِهِ الانْتِسَابَ إِلَى ابْنِ بُشْرَانَ وَهُوَ بِهِ مَشْهُورٌ فَقَالَ : هُوَ جَدِّى لِأُمِّى ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ ابْنِ بُشْرَانَ الْمُحَدِّثِ الَّذِى كَانَ بِبَغْدَادَ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : مَوْلِدِى فِى سَنَةِ ثَمانِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ . قَالَ الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَفَةَ : وَسَأَلْتُهُ يَعْنِى خَمِيسَ بْنَ عَلِىٍّ الْحَوْزِىَّ أَبَا الْكَرَمِ عَنْ أَبِى غَالِبٍ النَّحْوِىِّ فَقَالَ : هُوَ مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ يُعْرَفُ بِابْنِ الْخَالَةِ أَصْلُهُ مِنْ نَهْرِ سَابِسَ[٢] يُنْسَبُ إِلَى خَالِهِ ابْنِ بُشْرَانَ وَكَانَ أَحَدَ الْأَعْيَانِ ، قَدِمَ وَاسِطَ فَجَالَسَ ابْنَ الْجَلَّابِ وَابْنَ دِينَارٍ وَتَخَصَّصَ بِابْنِ كَرْوَانَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ وَلَازَمَ حَلْقَةَ أَبِى إِسْحَاقَ الرِّفَاعِىِّ صَاحِبِ السِّيرَافِىِّ وَكَانَ يَقُولُ : قَرَأْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ أَلْفَ دِيوَانٍ ، وَكَانَ مُكْثِرًا حَسَنَ الْمُحَاضَرَةِ مَلِيحَ الْعَارِضَةِ[٣]

---

(١) إذ عيونك تثير فى قلبي لهيب الشوق وحرارة الهيام . (٢) فوق واسط بيوم عليه قرى (٣) العارضة : هى ما يبدو عند الضحك والبيان والسن .

إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ أَحَدٌ بِوَاسِطَ وَلَمْ يَبْرَعْ بِهِ أَحَدٌ فِي الْأَدَبِ، وَكَانَ جَيِّدَ الشِّعْرِ مَعَ ذَلِكَ، رَأَيْنَا فِي كُتُبِهِ بَعْدَهُ خُطُوطَ أَشْيَاخٍ عِدَّةٍ بِكُتُبٍ كَثِيرَةٍ فِي الْأَدَبِ وَغَيْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُعْتَزِلِيًّا وَشَهِدَ عِنْدَ إِسْمَاعِيلَ قَاضِي وَاسِطَ فِي آخِرِ شَوْطِهِ (١) وَذَكَرَ وَفَاتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ . وَمِنْ شِعْرِهِ فِي أَمْرَدَ الْتَحَى (٢) :

قَالُوا الْتَحَى مَنْ قَدْ بَرَاكَ صُدُودُهُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ عَنْكَ يُفَرَّجُ (٣)
فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي تَعَشَّقْتُ رَوْضَةً
بِهَا نَرْجِسٌ غَضٌّ وَوَرْدٌ مُضَرَّجُ (٤)
وَقَدْ زَادَ فِيهَا بَعْدَ ذَاكَ بَنَفْسَجٌ
أَأَتْرُكُهَا إِذْ زَادَ فِيهَا بَنَفْسَجُ ؟

وَلَهُ

طَلَبْتُ صَدِيقًا فِي الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
فَأَعْيَا طِلَابِي أَنْ أُصِيبَ صَدِيقَا (٥)
بَلَى مَنْ تَسَمَّى بِالصَّدِيقِ مَجَازَةً (٦)
وَلَمْ يَكُ فِي حِفْظِ الْوِدَادِ صَدُوقَا

---

(١) أى فى آخر حياته (٢) أى بدت لحيته ونبتت (٣) أى يكشف ما نزل من الغم (٤) غض : طرى ، ورد مضرج : محمر كأنما ضرج بالدم (٥) فأعيا : أعجز ، وفاعله المصدر المنسبك من أن أصيب صديقا ، وطلابى مفعول به بمعنى ما أطلبه وهو فى الأصل مصدر طالبه (٦) أى على جهة المجاز دون الحقيقة .

وَطَلَّقْتُ وُدَّ الْعَالَمِينَ صَرِيمَةً
وَأَصْبَحْتُ مِنْ أَسْرِ الْحِفَاظِ طَلِيقَا[١]

وَمِنْ مُسْتَحْسَنِ قَوْلِهِ فِى الشَّيْبِ :

وَقَائِلَةٍ إِذْ رَاعَهَا شَيْبُ مَفْرِقِى
وَفَوْدَىَّ مَا هَذَا جُعِلْتُ لَكَ الْفِدَا ؟
تُرَاهُ الَّذِى خُبِّرْتَ قِدْماً بِأَنَّهُ
يُصَيِّرُ أَهْلَ الْوُدِّ فِى صُورَةِ الْعِدَا ؟
لَقَدْ رَاعَنِى حَتَّى تَخَيَّلْتُ أَنَّهُ
وَحَاشَاكَ مِمَّا قُلْتُهُ حَادِثُ الرَّدَى
فَقُلْتُ لَهَا بَلْ رَوْضَةٌ غَاضَ مَاؤُهَا
وَنَبْتٌ أَنِيقٌ حَالَ إِذْ بَلَغَ الْمَدَى[٢]
وَإِنْ عِشْتِ لَاقَيْتِ الَّذِى قَدْ لَقِيتُهُ
وَأَيْقَنْتِ أَنِّى لَمْ أَكُنْ فِيهِ أَوْحَدَا
وَكُلُّ امْرِىءٍ إِنْ عَاشَ لِلشَّيْبِ عُرْضَةٌ
وَإِنْ عَفَّ عَنْهُ الْيَوْمَ جَازَ بِهِ غَدَا

قَالَ : وَكَانَ لِابْنِ بُشْرَانَ كُتُبٌ حَسَنَةٌ كَثِيرَةٌ وَقَفَهَا عَلَى

---

(١) صريمة : قطيعة ، ومن أسر الحفاظ : أى من قيد المحافظة على ودهم ، وطليقا : مطلقا لايقيدنى شىء (٢) غاض ماؤها : جف ونضب ، ونبت أنيق : حسن معجب ، وحال : تحول وتغير ، والمدى : الغاية والنهاية .

مَشْهَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَذَهَبَتْ عَلَى طُولِ الْمَدَى. وَسُئِلَ ابْنُ بُشْرَانَ عَنْ مُقَدَّمَةِ الْعَسْكَرِ وَمُقَدَّمَةِ الْكِتَابِ فَقَالَ: أَمَّا مُقَدِّمَةُ الْعَسْكَرِ فَلَا خِلَافَ فِيهِ أَنَّهُ بِكَسْرِ الدَّالِ، وَأَمَّا مُقَدَّمَةُ الْكِتَابِ فَيَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ، وَالْوَجْهُ حَمْلُهُ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْعَسْكَرِ.

وَلَهُ:

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي مَا فِي وَزَارَتِهِ
لِمَنْ يَلُوذُ بِهِ ظِلٌّ وَلَا شَرَفُ (١)
حَتَّامَ وَيْلِي أَنَا وَقْفٌ عَلَيْكَ وَلِي
إِلَى سِوَاكَ مِنَ الْأَمْجَادِ مُنْصَرَفُ (٢)؟
كَأَنَّنِي فَرَسُ الشِّطْرَنْجِ لَيْسَ لَهُ
فِي ظِلِّ صَاحِبِهِ مَاءٌ وَلَا عَلَفُ

﴿ ٧٢ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ * ﴾

محمد بن أحمد البارودي

ابْنِ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ الْبَارُودِيُّ النَّحْوِيُّ أَبُو يَعْقُوبَ. قَالَ أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْزُوقٍ الْأَنْمَاطِيُّ الْمِصْرِيُّ: مَاتَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ

(١) أي حمى يحميه ولا تشريف يناله (٢) حتام: مركبة من حتى الغائية وما الاستفهامية، أي إلى أي شيء، وويلي: أي عذابي، وأنا وقف عليك الخ: أي موقوف على خدمتك ولي انصراف إلى غيرك من الأمجاد جمع ماجد: وهو ذو المجد والحسن الخلق السمح.

(*) ترجم له في بغية الوعاة

لِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

﴿ ٧٣ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ * ﴾

محمد بن أحمد الصفار

أَبُو بَكْرٍ الْأَدِيبُ الْأَصْبَهَانِيُّ ، ذَكَرَهُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ مَنْدَةَ فَقَالَ : كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى (١) الْحَدِيثِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ يَعِظُ النَّاسَ مُدَّةً ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا بَارِعًا فِي الْأَدَبِ حَسَنَ الْخُلُقِ مَائِلًا إِلَى الْخَيْرَاتِ . مَاتَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

﴿ ٧٤ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَعْمُورِيُّ الْبَيْهَقِيُّ الْأَدِيبُ * ﴾

محمد بن أحمد البيهقى

الْفَيْلَسُوفُ ، مَاتَ مَقْتُولًا فِي شُهُورِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، كَذَا ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ وَقَالَ : كَانَ مِنْ عِلْيَةِ الْحُكَمَاءِ وَالْأَئِمَّةِ ، وَقَدْ أَلْقَتِ الْعُلُومُ إِلَيْهِ أَطْرَافَ الْأَزِمَّةِ (٢) ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى أَصْبَهَانَ فِي خِدْمَةِ تَاجِ الْمُلْكِ الَّذِي كَانَ وَزِيرًا بَعْدَ نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَكَانَ

---

(١) جاء بهامش الأصل : « لعله سقط أهل أوادور » ولا داعية إلى ذلك ، فقد يفسد المراد وهو التحدث لا الحديث بمعنى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) يريد أن يقول : إنه أمسك بأعنة العلوم فانقادت له وتمكن منها

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ بغداد ج أول

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ٣

قَدْ نَظَرَ فِي زَائِرْجَةِ (١) طَالِعَهُ فَرَأَى مِنَ التَّسْيِيرَاتِ إِلَى الْقَوَاطِعِ وَشُعَاعِ النُّحُوسِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْخَوْفِ وَالْوَجَلِ، فَأَغْلَقَ بَابَ دَارِهِ عَلَيْهِ فَأُخْرِجَ وَقُتِلَ وَأُحْرِقَ عَلَى سَبِيلِ الْغَلَطِ. قَضَاءُ اللهِ لَيْسَ لَهُ مَرَدٌّ. وَمِنْ مَنْظُومِهِ:

دَعَاكَ الرَّبِيعُ وَأَيَّامُهُ ... أَلَا فَاسْتَمِعْ قَوْلَ دَاعٍ نَصُوحْ
يَقُولُ اشْرَبِ الرَّاحَ وَرْدِيَّةً ... فَفِي الرَّاحِ يَاصَاحِ رَوْحٌ وَرُوحْ (٢)
وَغَنَّى الْبَلَابِلُ عِنْدَ الصَّبَاحِ ... لِأَهْلِ الشَّرَابِ: الصَّبُوحَ (٣) الصَّبُوحْ

قَالَ: وَمِنْ تَصَانِيفِهِ: كِتَابٌ فِي التَّصْرِيفِ مُجَدْوَلٌ، كِتَابٌ فِي النَّحْوِ، كِتَابٌ فِي الْمَخْرُوطَاتِ وَالْهَنْدَسَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿ ٧٥ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ مَنْصُورِ * ﴾

محمد بن أحمد الدقاق

ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الدَّقَّاقُ، أَبُو بَكْرٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْخَاضِبَةِ الْحَافِظُ الْعَالِمُ، مَاتَ فِيمَا نَقَلْتُ مِنَ الْمُذَيَّلِ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ

---

(١) أى زيج: وهو كتاب تعرف به أحوال الكواكب ويؤخذ منه التقويم. والطالع عند أصحاب الفأل: مايتفاءل به من السعد والنحس بطلوع الكواكب

(٢) روح: راحة، والروح: مابه الحياة (٣) الصبوح الصبوح. منصوبان على الاغراء: أى اشربوا الصبوح وهو شرب الغداة

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته هذه

السَّمْعَانِيُّ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْأَجَمَةِ الْمُتَّصِلَةِ بِبَابِ أَبْرَزَ . قَالَ أَبُو سَعْدٍ : وَكَانَ حَافِظًا فَهِمًا دَرَسَ الْقُرْآنَ وَتَفَقَّهَ زَمَانًا وَقَرَأَ الْحَدِيثَ فَأَكْثَرَ ، وَكَانَ مُفِيدَ بَغْدَادَ وَالْمُشَارَ إِلَيْهِ فِي الْقِرَاءَةِ الصَّحِيحَةِ وَالنَّقْلِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ صَالِحًا وَرِعًا دَيِّنًا خَيِّرًا سَمِعَ بِمَكَّةَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَأَكْثَرَ بِبَغْدَادَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ ابْنِ عَلِيٍّ الْخَطِيبِ ، وَأَصْحَابِ أَبِي طَاهِرٍ الْمُخَلِّصِ ، وَأَبِي حَفْصٍ الْكَتَّانِيِّ ، وَعِيسَى بْنِ عَلِيٍّ الْوَزِيرِ وَطَبَقَتِهِمْ . وَأَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ وَقْتِ الرِّوَايَةِ ، سَمِعَ مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَايِخِنَا وَسَمِعُوا بِقِرَاءَتِهِ وَإِفَادَتِهِ الْكَثِيرَ ، وَرَأَيْتُهُمْ مُجْمِعِينَ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالْمَدْحِ لَهُ :

وَالنَّاسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَمْدَحُوا رَجُلًا
حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانِ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَلَاءِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ الْحَافِظَ (١) : ذَكَرَ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي الدَّقَّاقَ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْخَاضِبَةِ يَقُولُ : لَمَّا كَانَتْ سَنَةُ الْغَرَقِ (٢) وَقَعَتْ دَارِي عَلَى قُمَاشِي

(١) بالهامش « يعنى يقول » (٢) بالهامش « يعنى سنة ست وستين وأربعمائة »

وَكُتُبِي وَكَانَ لِي عَائِلَةٌ : الْوَالِدَةُ وَالزَّوْجَةُ وَالْبِنْتُ ، فَكُنْتُ أُوَرِّقُ النَّاسَ (١) وَأُنْفِقُ عَلَى الْأَهْلِ ، فَأَعْرِفُ أَنِّي كَتَبْتُ صَحِيحَ مُسْلِمٍ فِي تِلْكَ السَّنَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ ، وَمُنَادٍ يُنَادِي : ابْنَ الْخَاضِبَةِ ، فَأُحْضِرْتُ فَقِيلَ لِي : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ الْبَابَ وَصِرْتُ مِنْ دَاخِلٍ اسْتَلْقَيْتُ عَلَى قَفَايَ وَوَضَعْتُ إِحْدَى رِجْلَيَّ عَلَى الْأُخْرَى وَقُلْتُ : آهْ ، اسْتَرَحْتُ وَاللهِ مِنَ النَّسْخِ .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : وَسَمِعْتُ أَبَا الْمَنَاقِبِ مُحَمَّدَ بْنَ حَمْزَةَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْعَلَوِيَّ بِهَمَذَانَ مُذَاكَرَةً يَقُولُ : ذَكَرَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَاضِبَةِ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي قَاعِداً يَنْسَخُ شَيْئاً مِنَ الْحَدِيثِ بَعْدَ أَنْ مَضَى قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ : وَكُنْتُ ضَيِّقَ الْيَدِ فَخَرَجَتْ فَأْرَةٌ كَبِيرَةٌ وَجَعَلَتْ تَعْدُو فِي الْبَيْتِ وَإِذَا بَعْدَ سَاعَةٍ قَدْ خَرَجَتْ أُخْرَى وَجَعَلَا يَلْعَبَانِ بَيْنَ يَدَيَّ وَيَتَقَافَزَانِ إِلَى أَنْ دَنَوَا مِنْ ضَوْءِ السِّرَاجِ ، وَتَقَدَّمَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَيَّ وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيَّ طَاسَةٌ فَأَكْبَبْتُهَا عَلَيْهَا (٢) ، فَجَرَى صَاحِبُهَا (٣) فَدَخَلَ سَرَبَهُ ، وَإِذَا بَعْدَ سَاعَةٍ قَدْ خَرَجَ وَفِي فِيهِ دِينَارٌ صَحِيحٌ وَتَرَكَهُ

---

(١) أى أكتب لهم وأنسخ (٢) أى أطبقتها فوقها (٣) بالأصل « فجاءت صاحبتها » وهو لا يتفق مع السياق بعد ، وقد جاء بهامش الأصل هنا « الضمائر الواردة بعد ذلك كلها بالتذكير خلافاً لما يقتضيه السياق المتقدم ، ولعل الأصل كان فيه : « ودخل صاحبها سربه » والأقرب ما أصلحنا به وهو « فجرى صاحبها » .

بين يدي فنظرت إليه وسكت واشتغلت بالنسخ ومكث ساعة ينظر إلي فرجع وجاء بدينار آخر، ومكث ساعة أخرى وأنا ساكت أنظر وأنسخ، فكان يمضي ويجيء إلى أن جاء بأربعة دنانير أو خمسة «الشك مني» وقعد زمانا طويلا أطول من كل نوبة، ورجع ودخل سربه وخرج وإذا في فيه جليدة كانت فيها الدنانير وتركها فوق الدنانير، فعرفت أنه ما بقي معه شيء، فرفعت الطاسة فقفزا فدخلا البيت وأخذت الدنانير وأنفقتها في مهم لي، وكان في كل دينار دينار وربع.

قال السمعاني: حكى أبو المناقب العلوي هذا أو معناه، فإني كتبت من حفظي والعهدة عليه فيما حكى وروى. فإني ذاكرت بهذه الحكاية بعض أهل العلم بدمشق فنسبها إلى غير ابن الخاضبة والله أعلم.

قال: وسمعت أبا الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي يقول: سمعت أبا بكر بن الخاضبة يحكي هذه الحكاية عن مؤدبه أبي طالب المعروف بابن الدلو، كان يسكن بنهر طابق وكان رجلا صالحا. وحكى عنه حكايات أخر أيضا في إجابة الدعاء، ولم يحكها ابن الخاضبة عن

نَفْسه ، فذهبتْ(١) عَلَى أَبِي المَنَاقِبِ وَلَمْ يَكُنْ ضَابِطًا ، كَانَ مُتَسَاهِلًا فِي الرِّوَايَةِ .

قَالَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ : وَهَذِهِ حِكَايَةٌ عَلَى مَا يُرَى مِنَ الاسْتِحَالَةِ ، وَقَدْ أَوْرَدْتُهَا أَنَا لِثِقَةِ مُورِدِهَا وَتَحَرِّيهِ(٢) فِي الرِّوَايَةِ ، فَإِنْ صَحَّتْ فَقَدْ فُزْتَ بِحَظٍّ مِنَ الْعَجَبِ ، وَإِلَّا فَاجْعَلْهَا كَالسَّمَرِ تَسْتَمْتِعُ بِهِ .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : وَأَنْشَدَنِي أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَنَوِيُّ ، أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي الدَّقَّاقُ ، أَنْشَدَنَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ قُلَيَّةَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ :

كَتَبْتُ إِلَيْكَ إِلَى الْكِتَابْ ... وَأَوْدَعْتُهُ مِنْكَ حُسْنَ الْخِطَابْ
لِتَقْرَأَهُ أَنْتَ لَا بَلْ أَنَا ... وَيَنْفُذُ مِنِّي إِلَى الْجَوَابْ

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : إِنَّمَا ذَكَرْتُ ابْنَ الْخَاضِبَةِ فِي كِتَابِي هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ اشْتَهَرَ بِالْأَدَبِ لِأَشْيَاءَ مِنْهَا : أَنَّهُ كَانَ قَارِئًا وَرَّاقًا ، وَلَهُ حِكَايَاتٌ مُمْتِعَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَارِي مِنَ الْأَدَبِ بِالْكُلِّيَّةِ .

﴿ ٧٦ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَامِدٍ الْكَرْكَانْجِيُّ(٣) (٥) * ﴾

أَبُو نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ ، صَاحِبُ أَبِي الْحُسَيْنِ محمد بن أحمد الكركانجى

(١) بالأصل «فذهب» تحريف كما نبه بهامشه (٢) أى طلبه الأحرى والأحق والأولى (٣) نسبة إلى كركانج : اسم لقصبة بلاد خوارزم ومدينتها العظمى

(٥) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته هذه

الدَّهَّانِ. مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي الْمُذَيَّلِ عَنِ ابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَرْكَانْجِيِّ قَالَ: تُوُفِّيَ الإِمَامُ الْوَالِدُ فِي ثَانِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَهُوَ ابْنُ نَيِّفٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَمَوْلِدُهُ فِي حُدُودِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ بِمَرْوٍ.

قَالَ: وَكَانَ إِمَامًا فَاضِلًا فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ صَاحِبَ التَّصَانِيفِ الْحَسَنَةِ فِيهَا، مِثْلُ كِتَابِ الْمُعَوَّلِ، وَكِتَابِ التَّذْكِرَةِ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. سَافَرَ الْكَثِيرَ إِلَى الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ وَالسَّوَاحِلِ فِي طَلَبِ عِلْمِ الْقُرْآنِ وَالْقِرَاءَةِ عَلَى الْمَشَايِخِ إِلَى أَنْ صَارَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ وَفَرِيدَ دَهْرِهِ فِي فَنِّهِ، وَكَانَ مَعَ فَضْلِهِ زَاهِدًا وَرِعًا مُتَدَيِّنًا. قَالَ: حَكَى لِي بَعْضُ الْمَشَايِخِ أَنَّ أَبَا نَصْرٍ الْمُقْرِئَ الْمَرْوَزِيَّ قَالَ: غَرِقْتُ نَوْبَةً فِي الْبَحْرِ وَانْكَسَرَ الْمَرْكَبُ، فَكُنْتُ أَخُوضُ فِي الْمَاءِ وَتَلْعَبُ بِي الْأَمْوَاجُ، فَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ وَقَدْ زَالَتْ وَدَخَلَ وَقْتُ الظُّهْرِ، فَغُصْتُ فِي الْمَاءِ وَنَوَيْتُ أَدَاءَ فَرْضِ الظُّهْرِ وَأَنَا أَنْزِلُ فِي الْمَاءِ، وَشَرَعْتُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى حَسَبِ الْوَقْتِ، فَخَلَّصَنِي اللهُ تَعَالَى بِبَرَكَةِ ذَلِكَ. وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ: مِنْهُمْ بِمَرْوٍ عَلَى أُسْتَاذِهِ أَبِي الْحُسَيْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الدَّهَّانِ الْمُقْرِئِ، وَبِنَيْسَابُورَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَبَّازِيِّ،

وَأَبِي عُثْمَانَ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُعَدَّلِ ، وَبِبَغْدَادَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ حَفْصِ بْنِ الْحَمَامِيِّ ، وَذَكَرَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْمُقْرِئَ بِسَرْخَسَ يَقُولُ : سَمِعْتُ أُسْتَاذِي أَبَا نَصْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُقْرِئَ الْكُرْكَانْجِيَّ بِجِيرَنْجَ (١) يَسْأَلُ وَيَقُولُ : أَيْنَ فِي الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ مُتَّصِلَةٌ عَشَرَةُ أَحْرُفٍ ؟ فَأُفْحِمْنَا فَقَالَ : « لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ » ثُمَّ قَالَ : فَأَيْنَ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بَيْنَ سَبْعِ (٢) كَلِمَاتٍ ثَمَانُ نُونَاتٍ ؟ فَلَمْ نُحِرْ جَوَابًا فَقَالَ : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ » .

وَذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ بِإِسْنَادٍ آخَرَ أَنَّ أَبَا نَصْرٍ الْكُرْكَانْجِيَّ قَالَ : نِصْفُ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا » النُّونُ وَالْكَافُ مِنَ النِّصْفِ الْأَوَّلِ ، وَالرَّاءُ وَالْأَلِفُ مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي . قَالَ : وَسَمِعْتُ الْمُقْرِئَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْحَدَّادَ بِسَرْخَسَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْمُقْرِئَ أَبَا نَصْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْكُرْكَانْجِيَّ بِجِيرَنْجَ يَقُولُ : أَرَدْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى بَعْضِ الْقُرَّاءِ بِالشَّامِ بِرِوَايَةٍ وَقَعَتْ لَهُ عَالِيَةٍ فَامْتَنَعَ عَلَيَّ

(١) بليدة من نواحى مرو على نهرها (٢) كانت بالأصل أربع كلمات والصواب ما ذكرنا كما هو عد الآية المستشهد بها

ثُمَّ قَالَ لِي: تَقْرَأُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ عَشْراً وَتَدْفَعُ إِلَيَّ مِثْقَالاً مِنَ الفِضَّةِ، فَقَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْهُ شِئْتُ أَوْ أَبَيْتُ. قَالَ: فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى المُفَصَّلِ [1]، أَذِنَ لِي كُلَّ يَوْمٍ فِي قِرَاءَةِ سُورَةٍ كَامِلَةٍ، وَكُنْتُ أُرْسِلُ غِلْمَانِي فِي التِّجَارَةِ إِلَى الْبِلَادِ، وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ أَوْ سَنَةً حَتَّى خَتَمْتُ، وَاتَّفَقَ أَنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ خِلَافاً مِنْ جَوْدَةِ قِرَاءَتِي، فَلَمَّا قَرُبَ أَنْ أَخْتِمَ الْكِتَابَ جَمَعَ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ قَرَءُوا عَلَيْهِ فِي الْبِلَادِ القَرِيبَةِ مِنْهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَشْتَكَةً [2] قِيمَتُهَا دِينَارٌ أَحْمَرُ، وَفِيهَا مِنْ دِينَارَيْنِ إِلَى خَمْسَةٍ وَقَالَ لَهُمُ الْمُقْرِئُ: اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الشَّابَّ قَرَأَ عَلَيَّ الرِّوَايَةَ الْفُلَانِيَّةَ وَلَمْ أَحْتَجْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْهِ، وَوَزَنَ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِثْقَالاً مِنَ الْفِضَّةِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ حِرْصَهُ فِي الْقِرَاءَةِ مَعَ الْجَوْدَةِ. وَرَدَّ عَلَيَّ مَا كَانَ أَخَذَهُ مِنِّي وَدَفَعَ إِلَيَّ كُلَّ مَا حَمَلَهُ أَصْحَابُهُ مِنَ الشَّشَاتِكِ وَالذَّهَبِ فَامْتَنَعْتُ، فَأَظْهَرَ الْكَرَاهِيَةَ حَتَّى أَخَذْتُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ وَخَرَجْتُ مِنْ تِلْكَ الْبَلْدَةِ

---

(١) المفصل من القرآن: من سورة الحجرات إلى آخره فى الأصح، وقيل غير ذلك، وسمى بذلك لكثرة الفصول فى سوره أو لقلة المنسوخ فيه (٢) جاء بهامش الأصل « وردت هذه الكلمة فى عيون الأنباء » ج ١ : ٢١٧ « وأخرج من ششتكة فى كه دواء » والمعنى « كيس »

٧٧ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الأَبِيوَرْدِيُّ الكُوفَنِيُّ (١) *

محمد بن أحمد الابيوردى

أَحَدُ قُرَّاءِ أَبِيوَرْدَ. هُوَ أَبُو المُظَفَّرِ (٢) مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي العَبَّاسِ مُحَمَّدِ الإِمَامِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الحَسَنِ أَبِي الفِتْيَانِ بْنِ أَبِي مَرْفُوعَةَ مَنْصُورِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الأَصْغَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي العَبَّاسِ عُثْمَانَ بْنِ عَنْبَسَةَ بْنِ (٣) عُتْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَنْبَسَةَ (٤) بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. نَقَلْتُ هَذَا النَّسَبَ مِنْ تَارِيخٍ جَمَعَهُ مَنُوجِهْرُ بْنُ أَسْفَرْسِيَانَ بْنِ مَنُوجِهْرَ، ابْتَدَأَهُ فِيمَا ذَكَرَ لِي فِي أَوَّلِهِ مِنْ بَعْدِ مَا ذَكَرَهُ الوَزِيرُ أَبُو شُجَاعٍ فَقَالَ فِيهِ عِنْدَ ذِكْرِ الأَبِيوَرْدِيِّ: حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَبِيوَرْدَ وَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ هَذَا النَّسَبُ، وَأَنَّهُ كَانَ بِبَغْدَادَ فِي خِدْمَةِ مُؤَيَّدِ المُلْكِ ابْنِ نِظَامِ المُلْكِ، فَلَمَّا عَادَى مُؤَيَّدُ المُلْكِ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ بْنَ مَنُوجِهْرَ أَلْزَمَهُ أَنْ يَهْجُوَهُ فَفَعَلَ، فَسَعَى عَمِيدُ الدَّوْلَةِ إِلَى الخَلِيفَةِ بِأَنَّهُ قَدْ هَجَاكَ وَمَدَحَ صَاحِبَ مِصْرَ، فَأُبِيحَ دَمُهُ فَهَرَبَ إِلَى هَمَذَانَ

---

(١) أبيورد: مدينة بخراسان بين سرخس ونسا وبيئة رديئة الماء يكثر فيها خروج العرق، وكوفن: قرية من قراها على ستة فراسخ منها (٢) بالأصل «المظر» تحريف.
(٣) سقطت كلمة ابن هذه من الأصل فأعدناها إليه (٤) كانت فى الأصل «عتبة» خطأ والصواب عنبسة كما أصلحنا وكما يتضح من بيته فى رثاء الحسين ومن حديث المقدسى عنه، وكلامنا فى الترجمة بعد.

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى هذه

وَاخْتَلَقَ هذَا النَّسَبَ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ مَا قُرِفَ بِهِ مِنْ مَدْحِ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى كُتُبِهِ « الْمُعَاوِىُّ » وَكَانَ فَاضِلًا فِى الْعَرَبِيَّةِ وَالْعُلُومِ الْأَدَبِيَّةِ نَسَّابَةً لَيْسَ مِثْلَهُ ، مُتَكَبِّرًا عَظِيمًا . وَسَمِعَ سُنْقُرُ كُفْجَكُ بِخَبَرِهِ فَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ طُغْرَائِىَّ الْمَلِكِ أَحْمَدَ فَمَاتَ أَحْمَدُ فَرَجَعَ إِلَى أَصْفَهَانَ بِحَالٍ سَيِّئَةٍ ، وَبَقِىَ سِنِينَ يُعَلِّمُ أَوْلَادَ زَيْنِ الْمُلْكِ بُرْسُقَ ثُمَّ شَرَحَ سُنْقُرُ الْكُفْجَكُ لِلسُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ ذلِكَ وَأَعْطَاهُ أَشْرَافَ الْمَمْلَكَةِ [1] ، وَكَانَ يَدْخُلُ مَعَ الْخَطِيرِ وَأَبِى إِسْمَاعِيلَ وَالْمُعِينِ وَشَرَفِ الدِّينِ ، فَتُوُفِّىَ فَجْأَةً بِأَصْفَهَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِمَائَةٍ وَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ مَنْدَةَ . وَيُقَالُ : بَلْ سَقَاهُ الْخَطِيرُ وَدُفِنَ بِبَابِ دَرَّةَ [2] ، وَكَانَ كَبِيرَ النَّفْسِ عَظِيمَ الْهِمَّةِ ، لَمْ يَسْأَلْ أَحَدًا شَيْئًا قَطُّ مَعَ الْحَاجَةِ وَالْمُضَايَقَةِ ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ فِى الصَّلَاةِ « اللَّهُمَّ مَلِّكْنِى مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا » وَرَثَى الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَصِيدَةٍ قَالَ فِيهَا وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ :

فَجَدِّى وَهُوَ عَنْبَسَةُ بْنُ صَخْرٍ بَرِىءٌ مِنْ يَزِيدَ وَمِنْ زِيَادِ

قَالَ السَّمْعَانِىُّ : قَالَ شِيرَوَيْهِ : سَمِعَ الْأَبِيوَرْدِىُّ إِسْمَاعِيلَ ابْنَ مَسْعَدَةَ الْجُرْجَانِىَّ ، وَعَبْدَ الْوَهَّابِ بْنَ [3] مُحَمَّدِ بْنِ الشَّهِيدِ ،

(١) يريد الولاية على أشرافها كما سيأتى بعد (٢) بهامش الأصل « كذا بالأصل »

(٣) بهامش الأصل « سقط ابن فذكرناه » .

وَأَبَا بَكْرِ بْنَ خَلَفٍ الشِّيرَازِيَّ حَدِيثاً وَاحِداً، وَأَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ ابْنَ أَحْمَدَ السَّمَرْقَنْدِيَّ وَعَبْدَ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيَّ النَّحْوِيَّ.

قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ: عَنْبَسَةُ الْأَصْغَرُ بْنُ عُتْبَةَ الْأَشْرَافِ ابْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَنْبَسَةَ الْأَكْبَرِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ الْأَصْغَرُ هُوَ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ الْأَبِيوَرْدِيُّ، وَمُعَاوِيَةُ أَوَّلُ مَنْ تَدَيَّرَ كُوفَنَ[1] وَهِيَ قَصَبَةٌ[2] بَيْنَ نَسَا وَأَبِيوَرْدَ، وَنَقَلَهُ إِلَيْهَا حَبَّانُ بْنُ حَكِيمٍ الْعَابِدِيُّ. وَكَتَبَ مَرَّةً قِصَّةً إِلَى الْخَلِيفَةِ وَكَتَبَ عَلَى رَأْسِهَا الْخَادِمُ الْمُعَاوِيُّ، يَعْنِي مُعَاوِيَةَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ لَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، فَكَرِهَ الْخَلِيفَةُ النِّسْبَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَاسْتَبْشَعَهَا، فَأَمَرَ بِكَشْطِ الْمِيمِ وَرَدَّ الْقِصَّةِ، فَبَقِيَتِ الْخَادِمُ الْعَاوِيُّ.

وَحَدَّثَ السَّمْعَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ: كَانَ السُّلْطَانُ نَازِلًا عَلَى بَابِ هَمَذَانَ فَرَأَيْتُ الْأَدِيبَ الْأَبِيوَرْدِيَّ رَاجِعاً مِنْ عِنْدِهِمْ فَقُلْتُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ ارْتِجَالًا:

رَكِبْتُ طِرْفِي فَأَذْرَى دَمْعَهُ أَسَفاً
عِنْدَ انْصِرَافِي مِنْهُمْ مُضْمِرَ الْيَاسِ
وَقَالَ حَتَّامَ تُؤْذِينِي فَإِنْ سَنَحَتْ
جَوَائِحُ[3] لَكَ فَارْكَبْنِي إِلَى النَّاسِ؟

(١) اتخذها دارا (٢) أي قرية (٣) سنحت جوائح: جرى فألك باليمن

وَحَدَّثَ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الْعِجْلِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْبَدِيعِ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَبِيوَرْدِيَّ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ مَلِّكْنِي مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا» فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الدُّعَاءُ؟ فَكَتَبَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

يُعَيِّرُنِي أَخُو عِجْلٍ إِبَائِي ... عَلَى عُدْمِي وَتِيهِي وَاخْتِيَالِي
وَيَعْلَمُ أَنَّنِي فَرَطٌ (١) لِحَيٍّ ... حَمَوْا خُطَطَ الْمَعَالِي بِالْعَوَالِي
فَلَسْتُ بِحَاصِنٍ إِنْ لَمْ أُزِرْهَا ... عَلَى نَهَلٍ شَبَا الْأَسَلِ الطِّوَالِ (٢)
وَإِنْ بَلَغَ الرِّجَالُ مَدَايَ فِيمَا ... أُحَاوِلُهُ فَلَسْتُ مِنَ الرِّجَالِ

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْعِجْلِيُّ: وَكُنْتُ يَوْمًا مُتَكَسِّرًا فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ فَعَضَدَنِي الْأَبِيوَرْدِيُّ (٣) وَعَاوَنَنِي عَلَى الْقِيَامِ ثُمَّ قَالَ: أُمَوِيًّا يَعْضُدُ عِجْلِيًّا كَفَى بِذَلِكَ شَرَفًا. وَقَدْ وَلِيَ الْأَبِيوَرْدِيُّ خَزْنَ خِزَانَةِ دَارِ الْكُتُبِ بِالنِّظَامِيَّةِ الَّتِي بِبَغْدَادَ بَعْدَ الْقَاضِي أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَسْفَرَايِينِيِّ (٤)، وَكَانَتْ وَفَاةُ الْأَسْفَرَايِينِيِّ هَذَا فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكَانَ أَبُو يُوسُفَ الْأَسْفَرَايِينِيُّ أَيْضًا شَاعِرًا أَدِيبًا وَهُوَ الْقَائِلُ فِي بَهَاءِ الدَّوْلَةِ مَنْصُورِ بْنِ مَزْيَدَ صَاحِبِ حِلَّةِ بَنِي مَزْيَدَ (٥):

---

(١) الفرط بالتحريك: المتقدم قومه إلى الماء للواحد والجميع (٢) الحاصن: ذو الحصن والعزة، والنهل: أول الشرب، وشبا: حد، والأسل: الرماح (٣) عضده كنصره وزنا ومعنى وكضربه: قطعه، والأول المعنى (٤) كانت بالأصل الأسفرائنى تحريف (٥) هى مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد.

أَيَا شَجَرَاتِ النِّيـلِ مَنْ يَضْمَنُ الْقِرَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ جَارُ الفُرَاتِ ابْنَ مَزْيَدِ
إِذَا غَابَ مَنْصُورٌ فَلَا النُّورُ سَاطِعٌ
وَلَا الصُّبْحُ بَسَّامٌ وَلَا النَّجْمُ مُهْتَدِي

وَحَدَّثَ العِمَادُ مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدٍ الأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ خَرِيدَةِ الْقَصْرِ : الأَبِيوَرْدِيُّ تَوَلَّى فِي آخِرِ عُمُرِهِ أَشْرَافَ مَمْلَكَةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهَ فَسَقَوْهُ السَّمَّ وَهُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ سَرِيرِ السُّلْطَانِ فَخَانَتْهُ رِجْلَاهُ فَسَقَطَ وَحُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَالَ :

وَقَفْنَا بِحَيْثُ الْعَدْلُ مَدَّ رُوَاقَهُ
وَخَيَّمَ فِي أَرْجَائِهِ (١) الْجُودُ وَالْبَاسُ
وَفَوْقَ السَّرِيرِ ابْنُ الْمُلُوكِ مُحَمَّدٌ
تَخِرُّ لَهُ مِنْ فَرْطِ هَيْبَتِهِ النَّاسُ
فَخَامَرَنِي مَا خَانَنِي قَدَمِي لَهُ
وَإِنْ رَدَّ عَنِّي نَفْرَةَ الْجَأْشِ إِينَاسُ (٢)
وَذَاكَ مَقَامٌ لَا نُوَفِّيهِ حَقَّهُ
إِذَا لَمْ يَنُبْ فِيهِ عَنِ الْقَدَمِ الرَّاسُ

(١) الرواق : بيت كالفسطاط ، أو سقف فى مقدم البيت ، وفى أرجائه : فى نواحيه

(٢) فخامرنى : فداخلنى ، والجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، والايناس : الملاطفة والائتلاف .

لَئِنْ عَثَرَتْ رِجْلِي فَلَيْسَ لِمِقْوَلِي
عِثَارٌ وَكَمْ زَلَّتْ أَفَاضِلُ أَكْيَاسُ(١)

قَالَ الْعِمَادُ الْأَصْبَهَانِيُّ: وَكَانَ — رَحِمَهُ اللهُ — عَفِيفَ الذَّيْلِ(٢) غَيْرَ طَفِيفِ الْكَيْلِ(٣)، صَائِمَ النَّهَارِ قَائِمَ اللَّيْلِ، مُتَبَحِّراً فِي الْأَدَبِ، خَبِيراً بِعِلْمِ النَّسَبِ، وَأَوْرَدَ لَهُ صَاحِبُ وِشَاحِ الدُّمْيَةِ فِيهِ:

مَنْ أَرْتَجِي وَإِلَى مَنْ يَنْتَهِي أَرَبِي
وَلَمْ أَطَأْ صَهَوَاتِ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ(٤)؟
يَا دَهْرُ هَبْنِيَ لَا أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ
مَا ظَلَّ مُنْتَهِساً شَكْوَى مِنَ النُّوَبِ(٥)
تَرَكْتَنِي بَيْنَ أَيْدِي النَّائِبَاتِ لَقًى(٦)
فَلَا عَلَى حَسَبِي تُبْقِي وَلَا نَسَبِي
يُرِيكَ وَجْهِي بَشَاشَاتِ الرِّضَا كَرَماً
وَالصَّدْرُ مُشْتَمِلٌ مِنِّي عَلَى الْغَضَبِ

(١) مقول: لسانى لأنه آلة القول، وقوله وكم زلت الخ: أى كثيراً مازلت، فكم خبرية، والأكياس: الظرفاء العقلاء الفطناء، جمع كيس (٢) كناية عن أنه لم يأت الفحشاء (٣) أى عادلا لا يطفف الكيل فلا يأخذ أزيد من حقه، ولا يعطى أقل مما عليه (٤) أربى: حاجتى، وصهوات الخيل: مقاعد الفرسان من ظهورها جمع صهوة، والشهب السبعة: الكواكب الساطعة (٥) منتهسا: متناولا، وما: مصدرية ظرفية، أى مدة أخذه منها وانتيابها له (٦) لقى بالتحريك مصدر بمعنى اسم المفعول: أى ملقياً مطروحا.

إِنْ هَزَّنِي الْيُسْرُ لَمْ أَنْهَضْ عَلَى مَرَحٍ
أَوْ مَسَّنِي الضُّرُّ لَمْ أَجْثِمْ عَلَى الكُعُبِ (١)

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ غِنَاهُ سَدُّ جَوْعَتِهِ
وَكُلُّ مَا يَقْتَنِيهِ نُهْزَةُ الْعَطَبِ (٢)

وَلَهُ :

خَلِيلَيَّ إِنَّ الْحُبَّ مَا تَعْرِفَانِهِ
فَلَا تُنْكِرَا أَنَّ الْحَنِينَ مِنَ الْوَجْدِ
أَحِنُّ وَلِلْأَنْضَاءِ بِالْغَوْرِ حَنَّةٌ
إِذَا ذَكَرَتْ أَوْطَانَهَا بِرُبَا نَجْدِ (٣)

وَلَهُ :

خَطَرَتْ لِذِكْرِكِ يَا أُمَيْمَةُ خَطْرَةٌ
بِالْقَلْبِ تَجْلِبُ عَبْرَةَ الْمُشْتَاقِ
وَتَذُودُ عَنْ قَلْبِي سِوَاكِ كَمَا أَبَى
دَمْعِي جَوَازَ النَّوْمِ بِالْآمَاقِ (٤)

(١) المرح : البطر ، ولم أجثم : لم أقع ولم أتلبد بالأرض ، والكعب جمع كعاب جمع كعب : العظم الناشز فوق القدم (٢) النهزة : الفرصة ، والعطب : الهلاك ، والمعنى : كل ما يدخره الانسان من المال فهو عرضة للهلاك (٣) الأنضاء جمع نضو ، وهو المهزول من الابل وغيرها : والغور : ما انحدر من الأرض ، وهو كما قال الأزهرى : تهامة وما يلى اليمن ، وربا نجد : أعاليها (٤) تذود : تدفع ، وجواز النوم : مروره وحلوله ، والآماق : جمع أمق كمأق : وهو طرف العين مما يلى الأنف ، أو هو مقدمها أو مؤخرها .

لَمْ يُبْقِ مِنِّى الْحُبُّ غَيْرَ حُشَاشَةٍ
تَشْكُو الصَّبَابَةَ فَاذْهَبِى بِالْبَاقِى
أَيُبِلُّ مَنْ جَلَبَ السِّقَامَ طَبِيبُهُ
وَيُفِيقُ مَنْ سَحَرَتْهُ عَيْنُ الرَّاقِى[1]؟؟
إِنْ كَانَ طَرْفُكِ ذَاقَ رِيقَكِ فَالَّذِى
أَلْقَى مِنَ الْمَشْقِّ فِعْلُ السَّاقِى[2]
نَفْسِى فِدَاؤُكِ مِنْ ظَلُومٍ أُعْطِيَتْ
رِقَّ الْقُلُوبِ وَطَاعَةَ الْأَحْدَاقِ[3]
فَلِقِلَّةِ الْأَشْبَاهِ فِيمَا أُوتِيَتْ
أَضْحَتْ تَدِلُّ بِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ

وَلَهُ :

عَلَاقَةٌ بِفُؤَادِى أَعْقَبَتْ كَمَدَا
لِنَظْرَةٍ بِمِنًى أَرْسَلْتُهَا عَرَضَا
وَلِلْحَجِيجِ ضَجِيجٌ فِى جَوَانِبِهِ
يَقْضُونَ مَا أَوْجَبَ الرَّحْمَنُ وَافْتَرَضَا

(١) أيبل : أيصح من مرضه وتحسن حاله ، والاستفهام للانكار أى لا يصح ، ويفيق الخ : يصحو ، والراق : المعوذ الذى ينفث فى عوذته ، يعنى به الساحر ، أى لا يفيق من أصابته عين الساحر (٢) يقول : إن كان بصرك تناول من ريقك فالذى أصابنى من لحظك فعل ريقك ، فأنت الجانية على (٣) يقول : أفديك بنفسى يا ظالمة فيما أعطاك الله من أسر القلوب وامتلاكها وطاعة العيون ، فهلا أحسنت التصرف فيما ملكت ؟

فَأَيقظَ القَلبَ رُعبًا مَا جَنَى نَظَرِى
كَالصقرِ نَدَّاهُ طَلُّ اللَّيلِ فَانتَفَضَا (١)

وَقَدْ رَمَتنِي غَدَاةَ الخَيْفِ (٢) غَانِيَةٌ
بِنَاظِرٍ إِنْ رَمَى لَمْ يُخْطِىءِ الغَرَضَا

لَمَّا رَأَى صَاحِبِي مَا بِي بَكَى جَزَعًا
وَلَمْ يَجِدْ بِمِنًى عَنْ خُلَّتِي عِوَضَا

وَقَالَ دَعْ يَا فَتَى فِهْرٍ فَقُلْتُ لَهُ
يَا سَعْدُ أَوْدَعَ قَلْبِي طَرْفُهَا مَرَضَا

فَبِتُّ أَشْكُو هَوَاهَا وَهْوَ مُرْتَفِقٌ
يَشُوقُهُ البَرْقُ نَجْدِيًّا إِذَا وَمَضَا (٣)

تَبْدُو لَوَامِعُهُ كَالسَّيْفِ مُخْتَضِبًا
شَبَاهُ بِالدَّمِ أَوْ كَالعِرْقِ إِنْ نَبَضَا (٤)

وَلَمْ يُطِقْ مَا أُعَانِيهِ فَغَادَرَنِى
بَيْنَ النَّقَا وَالمُصَلَّى (٥) عِنْدَهَا وَمَضَى

---

(١) ما فاعل ، والصقر : كل طائر يصيد من البزاة والشواهين ، ونداه : بلله ، وانتفض : أى ارتعد واضطرب ، وأيقظ فى الأصل « استيقظ » تحريف .

(٢) يعنى خيف منى وهو ناحية منها (٣) مرتفق : متكىء على مرفقه ، ويشوقه البرق الخ : يهيجه البرق النجدى إذا لمع . (٤) يريد أن يقول : تظهر لوامع البرق شبيهة بالسيف المخضب بدم القتلى ، أو كالعرق النابض المتحرك ، وشباة السيف : حده .

(٥) النقا : قطعة من الرمل نقية تنقاد محدودبة ، والمراد موضع بعينه ، والمصلى موضع الصلاة ، مكان بعينه .

وَقَرَأْتُ مِنْ خَطِّ تَاجِ الْإِسْلَامِ اخْتِلَافًا فِى نَسَبِهِ وَهُوَ مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ، الْأُمَوِىُّ الْعَبْشَمِىُّ، أَوْحَدُ عَصْرِهِ وَفَرِيدُ دَهْرِهِ فِى مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ وَالْأَنْسَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَلْيَقُ مَا وُصِفَ بِهِ بَيْتُ أَبِى الْعَلَاءِ الْمَعَرِّىِّ:

وَإِنِّى وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ لَآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: كِتَابُ تَارِيخِ أَبِيوَرْدَ وَنَسَا، كِتَابُ الْمُخْتَلِفِ وَالْمُؤْتَلِفِ، كِتَابُ قَبْسَةِ الْعَجْلَانِ فِى نَسَبِ آلِ أَبِى سُفْيَانَ، كِتَابُ نُهْزَةِ الْحَافِظِ، كِتَابُ الْمُجْتَبَى مِنَ الْمُجْتَنَى فِى رِجَالٍ، كِتَابُ أَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِىِّ فِى السُّنَنِ الْمَأْثُورَةِ وَشَرْحِ غَرِيبِهِ، كِتَابُ مَا اخْتَلَفَ وَائْتَلَفَ فِى أَنْسَابِ الْعَرَبِ، كِتَابُ طَبَقَاتِ الْعِلْمِ فِى كُلِّ فَنٍّ، كِتَابٌ كَبِيرٌ فِى الْأَنْسَابِ، كِتَابُ تَعِلَّةِ الْمُشْتَاقِ (١) إِلَى سَاكِنِى الْعِرَاقِ، كِتَابُ كَوْكَبِ الْمُتَأَمِّلِ يَصِفُ فِيهِ الْخَيْلَ، كِتَابُ تَعِلَّةِ الْمَقْرُورِ فِى وَصْفِ الْبَرْدِ (٢) وَالنِّيرَانِ وَهَمَذَانَ، كِتَابُ

(١) التعلة: ما يتعلل به من طعام وغيره (٢) قال بهامش الأصل لعله: «أبيورد والبيران» ولا أشاركه هذا الرأى، لأن ماذكر لايتفق مع ما صدر به اسم الكتاب، أما ذكر همذان فلأن شتاءها مفرط البرد كثير الثلج طويل الأمد لاتجدى معه النيران، وقد أفردت فيه كتب وذكر أمره بالشعر والخطب كما فصله ياقوت فى الكلام عليه.

الدُّرَّةِ الثمينةِ ، كِتَابُ صَهْلَةِ القَارِحِ (١) رَدَّ فيهِ عَلَى المَعَرِّيِّ « سَقطِ الزَّنْدِ (٢) » . وَلَهُ فِي اللُّغَةِ مُصَنَّفَاتٌ مَا سُبِقَ إِلَيْهَا ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ جَمِيلَ الْأَمْرِ مَنْظَرَانِيًّا مِنَ الرِّجَالِ (٣) ، سَمِعَ الْحَدِيثَ فَأَكْثَرَ ، وَلَقِيَ عَبْدَ الْقَاهِرِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرْجَانِيَّ النَّحْوِيَّ وَأَخَذَ عَنْهُ . وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ .

وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا الْفَتْحِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّطَنْزِيَّ (٤) يَقُولُ : سَمِعْتُ الْأَبِيوَرْدِيَّ يَقُولُ : كُنْتُ بِبَغْدَادَ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى أُمَرِّنَ طَبْعِي عَلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَبَعْدُ أَنَا أَرْتَضِخُ لُكْنَةً (٥) . قَالَ : وَقَرَأْتُ بِخَطِّ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ مَنْدَةَ : سُئِلَ الْأَدِيبُ الْأَبِيوَرْدِيُّ عَنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ فَقَالَ : نُقِرُّ وَنُمِرُّ (٦) . وَأَنْشَدَ السَّمْعَانِيُّ لِلْأَبِيوَرْدِيِّ بِإِسْنَادٍ :

جَدِّي مُعَاوِيَةُ الْأَغَرُّ سَمَتْ بِهِ ... جُرْثُومَةٌ (٧) مِنْ طِينِهَا خُلِقَ النَّبِي

وَوَرِثْتُهُ شَرَفًا رَفَعْتُ مَنَارَهُ (٨) ... فَبَنُو أُمَيَّةَ يَفْخَرُونَ بِهِ وَبِي

(١) بهامش الأصل لعله « للقارح » وأنا أقول : لعله « صهلة القارح » ليتفق مع « سقط الزند » الذى من أجله كان تأليفه . (٢) بهامش الأصل « لعله فى سقط الزند » ولكن لا حاجة إلى زيادة فى (٣) أى حسن المنظر (٤) نسبة إلى نطنزة بفتح أوله وثانيه وسكون النون : بليدة من أعمال أصبهان ، بينهما نحو عشرين فرسخا .

(٥) أرتضخ لكنة : يقال ذلك لمن نشأ مع العجم ثم صار إلى العرب ، فهو ينزع إلى العجم فى ألفاظ ولو اجتهد فى البعد عنها (٦) نقر ونمر : أى نعترف به ونجيزه .

(٧) الجرثومة : الأصل (٨) مناره : أى علمه .

وَأَنْشَدَ لَهُ :

كُفِّى أُمَيْمَةُ غَرْبَ اللَّوْمِ وَالْعَذَلِ
فَلَيْسَ عِرْضِى عَلَى حَالٍ بِمُبْتَذَلِ (١)
إِنْ مَسَّنِى الْعُدْمُ فَاسْتَبْقِى الْحَيَاءَ وَلَا
تُكَلِّفِينِى سُؤَالَ الْعُصْبَةِ السُّفَّلِ (٢)
فَشِعْرُ مِثْلِى وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
مَا كَانَ يَفْتُرُ (٣) عَنْ فَخْرٍ وَعَنْ غَزَلِ
أَمَّا الْهِجَاءُ فَلَا أَرْضَى بِهِ خُلُقًا
وَالْمَدْحُ إِنْ قُلْتُهُ فَالْمَجْدُ يَغْضَبُ لِى
وَكَيْفَ أَمْدَحُ أَقْوَامًا أَوَائِلُهُمْ
كَانُوا لِأَسْلَافِى الْمَاضِينَ كَالْخَوَلِ

وَلَهُ أَيْضًا فِى مَدْحِ الْأَئِمَّةِ الْخَمْسَةِ :

زَاهِرُ الْعُودِ وَطِيبُهْ وَلَيَالِيهِ تُشِيبُهْ
كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَكَانٍ يَلْبَسُ الذُّلَّ غَرِيبُهْ
وَهُوَ يَسْعَى طَالِبًا لِلْـ ـعِلْمِ وَالْهَمُّ يُذِيبُهْ
وَطَوَى بُرْدَ صِبَاهُ قَبْلَ أَنْ يَبْلَى قَشِيبُهْ
وَاقْتَدَى بِالْقَوْمِ يَدْعُو هُ هَوَاهُ فَيُجِيبُهْ

(١) كُفى : امنعى ، والمبتذل : الممتهن (٢) العدم : الفقر ، والعصبة : الجماعة ، والسفل : أسافل الناس وأراذلهم (٣) يفتر : يضعف .

خَمْسَةٌ لَا يَجِدُ الْحَا سِدُ فِيهِمْ مَا يَعِيبُهْ
مِنْهُمُ الْجُعْفِيُّ لَا يُعْـ ـرَفُ فِي الْعِلْمِ ضَرِيبُهْ
وَإِذَا اعْتَلَّ حَدِيثٌ فَالْقُشَيْرِيُّ طَبِيبُهْ
وَأَخُونَا ابْنُ شُعَيْبٍ حَازِمُ الرَّأْيِ صَلِيبُهْ
وَأَبُو دَاوُدَ مَوْفُو رٌ مِنَ الْفَضْلِ نَصِيبُهْ
وَأَبُو عِيسَى يَرَى الْجَهْـ ـلُ مِنْهُ مَا يَرِيبُهْ
حَادِيهِمْ ذُو زَجَلٍ يَسْـ ـتَضْحِكُ الرَّوْضَ نَحِيبُهْ
طَارَ فِيهِ الْبَرْقُ حَتَّى خَالَطَ الْمَاءَ لَهِيبُهْ

وَأَنْشَدَ لَهُ:

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّنِي
أَعِزُّ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَهُونُ
فَبَاتَ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ اعْتِدَاؤُهُ؟
وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ؟

وَلَهُ فِي الْغَزَلِ:

أَعَصْرَ الْحِمَى عُدْ فَالْمَطَايَا مُنَاخَةٌ
بِمَنْزِلَةٍ جَرْدَاءَ ضَاحٍ مَقِيلُهَا
لَئِنْ كَانَتِ الْأَيَّامُ فِيكَ قَصِيرَةً
فَكَمْ حِنَّةٍ لِي بَعْدَهَا أَسْتَطِيلُهَا؟

وَلَهُ :

رَمَتْنِي غَدَاةَ الْخَيْفِ لَيْلَى بِنَظْرَةٍ
عَلَى خَفَرٍ وَالْعِيسُ صُعْرٌ خُدُودُهَا (١)

شَكَتْ سَقَماً أَلْحَاظُهَا وَهِيَ صِحَّةٌ
فَلَسْتَ تَرَى إِلَّا الْقُلُوبَ تَعُودُهَا (٢)

وَلَهُ :

صِلِي يَا ابْنَةَ الْأَشْرَافِ أَرْوَعَ مَاجِداً
بَعِيدَ مَنَاطِ الْهَمِّ جَمَّ الْمَسَالِكِ (٣)

وَلَا تَتْرُكِيهِ بَيْنَ شَاكٍ وَشَاكِرٍ
وَمُطْرٍ وَمُغْتَابٍ وَبَاكٍ وَضَاحِكِ

فَقَدْ ذَلَّ حَتَّى كَادَ تَرْحَمُهُ الْعِدَا
وَمَا الْحُبُّ يَاظَبْيَاءُ إِلَّا كَذَلِكِ

وَوَجَدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ رِسَالَةً — كَتَبَهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللهِ يَعْتَذِرُ — تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَرَبِ مِنْ بَغْدَادَ نُسْخَتُهَا :

إِحْسَانُ الْمَوَاقِفِ الْمُقَدَّسَةِ النَّبَوِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ الطَّاهِرَةِ

(١) الخفر محركة : شدة الحياء ، والعيس : الابل ، وصعر خدودها : أى وجوهها مائلة أنفة وكبرا (٢) أى شكت عيونها مرضاً فى حال صحتها ، فلست ترى أحداً يزورها إلا القلوب لأسرها إياها (٣) الأروع : الشهم الذكى الفؤاد ، وبعيد مناط الهم : كناية عن دوام سروره وترفه ، وجم المسالك : كثير الطرق .

الزَّكيةِ الْممجَّدَةِ الْعَلِيَّةِ ، زادَ اللهُ فى إِشْراقِ أَنْوارِهَا ، وَإِعزازِ أَشْيَاعِهَا وَأَنْصارِهَا ، وَجعَلَ أَعْدَاءَهَا حصَائِدَ نِقَمِهَا [١] ، وَلا سَلَبَ أَوْلِيَاءَهَا قَلَائِدَ نِعَمِهَا ، شَمِلَ الْأَنَامَ [٢] ، وَغَمَرَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ [٣] ، وَأَحقُّ خَدَمِهَا بِهَا مَنْ انْتَهَجَ الْمَذَاهِبَ الرَّشِيدَةَ فى الْوَلَاءِ النَّاصِحِ ، وَالْتَزَمَ الشَّاكِلَةَ الْحَمِيدَةَ [٤] فى الثَّنَاءِ الْمُتَتَابِعِ ، وَلا خَفَاءَ بِاعْتِلَاقِ الْخَادِمِ أَهْدَابَ الْإِخْلَاصِ ، وَاسْتِيجَابِهِ مَزَايَا الِاجْتِبَاءِ وَالِاخْتِصَاصِ ، لِمَا أَسْلَفَهُ مِنْ شَوَافِعِ الْخِدَمِ [٥] ، وَمَهَّدَهُ مِنْ أَوَاصِرِ الذِّمَمِ [٦] ، مُتَوفِّراً عَلَى دُعَاءٍ يُصْدِرُهُ مِنْ خُلُوصِ الْيَقِينِ ، وَيَعُدُّ الْمُوَاصَلَةَ بِهِ مِنْ مُفْتَرَضَاتِ الدِّينِ ، وَلَئِنْ صَدَّتِ الْمَوَانِعُ عَنِ الْمُثُولِ بِالسُّدَّةِ الْمُنِيفَةِ ، وَالِاسْتِذْرَاءِ بِالْجَنَابِ الْأَكْرَمِ فى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ [٧] ، فَهُوَ فى حَالَتَىْ دُنُوِّهِ مِنْهَا وَاقْتِرَابِهِ ، وَتَارَتَىِ انْتِزَاحِهِ عَنْهَا وَاغْتِرَابِهِ ، عَلَى السَّنَنِ الْقَاصِدِ فى الْمُشَايَعَةِ مُقِيمٌ [٨] ، وَلِمَا يَشْمَلُهُ مِنْ نَفَحَاتِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ مُسْتَدِيمٌ ، وَقَدْ عَلِمَ اللهُ سُبْحَانَهُ ـ وَلا يَسْتَشْهِدُهُ

---

(١) حصائد جمع حصيدة : وهى الزرع المحصود ، ونقمها : عقوباتها : والمعنى : جعل الله أعداءها مستأصلين استئصال الزرع المحصود (٢) شمل الأنام : أى جمع ماتفرق من أمور الناس (٣) وغمر الخ : أى حاط الخاص والعام (٤) الشاكلة الحميدة : الطريقة المحمودة (٥) شوافع الخدم : أى الخدمات المتتالية أو التى تشفع له .

(٦) أواصر الذمم : العهود الوثيقة . (٧) الاستذراء : الالتجاء والاحتماء ، والجناب : الفناء ، ويستعمل فى الحضرة والتعظيم (٨) السنن القاصد : الطريق المستقيم والمشايعة : المتابعة والولاء .

كَاذِبًا إِلَّا مَنْ كَانَ لِرِدَاءِ الْغَىِّ جَاذِبًا ـ أَنَّهُ مَطْوِىُّ الْجَنَانِ عَلَى الْوَلَاءِ، مُنْطَلِقُ اللِّسَانِ بِالشُّكْرِ وَالدُّعَاءِ، يَتَّشِحُ بِهِمَا الصُّبْحُ كَاشِرًا عَنْ نَابِهِ [١]، وَيَدَّرِعُهُمَا اللَّيْلُ نَاشِرًا سَابِغَ جِلْبَابِهِ، وَكَانَ يُغِبُّ خِدَمَهُ [٢] اتِّقَاءً لِقَوْمٍ يَبْغُونَهُ الْغَوَائِلَ، وَيَنْصِبُونَ لَهُ الْحَبَائِلَ، وَتَدْعُوهُمُ الْعَقَائِدُ الْمَدْخُولَةُ [٣] إِلَى تَنْفِيرِهِ، وَيَزِنُونَ [٤] عَنْهُ غَيْرَ مَا أَجَنَّهُ فِى ضَمِيرِهِ، وَلَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَامًا [٥]، وَيَزِيدُهُمُ الِاسْتِدْرَاجُ عَلَى الْجَرَائِمِ جُرْأَةً وَإِقْدَامًا، حَتَّى اسْتَشْعَرَ وَجَلًا، فَاتَّخَذَ اللَّيْلَ جَمَلًا، وَالْتَحَفَ بِنَاشِئَةِ الظَّلْمَاءِ [٦]، وَالْفِرَارُ مِمَّا لَا يُطَاقُ مِنْ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَبْطِئُ فِيهِمُ الْمَقَادِيرَ، وَالْأَيَّامُ تَرْمِزُ بِمَا يَعْقُبُ التَّبْدِيلَ وَالتَّغْيِيرَ، فَحَاقَ بِهِمْ مَكْرُهُمْ، وَانْقَضَتْ شِرَّتُهُمْ [٧] وَشَرُّهُمْ:

عَذَرْتُ الذُّرَى لَوْ خَاطَرَتْنِى قُرُومُهَا
فَمَا بَالُ أَكَّارِيهِ فُدْعِ الْقَوَائِمِ [٨]؟

---

(١) يتشح بهما : يلازمهما ويشتمل بهما كالثوب ، وكاشرا عن نابه : متبسما عن ضوئه
(٢) يغب خدمه : يفرق بينها ولا يتبعها بعضاً (٣) أى الفاسدة (٤) فى الأصل : « ويرقون » تحريف ، وقال بهامشه : لعله « ويروون » وأنا أقول : بل لعله « يزنون » كما أصلحت لأنه أقرب تحريفا (٥) بهامش الأصل عن يرقبون « يعنى لا يرعون » والال بالكسر : القرابة ، والذمام : العهد (٦) ناشئة الظلماء : أول الليل (٧) شرتهم : حدتهم وطيشهم (٨) خاطرتنى : واهنتنى ، وقرومها : عظماؤها وأكاريه جمع أكار : الزارع ، وفدع القوائم جمع أفدع : وهو معوج المفاصل ، وأكثر ما يكون ذلك فى الأرساغ .

وَعَاوَدَ الْخَادِمُ الْمُثَابَرَةَ عَلَى الْمَادِحِ الْإِمَامِيَّةِ مُطْنِبًا وَمُطِيلًا ، إِذْ وَجَدَ إِلَى مُطَالَعَةِ مَقَارِّ الْعِزِّ وَالْعَظَمَةِ وَمَوَاقِفِ الْإِمَامَةِ الْمُكَرَّمَةِ بِهَا سَبِيلًا ، وَهَذِهِ فَاتِحَةُ مَا نَظَمَ ، وَانْتَهَزَ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ فِيهِ وَاغْتَنَمَ :

لَكَ مِنْ غَلِيلِ صَبَابَتِي مَا أُضْمِرُ ... وَأُسِرُّ مِنْ أَلَمِ الْغَرَامِ وَأُظْهِرُ

وَتَذَكُّرِي زَمَنَ الْعُذَيْبِ يَشُفُّنِي ... وَالْوَجْدُ مَمْنُوٌّ بِهِ الْمُتَذَكِّرُ (١)

إِذْ لِمَّتِي سَحْمَاءُ (٢) مَدَّ عَلَى النَّقَا ... أَظْلَالَهَا وَرَقُ الشَّبَابِ الْأَخْضَرُ

وَلِدَاتُكَ النَّشَأُ الصِّغَارُ وَلَيْسَ مَا ... أَلْقَاهُ فِيكَ مِنَ الْمَلَاوِمِ يَصْغُرُ

هُوَ مَلْعَبٌ شَرِقَتْ بِنَا أَرْجَاؤُهُ ... إِذْ نَحْنُ فِي حُلَلِ الشَّبِيبَةِ نَخْطِرُ (٣)

فَبِحَرِّ أَنْفَاسِي وَصَوْبِ مَدَامِعِي ... أَضْحَتْ مَعَالِمُهُ تُرَاحُ وَتُمْطَرُ (٤)

وَأُجِيلُ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ نَاظِرِي ... فَالْقَلْبُ يَعْرِفُهَا وَطَرْفِي يُنْكِرُ

وَأَرُدُّ عَبْرَتِيَ الْجَمُوحَ (٥) لِأَنَّهَا ... بِعَقِيلِ سِرِّكِ فِي الْجَوَانِحِ تُخْبِرُ

(١) العذيب : موضع بعينه ، ويشفنى : يهزلنى ويوهننى ، وممنو : مبتلى

(٢) أى سوداء (٣) ملعب : مكان اللعب ، وشرقت أرجاؤه : امتنعت نواحيه أن يجرى فيها المطر ، ونخطر : نتبختر ونهتز (٤) تراح : تشتد ريحها ، وهذا يرجع إلى قوله : حر أنفاسى : أى حرارتها ، وتمطر : ينزل المطر عليها ، وهذا راجع إلى صوب مدامعى أى انصبابها كالمطر ، ومعالمه : آثاره (٥) الجموح : التى لا يمكن ردها ومنعها ، لأنها تخبر بقيام سرك وحبك بين ضلوعى .

فَأَبِيتُ مُحْتَضَرَ الْجَوَى قَلِقَ الْحَشَا
وَأَظَلُّ أَعذِرُ فِى هَوَاكَ وَأُعْذَرُ (١)

غَضِبَتْ قُرَيْشٌ إِذْ مَلَكْتَ مَقَادَتِى (٢)
غَضَباً يَكَادُ السُّمُّ مِنْهُ يَقْطُرُ

وَتَعَاوَدَتْ عَذْلِى (٣) فَمَا أَرْعَيْتُهَا
سَمْعاً يَقِلُّ بِهِ الْكَلَامُ وَيَكْثُرُ

وَلَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْعَشِيرَةِ أَنَّنِى
أَشْكُو الْغَرَامَ فَيَرْقُدُونَ وَأَسْهَرُ

وَبِمُهْجَتِى هَيْفَاءُ يَرْفَعُ جِيدَهَا
رَشَأٌ وَيَخْفِضُ نَاظِرَيْهَا جُؤْذُرُ

طَرَقَتْ وَأَجْفَانُ الْوُشَاةِ عَلَى الْكَرَى
تُطْوَى وَأَرْدِيَةُ الْغَيَاهِبِ تُنْشَرُ (٤)

وَالشُّهْبُ فِى غَسَقِ الدُّجَى كَأَسِنَّةٍ
زُرْقٍ يُصَافِحُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْدَرُ (٥)

(١) محتضر : أى كالمحتضر القريب من الموت ، والجوى : الحزن وشدة الوجد ، وقلق الحشا : مضطرب الجوف ، وأعذر : أى أقبل عذرى فى هواك ، وأعذر مجهول : يقبل منى العذر . (٢) أى قيادى وأمرى (٣) أى عادت إليه مرة بعد مرة .

(٤) يقول : طرقت : أى اتتنى ليلا والوشاة نائمون ، والظلمة ناشرة رواقها كالرداء فلم يرها أحد . (٥) والشهب : أى النجوم فى ظلمة الليل تشبه رماحا زرقا يلمسها الغبار الأكدر ، وهذا تتمة وصف مجيئها فى الليل .

فَنِجَادُ سَيْفِي مَسَّ ثِنْىَ وِشَاحِهَا
بِمَضَاجِعٍ كَرُمَتْ وَعَفَّ الْمِئْزَرُ (١)
ثُمَّ افْتَرَقْنَا وَالرَّقِيبُ يُرَوِّعُ بِي
أَسَداً (٢) يُوَدِّعُهُ غَزَالٌ أَحْوَرُ
وَالدُّرُّ يُنْظَمُ حِينَ تَضْحَكُ عِقْدُهُ
وَإِذَا بَكَيْتُ فَمِنْ جُفُونِى يُنْثَرُ
فَوَطِئْتُ خَدَّ اللَّيْلِ فَوْقَ مُطَهَّمٍ
تَسْمُو لِغَايَتِهِ الرِّيَاحُ فَتَحْسَرُ (٣)
طَرِبِ الْعِنَانِ كَأَنَّهُ فِى حُضْرِهِ (٤)
نَارٌ بِمُعْتَرَكِ الْجِيَادِ تَسَعَّرُ
وَالْعِزُّ يُلْحِفُنِي وَشَائِعَ بُرْدِهِ
حَلَقُ الدِّلَاصِ وَصَارِمِي وَالْأَشْقَرُ (٥)
وَعَلَامَ أَدَّرِعُ الْهَوَانَ وَمَوْئِلِي (٦)
خَيْرُ الْخَلَائِقِ أَحْمَدُ الْمُسْتَظْهِرُ ؟

(١) فنجاد سيفى : أى علاقته ، مس ثنى : أى منعطف وشاحها وهو ماتشده المرأة بين عاتقها وكشحها بمضاجع كريمة ومجانس عفيف . (٢) أى يخيف منى أسدا تجريد .
(٣) الجواد المطهم : النحيف الجسم ، المدور الوجه ، يسبق الريح فى سيره لخفته ، وقوله فتحسر : أى فتنقطع الريح دونه (٤) أى فى شدة عدوه (٥) وشائع البرد : أعلامه وتوشيته وطرائقه ، وحلق الدلاص : أى الدروع الملساء اللينة المستديرة ، وصارمي : أى سيفى القاطع ، والأشقر : فرسى ، وهذه الثلاثة هى التى تلحفه وشائع برد العز .
(٦) أدرع الهوان : مجاز عن الظهور بالذل ، وموئلى : ملتجئى .

هُوَ غُرَّةُ الزَّمَنِ الْكَثِيرِ شِيَاتُهُ (١)

زَهِيَ (٢) السَّرِيرُ بِهِ وَتَاهَ الْمِنْبَرُ

وَلَهُ كَمَا اطَّرَدَتْ أَنَابِيبُ الْقَنَا

شَرَفٌ وَعِرْقٌ بِالنُّبُوَّةِ يَزْخَرُ (٣)

وَعُلًا تَرِفُّ عَلَى التُّقَى (٤) وَسَمَاحَةٌ

عَلِقَ الرَّجَاءُ بِهَا وَبَأْسٌ يُحْذَرُ

لَا تَنْفَعُ الصَّلَوَاتُ مَنْ هُوَ سَاحِبٌ

ذَيْلَ الضَّلَالِ وَعَنْ هَوَاهُ أَزْوَرُ (٥)

وَلَوِ اسْتَمِيلَتْ عَنْهُ هَامَةُ مَارِقٍ ... لَدَعَا صَوَارِمَهُ إِلَيْهَا الْمِغْفَرُ (٦)

وَاللهُ يَحْرُسُ بِابْنِ عَمِّ رَسُولِهِ ... دِينَ الْهُدَى وَبِهِ يُعَانُ وَيُنْصَرُ

فَعُفَاتُهُ حَيْثُ الْغِنَى يَسَعُ الْمُنَى ... وَعِدَاتُهُ حَيْثُ الْقَنَا يَتَكَسَّرُ

وَبِسَيْبِهِ وَبِسَيْفِهِ أَعْمَارُهُمْ ... فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ تَطُولُ وَتَقْصُرُ

وَكَأَنَّهُ الْمَنْصُورُ فِي عَزَمَاتِهِ (٧)

وَمُحَمَّدٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَجَعْفَرُ

(١) غرة الزمن : أشهر أهل زمانه . وشياته : زخارفه جمع شية (٢) زهي السرير به : اختال سرير الملك بجلوسه عليه ، وتاه المنبر : افتخر إذا صعد عليه للخطابة لفصاحته وحسن بيانه (٣) كما اضطردت الخ : أي كما استقامت وتماثلت أنابيب الرمح ، ويزخر : أي يطمى بها (٤) ترف على التقى : أي ترفرف وتحوم حولها كالطائر (٥) أي مائل .

(٦) أي مغفر هذا المارق ، والمغفر : غطاء الرأس (٧) عزماته جمع عزمة : وهي الثبات والصبر فيما يعزم عليه .

وَإِذَا مَعَدٌّ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فَهُمُ الذُّرَا وَالْجَوْهَرُ الْمُتَخَيَّرُ

وَلَهُمْ وَقَائِعُ فِي الْعِدَا مَذْكُورَةٌ

تَرْوِى الذِّئَابُ حَدِيثَهَا وَالْأَنْسُرُ

وَالسُّمْرُ فِي اللَّبَّاتِ رَاعِفَةٌ دَماً (١)

وَالْبِيضُ يَخْضِبُهَا النَّجِيعُ الْأَحْمَرُ

وَالْقِرْنُ يَرْكَبُ رَدْعَهُ (٢) سَهْلَ الْخُطَا

وَالْأَعْوَجِيَّةُ بِالْجَمَاجِمِ تَعْثُرُ (٣)

وَدَجَا النَّهَارُ مِنَ الْعَجَاجِ وَأَشْرَقَتْ

فِيهِ الصَّوَارِمُ فَهْوَ لَيْلٌ مُقْمِرُ (٤)

يَابْنَ الشَّفِيعِ إِلَى الْحَيَا مَا لِامْرِئٍ

طَامَنْتَ نَخْوَتَهُ، الْمَحَلُّ الْأَكْبَرُ (٥)

أَنَا عَبْدُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْتَدَى

مَعَهَا السَّحَائِبُ فَهْيَ مِنْهَا أَغْزَرُ (٦)

وَالنُّجْحُ يَضْمَنُهَا، لِمَنْ يَرْتَادُهَا مِنَّا الطَّلَاقَةُ وَالْجَبِينُ الْأَزْهَرُ

---

(١) اللبات : جمع لبة ، وهى المنحر ، وراعفة دما : سائلة دما (٢) القرن : القرين فى الحرب وغيره ، ويركب ردعه : أى يخر بوجهه على دمه ، أو يجرح فيسيل دمه فيسقط فوقه (٣) والأعوجية : الأفراس ، منسوبة إلى أعوج فرس لبنى هلال . والجماجم : رءوس القتلى (٤) ودجا النهار الخ : أظلم من الغبار المتطاير المنعقد فى ساحة الحرب ، وأشرقت فيه السيوف : أى لمعت وسط الغبار فصار كليل مقمر (٥) يشير إلى استسقاء العباس جده الأكبر وإجابة السماء له (٦) أنا عبد الخ : أى أسير صنائعك وإحسانك ، وأغزر : أكثر جودا .

وَلَقَدْ عَدَانِي عَنْ جَنَابِكَ حَادِثٌ أَنْحَى عَلَيَّ بِهِ الزَّمَانُ الْأَغْبَرُ (١)

وَإِنِ اقْتَرَبْتُ أَوِ اغْتَرَبْتُ فَإِنَّنِي
لَهِجٌ بِشُكْرِ عَوَارِفٍ لَا تُكْفَرُ (٢)

وَعُلَاكَ لِي فِي ظِلِّهَا مَا أَبْتَغِي مِنْهَا وَمِنْ كَلِمِي لَهَا مَا يُذْخَرُ

يُسْدِي مَدِيحَكَ هَاجِسِي وَيُنِيرُهُ
فِكْرِي وَحَظِّي فِي امْتِدَاحِكَ أَوْفَرُ

بَغْدَادَ أَيَّتُهَا الْمَطِيُّ فَوَاصِلِي عَنَقًا تَئِنُّ لَهُ الْقِلَاصُ الضُّمَّرُ (٣)

إِنِّي وَحَقِّ الْمُسْتَجِنِّ بِطِيبَةٍ كَلِفٌ بِهَا وَإِلَى ذُرَاهَا أَصْوَرُ (٤)

وَكَأَنَّنِي مِمَّا تُسَوِّلُهُ الْمُنَى (٥) وَالدَّارُ نَازِحَةٌ إِلَيْهَا أَنْظُرُ

أَرْضٌ تَجُرُّ بِهَا الْخِلَافَةُ ذَيْلَهَا (٦)
وَبِهَا الْجِبَاهُ مِنَ الْمُلُوكِ تُعَفَّرُ

فَكَأَنَّهَا جَلَبَتْ عَلَيْنَا جَنَّةً
وَكَأَنَّ دِجْلَةَ فَاضَ فِيهَا الْكَوْثَرُ (٧)

---

(١) عدانى : صرفنى ، وأنحى على الخ : أقبل على ، والزمان الأغبر : الأكدر غير الصافى (٢) لهج الخ : أى مولع بالثناء على عطاياك وصنائعك التى لا تجحد

(٣) فواصلى الخ : أى فداومي سيرا فسيحا واسعا ، والقلاص الخ : الابل الضامرة التى تدأب فى السير لخفتها وقلة شحمها (٤) المستجن بطيبة : المستتر بالمدينة المنورة يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، كلف بها : مغرم ، وإلى ذراها : أعاليها وبهامش الأصل : « أصور : أى عاطف العنق » (٥) تسوله المنى : تزينه وتسهله (٦) تجر بها الخ : أى تتيه فيها وتختال (٧) جلبت الخ : أى أتت ، والكوثر : قيل إنه نهر بالجنة ، وهو خبر كأن ، والجملة بينهما حالية .

وَهَوَاؤُهَا أَرِجُ النَّسِيمِ وَتُرْبُهَا مِسْكٌ تَهَادَاهُ الْغَدَائِرُ أَذْفَرُ (١)
يَقْوَى الضَّعِيفُ بِهَا وَيَأْمَنُ خَائِفٌ
قَلِقَتْ وِسَادَتُهُ وَيُثْرِي الْمُقْتِرُ
فَتَرَكْتُهَا إِذْ صَدَّ عَنِّي مَعْشَرِي وَبَغَى عَلَيَّ مِنَ الْأَرَاذِلِ مَعْشَرُ
مِنْ كُلِّ مُلْتَحِفٍ بِمَا يَصِمُ الْفَتَى يُؤْذِي وَيَظْلِمُ أَوْ يَجُورُ وَيَغْدِرُ
فَنَفَضْتُ مِنْهُ يَدِي مَخَافَةَ كَيْدِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْأَذَى لَا يَصْبِرُ
وَالْأَبْيَضُ الْمَأْثُورُ (٢) يَخْطِمُ بِالرَّدَى
مَنْ لَا يُنَهْنِهُهُ الْقَطِيعُ الْأَسْمَرُ (٣)
فَارْفَضَّ شَمْلُهُمُ وَكَمْ مِنْ مَوْرِدٍ لِلظَّالِمِينَ وَلَيْسَ عَنْهُ مَصْدَرُ
وَأَبَى لِشِعْرِيَ أَنْ أُدَنِّسَهُ (٤) بِهِمْ
حَسْبِي وَحَسْبُ ذَوِي الْخَنَا أَنْ يُحْقَرُوا
فَابْلَتْ سَيِّءَ مَا أَتَوْا بِجَمِيلِ مَا آتِي فَإِنِّي بِالْمَكَارِمِ أَجْدَرُ
وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَطَلَّعَتْ مِدَحٌ كَمَا ابْتَسَمَ الرِّيَاضُ تُحَبَّرُ
وَيُقِيمُ مَائِدَهُنَّ (٥) لَيْلٌ مُظْلِمٌ وَيَضُمُّ شَارِدَهُنَّ صُبْحٌ مُسْفِرُ

(١) أرج النسيم : ذو نسيم أرج أى شذى ، وتهاداه : يهديه بعضها إلى بعض ، والغدائر : الذوائب : جمع غديرة ، وأذفر صفة للمسك : أى طيب الرائحة

(٢) بهامش الأصل « فى الأصل « المختوم » وقد صححناه معتمدين على ما ورد فى ديوان الأبيوردى المطبوع فى لبنان سنة ١٣١٧ والسيف المأثور : ذو الرونق ، وراجع بقية معناه فى القاموس » . (٣) لاينهنهه أى من لايكفه ولايزجره ، والقطيع الأسمر : المقطوع الأسمر من الرماح (٤) فى الأصل « أونسه » بالواو تحريف .

(٥) أى مائلهن ومعوجهن

فَبِمِثْلِ طَاعَتِهِ الْهِدَايَةُ تُبْتَغَى
وَبِفَضْلِ نَائِلِهِ الْخَصَاصَةُ (١) تُجْبَرُ

وَلَهُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَخُبُّ مَطِيَّتِي
بِحَيْثُ الْكَثِيبُ الْفَرْدُ وَالْأَجْرَعُ (٢) السَّهْلُ
أَلَذُّ بِهِ مَسَّ الثَّرَى وَيَرُوقُنِي
حَوَاشِي رُبًا يَغْذُو أَزَاهِيرَهَا الْوَبْلُ
وَلَوْلَا دَوَاعِي حُبِّ رَمْلَةَ لَمْ أَقُلْ
إِذَا زُرْتُ مَغْنَاهَا بِهِ سُقِيَ الرَّمْلُ
فَيَا حَبَّذَا أَثْلُ الْعَقِيقِ (٣) وَمَنْ بِهِ
وَإِنْ رَحَلَتْ عَنْهُ فَلَا حَبَّذَا الْأَثْلُ
ضَعِيفَةُ رَجْعِ الْقَوْلِ مِنْ تَرَفِ الصِّبَا
لَهَا نَظْرَةٌ تُنْسِيكَ مَا يَفْعَلُ النَّصْلُ
وَقَدْ بَعَثَتْ سِرًّا إِلَيَّ رَسُولَهَا
لِأَهْجُرَهَا وَالْهَجْرُ شِيمَةُ مَنْ يَسْلُو
تَخَافُ عَلَى الْحَيِّ إِذْ نَذَرُوا دَمِي   سَأُرْخِصُهُ فِيهَا عَلَى أَنَّهُ يَغْلُو

(١) الخصاصة : الحاجة والفقر (٢) الأجرع : الأرض السهلة يعلوها رمل
(٣) الأثل : شجر عظيم ، واحدته أثلة ، والعقيق : اسم لعدة مواضع ببلاد العرب عشرة بل أكثر .

أَيَمْنَعُنِي خَوْفُ الرَّدَى أَنْ أَزُورَهَا
وَأَرْوَحُ (١) مِنْ صَبْرِي عَلَى هَجْرِهَا الْقَتْلُ ؟
إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي فَلَا بَاتَ لَيْلَةً عَلَى غَضَبٍ إِلَّا الْعَشِيرَةُ وَالْأَهْلُ

وَلَهُ :

خُطُوبٌ لِلْقُلُوبِ بِهَا وَجِيبُ (٢) تَكَادُ لَهَا مَفَارِقُنَا (٣) تَشِيبُ
نَرَى الْأَقْدَارَ جَارِيَةً بِأَمْرٍ يَرِيبُ ذَوِي الْعُقُولِ بِمَا يَرِيبُ (٤)
فَتَنْجَحُ فِي مَطَالِبِهَا كِلَابٌ وَأُسْدُ الْغَابِ ضَارِيَةً تَخِيبُ
وَتُقْسَمُ هَذِهِ الْأَرْزَاقُ فِينَا فَمَا نَدْرِي أَتُخْطِئُ أَمْ تُصِيبُ ؟
وَنَخْضَعُ رَاغِمِينَ لَهَا اضْطِرَارًا
وَكَيْفَ يُلَاطِمُ الْإِشْفَى (٥) لَبِيبُ ؟

وَلَهُ :

وَغَادَةٍ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ
وَالرِّئْمُ أَغْضَى وَغُصْنُ الْبَانِ لَمْ يَمِسِ
عَانَقْتُهَا بِرِدَاءِ اللَّيْلِ مُشْتَمِلًا
حَتَّى انْتَبَهْتُ بِبُرْدِ الْحَلْيِ (٦) فِي الْغَلَسِ
فَظَلْتُ أَحْمِيهِ خَوْفًا أَنْ يُنَبِّهَهَا وَأَتَّقِي أَنْ أُذِيبَ الْعِقْدَ بِالنَّفَسِ

---

(١) أى وأسهل (٢) أى خفقان واضطراب (٣) جمع مفرق : وهو الذى يفرق فيه الشعر ، يريد بذلك الرءوس (٤) يريب فى الموضعين بضم الياء وفتحها (٥) الاشفى : المثقب والمراد يخرز به ويؤنث (٦) يكنى به عن العفاف وهو خير حلية .

وَلَهُ :

وَمُتَّشِحٍ بِاللُّؤْمِ جَاذَبَنِي الْعُلَا فَقَدَّمَهُ يُسْرٌ وَأَخَّرَنِي عُسْرُ
وَطَوَّقْتُ أَعْنَاقَ الْمَقَادِيرِ مَا أَتَى بِهِ الدَّهْرُ حَتَّى ذَلَّ لِلْعَجْزِ الصَّدْرُ
وَلَوْ نِيلَتِ الْأَرْزَاقُ بِالْفَضْلِ وَالْحِجَى لَمَا كَانَ يَرْجُو أَنْ يَثُوبَ(١) لَهُ وَفْرُ
فَيَا نَفْسُ صَبْرًا إِنَّ لِلْهَمِّ فُرْجَةً فَمَا لَكِ إِلَّا الْعِزُّ عِنْدِي أَوِ الْقَبْرُ
وَلِي حَسَبٌ يَسْتَوْعِبُ الْأَرْضَ ذِكْرُهُ عَلَى الْعُدْمِ وَالْأَحْسَابُ يَدْفِنُهَا الْفَقْرُ

وَلَهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ جَيِّدِ شِعْرِهِ :

وَعَلِيلَةِ الْأَلْحَاظِ تَرْقُدُ عَنْ صَبٍّ يُصَافِحُ جَفْنَهُ الْأَرَقُ
وَفُؤَادُهُ كَسِوَارِهَا حَرِجٌ(٢) وَوِسَادُهُ كَوِشَاحِهَا قَلِقٌ
عَانَقْتُهَا وَالشُّهْبُ نَاعِسَةٌ وَالْأُفْقُ بِالظَّلْمَاءِ مُنْتَطِقٌ(٣)
وَلَثَمْتُهَا وَاللَّيْلُ مِنْ قِصَرٍ قَدْ كَادَ يَلْثِمُ فَجْرَهُ الشَّفَقُ
بِمُعَانِقٍ أَلِفَ الْعَفَافَ بِهِ كَرَمٌ بِأَذْيَالِ التُّقَى عَلِقُ
ثُمَّ افْتَرَقْنَا حِينَ فَاجَأَنَا صُبْحٌ تَقَاسَمُ ضَوْءَهُ الْحَدَقُ
وَبِنَحْرِهَا مِنْ أَدْمُعِي بَلَلٌ وَبِرَاحَتِي مِنْ نَشْرِهَا عَبَقُ

وَلَهُ :

---

(١) الفاعل يعود على « متشح » (٢) أى ضيق (٣) أى محاط

بَيْضَاءُ إِنْ نَطَقَتْ فِى الْحَىِّ أَوْ نَظَرَتْ
تَقَاسَمَ السِّحْرَ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارُ
وَالرَّكْبُ يَسْرُونَ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ (١)
كَأَنَّهُمْ فِى ضَمِيرِ الْقَلْبِ أَسْرَارُ

وَلَهُ :

وَقَصَائِدٍ مِثْلِ الرِّيَاضِ أَضَعْتُهَا
فِى بَاخِلٍ (٢) ضَاعَتْ بِهِ الْأَحْسَابُ
فَإِذَا تَنَاشَدَهَا الرُّوَاةُ وَأَبْصَرُوا الْـ
ـمَمْدُوحَ قَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابُ

وَلَهُ :

مَا لِلْجَبَانِ أَلَانَ اللهُ سَاحَتَهُ (٣)
ظَنَّ الشَّجَاعَةَ مِرْقَاةً (٤) إِلَى الْأَجَلِ
وَكَمْ حَيَاةٍ جَبَتْهَا (٥) النَّفْسُ مِنْ تَلَفٍ
وَرُبَّ أَمْنٍ حَوَاهُ الْقَلْبُ مِنْ وَجَلِ
فُقْتَ الثَّنَاءَ فَلَمْ أَبْلُغْ مَدَاكَ بِهِ
حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْعَجْزَ مِنْ قِبَلِي

---

(١) أى يسيرون ليلا ، وعاكفة : لازمة (٢) أى بخيل (٣) أى سهل الله حياته
(٤) أى سلما (٥) جبتها : جمعتها ، وهى فى الأصل « حبتها » تحريف .

وَالْعِيُّ أَنْ يَصِفَ الْوَرْقَاءَ مَادِحُهَا

بِالطَّوْقِ أَوْ يَمْدَحَ الْأَدْمَاءَ[1] بِالْكَمَلِ

وَلَهُ :

وَقَدْ سَئِمْتُ مُقَامِي بَيْنَ شِرْذِمَةٍ

إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ قَطَّبَتْ هِمَمِي

أَرَاذِلٌ مَلَكُوا الدُّنْيَا وَأَوْجُهُهُمْ

لَمْ يَكْشِفِ الْفَقْرَ عَنْهَا بَهْجَةُ النِّعَمِ

وَلَهُ :

أُلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَأَبْكِي صَبَابَةً رُوَيْدَكَ يَا دَمْعِي وَيَا عَاذِلِي رِفْقَا

فَلِي بِالْحِمَى مَنْ لَا أُطِيقُ فِرَاقَهُ

بِهِ يَسْعَدُ الْوَاشِي وَلَكِنَّنِي أَشْقَى

وَأُكْرِمُ مِنْ جِيرَانِهِ كُلَّ طَارِئٍ

يَوَدُّ وِدَاداً أَنَّهُ مِنْ دَمِي يُسْقَى

إِذَا لَمْ يَدَعْ مِنِّي نَوَاهُ[2] وَحُبُّهُ

سِوَى رَمَقٍ يَا أَهْلَ نَجْدٍ فَكَمْ يَبْقَى؟

وَلَوْلَا الْهَوَى مَا لَانَ لِلدَّهْرِ جَانِبِي

وَلَا رَضِيَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ بِمَا أَلْقَى

(١) أي السوداء (٢) أي بعده

قَرَأْتُ بخطِّ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الشَّاعِرِ المعْرُوفِ بِابْنِ التَّعَاوِيذِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْخَشَّابِ قَالَ:

حَدَّثَنِي الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ الْجَوَالِيقِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى أَبِي زَكَرِيَّا شِعْرَ أَبِي دَهْبَلٍ الْجُمَحِيِّ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ:

يَجُولُ وِشَاحَاهَا وَيَغْرُبُ حِجْلُهَا
وَيَشْبَعُ مِنْهَا وَقْفُ عَاجٍ وَدُمْلُجِ

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: وَصَفَهَا بِقَوْلِهِ يَجُولُ وِشَاحُهَا بِأَنَّهَا هَضِيمَةُ الْحَشَا، وَبِقَوْلِهِ: وَيَشْبَعُ مِنْهَا وَقْفُ عَاجٍ وَدُمْلُجِ: أَنَّهَا عَبْلَةُ الزَّنْدِ[1] وَالْعَضُدِ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَيَغْرُبُ حِجْلُهَا؟ فَقَالَ لَا أَدْرِي، وَكَانَ الْأَبِيوَرْدِيُّ حَاضِرًا فَلَمَّا قُمْتُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ لِي الْأَبِيوَرْدِيُّ: أَتُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ؟ قُلْتُ نَعَمْ. فَقَالَ اتْبَعْنِي، فَمَضَيْتُ مَعَهُ إِلَى بَيْتِهِ فَأَجْلَسَنِي وَأَخْرَجَ سَلَّةً فِيهَا جُزَازٌ[2] فَجَعَلَ يُطَوِّفُهَا[3] إِلَى أَنْ أَخْرَجَ وَرَقَةً فَنَظَرَ فِيهَا وَقَالَ لِي: إِنَّهُ مَدَحَ امْرَأَةً مِنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُمْ يُوصَفُونَ بِأَنَّهُمْ سُتْهٌ[4] حُمْشٌ. وَالْحَمْشُ: رِقَّةُ السَّاقَيْنِ. وَمِنْ افْتِخَارَاتِهِ قَوْلُهُ:

(١) أي سمينة (٢) أي وريقات تكتب فيها الفوائد (٣) أي يدورها
(٤) أي ضخام الاستاه.

يَا مَنْ يُسَاجِلُنِي وَلَيْسَ بِمُدْرِكٍ
شَأْوِى وَأَيْنَ لَهُ جَلَالَةُ مَنْصِبِي ؟
لَا تَتْعَبَنَّ فَدُونَ مَا أَمَّلْتَهُ
خَرْطُ القَتَادَةِ وَامْتِطَاءُ الكَوْكَبِ
المَجْدُ يَعْلَمُ أَيُّنَا خَيْرٌ أَبًا ؟
فَاسْأَلْهُ تَعْلَمْ أَىُّ ذِى حَسَبٍ أَبِى ؟
جَدِّى مُعَاوِيَةُ الأَغَرُّ سَمَتْ بِهِ جُرْثُومَةٌ مِنْ طِينِهَا خُلِقَ النَّبِى
وَوَرِثْتُهُ شَرَفًا رَفَعْتُ مَنَارَهُ فَبَنُو أُمَيَّةَ يَفْخَرُونَ[1] بِهِ وَبِى

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ : وَلَقَدْ حَصَلَ لِلأَبِيوَرْدِيِّ بَعْدَ مَا تَرَاهُ مِنْ شَكْوَى الزَّمَانِ فِى أَشْعَارِهِ مِمَّا انْتَجَعَهُ بِالشِّعْرِ مِنْ مُلُوكِ خُرَاسَانَ وَوُزَرَائِهَا وَخُلَفَاءِ العِرَاقِ وَأُمَرَائِهَا مَا لَمْ يَحْصُلْ لِلْمُتَنَبِّىءِ فِى عَصْرِهِ ، وَلَا بْنِ هَانِىءٍ فِى مِصْرِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِيهِ القَاضِى أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ الحَسَنِ النَّدِيمِ : أَنَّ أَفْضَلَ الدَّوْلَةِ الأَبِيوَرْدِيَّ لَمَّا قَدِمَ الحِلَّةَ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ مُمْتَدِحًا لَهُ[2] — وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا اجْتَمَعَ بِهِ قَطُّ — خَرَجَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ لِتَلَقِّيهِ قَالَ : وَكُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ فَشَاهَدْتُ

(١) يفخرون بضم الخاء وفتحها (٢) يريد حلة بنى مزيد — مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد وغرب الفرات ، وأول من عمرها ونزلها سيف الدولة هذا وهو صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الأسدى ، واتصلت فيها العمارة مدة حياته حتى صارت من أفخر بلاد العراق .

الْأَبِيوَرْدِىَّ رَاكِباً فِى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ، مِنْهُمْ مِنَ الْمَمَالِيكِ التُّرْكِ ثَلَاثُونَ غُلَاماً وَوَرَاءَهُ سَيْفٌ مَرْفُوعٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ ثَمَانُ جَنَائِبَ (١) بِالْمَرَاكِبِ وَالسَّرْفَسَارَاتِ (٢) الذَّهَبِ، وَعَدَدْنَا ثِقْلَهُ فَكَانَ عَلَى أَحَدٍ وَعِشْرِينَ بَغْلًا، وَكَانَ مَهِيباً مُحْتَرَماً جَلِيلًا مُعَظَّماً لَا يُخَاطَبُ إِلَّا بِمَوْلَانَا، فَرَحَّبَ بِهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ، وَأَظْهَرَ لَهُ مِنَ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ مَا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ فِى تَلَقِّى أَحَدٍ مِمَّنْ كَانَ يَتَلَقَّاهُ، وَأَمَرَ بِإِنْزَالِهِ وَإِكْرَامِهِ وَالتَّوَفُّرِ عَلَى الْقِيَامِ بِمُهِمَّاتِهِ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ وَثَلَاثَةَ حُصُنٍ وَثَلَاثَةَ أَعْبُدٍ، وَكَانَ الْأَبِيوَرْدِىُّ قَدْ عَزَمَ عَلَى إِنْشَادِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ قَصِيدَتَهُ الَّتِى يَقُولُ فِيهَا:

وَفِى أَىِّ عِطْفَيْكَ (٣) الْتَفَتَّ تَعَطَّفَتْ
عَلَيْكَ بِهِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ وَالْبَدْرُ

فِى يَوْمٍ عَيَّنَهُ. وَلَمْ يَكُنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَعَدَّ لَهُ بِحَسَبِ مَا كَانَ فِى نَفْسِهِ أَنْ يَلْقَاهُ بِهِ وَيُجِيزَهُ عَلَى شِعْرِهِ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَوَعَدَهُ يَوْماً غَيْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِيُعِدَّ مَا يَلِيقُ بِمِثْلِهِ إِجَازَتُهُ مِمَّا يَحْسُنُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ ذِكْرُهُ، وَيَبْقَى عَلَى مَمَرِّ الْأَيَّامِ أَثَرُهُ، فَاعْتَقَدَ أَفْضَلُ الدَّوْلَةِ أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ قَدْ دَافَعَهُ عَنْ سَمَاعِهِ مِنْهُ اسْتِكْبَاراً

(١) جنائب جمع جنيبة : وهى الناقة تقاد (٢) بهامش الأصل كلمة فارسية « سرفسار : معناها « اللجام » (٣) أى جانبيك .

لِمَا يُرِيدُ أَنْ يَصِلَهُ بِهِ ثَانِياً، فَأَمَرَ الأَبِيوَرْدِيُّ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْبُرُوا ثِقَلَهُ الفُرَاتَ مُتَفَرِّقاً فِي دَفَعَاتٍ، وَخَرَجَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ بِهِ أَحَدٌ سِوَى وَلَدِ أَبِي طَالِبِ بْنِ حَبَشٍ فَإِنَّهُ سَمِعَهُ يُنْشِدُ عَلَى شَاطِئِ الفُرَاتِ حِينَ عُبُورِهِ:

أَبَابِلُ لَا وَادِيكِ بِالخَيْرِ مُفْعَمٌ (١)
لِرَاجٍ وَلَا نَادِيكِ بِالرِّفْدِ آهِلُ
لَئِنْ ضِقْتِ عَنِّي فَالبِلَادُ فَسِيحَةٌ
وَحَسْبُكِ عَاراً أَنَّنِي عَنْكِ رَاحِلُ
فَإِنْ كُنْتِ بِالسِّحْرِ الحَرَامِ مُدِلَّةً
فَعِنْدِي مِنَ السِّحْرِ الحَلَالِ (٢) دَلَائِلُ
قَوَافٍ تُعِيرُ الأَعْيُنَ النُّجْلَ سِحْرَهَا
وَكُلُّ مَكَانٍ خَيَّمَتْ فِيهِ بَابِلُ

فَبَادَرَ وَلَدُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُ عَلَى شَاطِئِ الفُرَاتِ فَارِساً يُرِيدُ العُبُورَ إِلَى الشَّرْقِ وَهُوَ يُنْشِدُ هَذِهِ الأَبْيَاتَ. فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: وَأَبِيكَ مَا هُوَ إِلَّا الأَبِيوَرْدِيُّ، فَرَكِبَ لِوَقْتِهِ فِي قُلٍّ (٣) مِنْ عَسْكَرِهِ، فَلَحِقَهُ فَاعْتَذَرَ، وَسَأَلَهُ الرُّجُوعَ وَعَرَّفَهُ عُذْرَهُ فِي امْتِنَاعِهِ مِنْ سَمَاعِ

(١) أي مملوء (٢) السحر الحلال: الكلام البليغ الذي يسحر العقول، ومنه: « إن من البيان لسحرا » (٣) أي قليل.

شعرِهِ ، وأَمرَ بإنزالِهِ في دارِهِ معَهُ ، وحمَلَ إليهِ ألفَ دينارٍ ، ومِنَ الخيلِ والثيابِ ما يزيدُ على ذلكَ قيمةً .

قالَ عُبيدُ اللهِ التيميُّ : أنشدَني أبو إسحاقَ يحيَي بْنُ إسماعيلَ المُنْشِئُ الطغرائيُّ قالَ : سمعتُ والِدِي يُنشِدُ لنفسِهِ مرثيةً للأبيوردِيِّ :

إنْ ساغَ بعدَكَ لِي ماءٌ على ظمأٍ
فَلَا تجرّعتُ غيرَ الصّابِ والصّبرِ (١)

أوْ إنْ نظرتُ مِنَ الدُّنيا إلى حسنٍ
مُذْ غبتَ عنّي فلَا متّعتُ بالنّظرِ

صَحِبتَنِي والشّبابَ الغضّ ثمّ مضَى
كما مضيتَ فما في العيشِ مِنْ وطرِ (٢)

هَبْنِي بلغتُ مِنَ الأعمارِ أطولَها
أوِ انتهيتُ إلى آمالِيَ الكُبَرِ (٣)

فكيفَ لِي بشبابٍ لا ارتجاعَ لهُ
أمْ أينَ أنتَ فما لِي منكَ مِنْ خبرِ ؟؟

سبقتماني ولوْ خُيّرتُ بعدَكُما
لكنتُ أوّلَ لحّاقٍ على الأثرِ

---

(١) الصاب : شجر مر ، والصبر ككتف ، ولا يسكن إلا فى ضرورة الشعر : عصارة شجر مر (٢) أى من حاجة (٣) الكبر : جمع كبرى .

٧٨ – مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طَاهِرِ بْنِ حَمْدٍ أَبُو مَنْصُورٍ *

محمد بن أحمد الخازن

الخَازِنُ لِدَارِ الْكُتُبِ القَدِيمَةِ، مِنْ سَاكِنِي دَرْبِ مَنْصُورٍ بِالْكَرْخِ [١]، مَاتَ فِي ثَالِثَ عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَقَالَ: كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا نَحْوِيًّا، وَخَطُّهُ مَوْجُودٌ بِأَيْدِي النَّاسِ كَثِيرٌ يُرْغَبُ فِيهِ وَيُعْتَمَدُ غَالِبًا عَلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو السَّعَادَاتِ بْنُ الشَّجَرِيِّ النَّحْوِيُّ وَالنَّقِيبُ حَيْدَرَةُ كَثِيرًا مَا يَسْتَكْتِبَانِهِ، سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ الْمُحَسِّنِ التَّنُوخِيَّ، وَابْنَ غَيْلَانَ وَغَيْرَهُمَا. وَكَانَ عَلِيٌّ فَقِيهًا [٢] عَلَى مَذْهَبِ الشِّيعَةِ، وَوَجَدْتُ سَمَاعَهُ عَلَى كِتَابٍ بِخَطِّهِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَحَدَّثَ غَرْسُ النِّعْمَةِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّابِئِ فِي كِتَابِ الْهَفَوَاتِ قَالَ: كَانَ بِدَارِ الْعِلْمِ الَّتِي وَقَفَهَا سَابُورُ بْنُ أَزْدَشِيرَ الْوَزِيرُ خَازِنٌ يُعْرَفُ بِأَبِي مَنْصُورٍ، وَاتَّفَقَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِنِينَ كَثِيرَةٍ مِنْ وَفَاةِ سَابُورَ أَنْ آلَتْ مُرَاعَاةُ الدَّارِ إِلَى الْمُرْتَضَى أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْمُوسَوِيِّ نَقِيبِ الطَّالِبِيِّينَ، فَرَتَّبَ مَعَهُ آخَرَ يُعْرَفُ بِأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْدٍ مُشْرِفًا عَلَيْهِ وَكَانَ

---

(١) بهامش الأصل: « هذا الرجل وجه إليه أبو العلاء المعرى بالرسالة الـ ١٩ من الجملة التى نشرناها « سنة ١٨٩٨ » وفى مقدمة ذلك الكتاب جمعنا ما وقفنا عليه من أخبار دار الكتب القديمة ». (٢) بالأصل « وعلى فقها »

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ١١

دَاهِيَةً، فقصدَ لأبِي منصورٍ كَيْداً وَمَكْراً (١) فصارَ يتلهّى بِهِ دَائِماً. فمِنْ ذلِكَ أنّهُ قالَ لهُ يوماً: قَدْ هَلَكَتِ الكُتُبُ وَذهبَ مُعْظَمُهَا. فقالَ لهُ وَانْزعجَ: بِأَيِّ شيْءٍ؟ قالَ: بِالبَرَاغِيثِ وَعَيْثِهِمْ فِيهَا (٢) وَعَبَثِهِمْ بِهَا (٣). قالَ: فمَا تفعلُ فِي ذلِكَ؟ قالَ: تقصدُ الأَجَلَّ المُرْتَضَى وَتُطَالِعُهُ بِالحَالِ (٤) وَتَسْأَلُهُ إِخْرَاجَ شَيْءٍ مِنْ دَوَائِهِمُ المُعَدِّ عِنْدَهُ لَهُمْ لِنَنْشُرَهُ بَيْنَ الوَرَقِ وَيُؤْمَنَ الضَّرَرُ، فمضَى إِلَى المُرْتَضِي وَخَدَمهِ وَقالَ لَهُ بِسُكُونٍ وَوَقَارٍ، وَمِنْ طَرِيقِ النُّصْحِ وَالاحْتِيَاطِ: يتقدَّمُ سيِّدُنَا إِلَى الخَازِنِ بِإِخْرَاجِ شَيْءٍ مِنْ دَوَاءِ البَرَاغِيثِ، فقدْ أَشْرَفَتِ الكُتُبُ عَلَى الهَلاكِ بِهِمْ، لِنَتَدَارَكَ أَمْرَهُمْ بِتعْجِيلِ إِخْرَاجِ الدَّوَاءِ المَانِعِ لَهُمُ المُبْعِدِ لِضَرَرِهِمْ (٥). فقالَ المُرْتَضَى: البَرَاغِيثَ البَرَاغِيثَ مُكَرَّراً، لَعَنَ اللهُ ابْنَ حَمَدٍ، فَأَمْرُهُ كُلُّهُ طَنْزٌ (٦) وَهَزْلٌ، قُمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ مُصَاحَباً وَلَا تَسْمَعْ لِابْنِ حَمَدٍ نَصِيحَةً وَلَا قَوْلاً.

قالَ المُؤَلِّفُ: هَكَذَا وَجَدْتُ هذَا الخَبَرَ، وَقَدْ وَافَقَ رِوَايَةَ ابْنِ الجَوْزِيِّ فِي كَوْنِ ابْنِ حَمَدٍ خَازِنَ الكُتُبِ بَيْنَ السُّورَيْنِ وَفِي مُقَارَبَةِ العَصْرِ وَخَالَفَهُ فِي الكُنْيَةِ (٧)، وَلَا أَدْرِي هَلْ هُوَ

(١) أي فوّق له الكيد والمكر (٢) أي إفسادهم (٣) أي لعبهم
(٤) أي تكاشفه (٥) عامل البراغيث في إعادة الضمائر عليها معاملة العاقل عن غير وجه. (٦) أي سخرية (٧) بهامش الأصل « هذا وهم للمؤلف ».

هَذَا أَوْ غَيْرُهُ ؟ أَوْ قَدْ غلط أَحدُهُمَا فِى الْكُنْيَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ وَقفتُ عَلَى الْمُذَيَّلِ الَّذِى لِلسَّمْعَانِىِّ بِخَطِّهِ عَلَى حَاشِيَةٍ مُلحقةٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عطَّافٍ الْمَوْصِلِىَّ سَأَلَ أَبَا منصورِ بْنَ حَمدٍ الخَازِنَ عَنْ مَوْلِدِهِ فقَالَ : سَنَةَ ثمانِى عشرَةَ وَأَرْبعِمِائَةٍ . قَالَ : وَسَأَلَهُ فَقَالَ : سَنَةَ سَبْعَ عشرَةَ وَأَرْبعِمِائَةٍ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ لَيْستْ عَنْهُ ، لِأَنَّ الْمُرْتَضِى مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبعِمِائَةٍ، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ قَدْ كَانَ ابْنُ حَمدٍ ابْنَ ثمانِى عشرَةَ[1] سَنَةٍ ، فَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ الْحِكَايَةُ عَنْهُ وَعَسَاهَا عَنْ أَبِيهِ ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

٧٩ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَرَامُرْدَ[2] الشِّيرَازِىُّ *

محمد بن أحمد الشيرازى

أَبُو بَكْرٍ الْقَطَّانُ النَّحْوِىُّ ، شَيْخُ أَبِى مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَشَّابِ وَمُخَرِّجُهُ وَمُؤَدِّبُهُ وَعَنْهُ أَخَذَ النَّحْوَ ، قَرَأَ ابْنُ جَرَامُرْدَ عَلَى عَلِىِّ بْنِ فَضَالٍ الْمُجَاشِعِىِّ الْقَيْرَوَانِىِّ وَعَلَى غَيْرِهِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ ، وَمَاتَ بَعْدَ سَنَةِ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ الْخَشَّابِ فِيمَا قَرَأْتُهُ بِخَطِّهِ : كَانَ فِى أَبِى عَلِىٍّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِىٍّ الْمُحَوَّلِىِّ[3] شَيْخِنَا سَلَامَةُ صَدْرٍ.

---

(١) بالأصل « اثنتى عشرة » والصحيح ماذكرنا . (٢) كانت بالأصل : « جوامرد » بالواو تحريف (٣) منسوب إلى المحول بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الواو مفتوحة : بليدة حسنة طية بينها وبين بغداد فرسخ .

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان ، وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة

وَلَقَدْ كَانَ شَيْخُنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جرَامَرْدَ الشِّيرَازِىُّ الْمَعْرُوفُ بِالْقَطَّانِ — رَحِمَهُ اللهُ — يُولَعُ بِهِ وَبِغَيْرِهِ كَثِيراً، فَكَانَ يَقُولُ مُعَرِّضاً بِهِ وَبِغَيْرِهِ مِمَّنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةً وَأَرْفَعُ ذِكْراً وَأَبْعَدُ صِيتاً، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ مَا عَبَّرَ عَنِ الْبَلَادَةِ وَالْجُمُودِ بِأَحْسَنَ مِنْ قَوْلِهِمْ هُوَ ثِقَةٌ، وَلَهُ أَعْنِى الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ مَعَ هٰذَا الْمُحَوَّلِىِّ نَوَادِرُ وَأَقَاصِيصُ لَا أُطَوِّلُ بِذِكْرِهَا.

﴿ ٨٠ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ جِيَا أَبُو الْفَرَجِ * ﴾

محمد بن أحمد ابن جيا

مِنْ أَهْلِ الْحِلَّةِ الْمَزْيَدِيَّةِ (١) يُلَقَّبُ شَرَفَ الْكُتَّابِ، كَانَ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا فَطِناً شَاعِراً مُتَرَسِّلاً، شِعْرُهُ وَرَسَائِلُهُ مُدَوَّنَةٌ. قَدِمَ بَغْدَادَ فَقَرَأَ عَلَى النَّقِيبِ أَبِى السَّعَادَاتِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الشَّجَرِىِّ النَّحْوِىِّ وَأَخَذَ عَنْهُ، ثُمَّ أَخَذَ بَعْدَهُ عَنْ أَبِى مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى الْقَاضِى أَبِى جَعْفَرٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الثَّقَفِىِّ، وَأَصْلُهُ وَمَوْلِدُهُ مِنْ مَطِيرَابَاذَ وَصَحِبَ ابْنَ هُبَيْرَةَ الْوَزِيرَ. وَلَهُ رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ عَمِلَهَا أَجْوِبَةً لِرَسَائِلِ أَبِى مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَرِيرِىِّ.

حَدَّثَنِى أَبُو عَلِىٍّ الْقَيْلَوِىُّ قَالَ: أَنَا رَأَيْتُهُ. وَمَاتَ فِى سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى الثَّمَانِينَ. أَنْشَدَنِى

(١) سبق التعريف بحلة بنى مزيد فى ترجمة الأبيوردى

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٩

ابْنُ الدَّبِيثِيِّ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الثَّنَاء مَحْمُودُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُفَرِّجِ الْحِلِّيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي شَرَفُ الْكُتَّابِ أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَيَا لِنَفْسِهِ :

حَتَّامَ أَجْرِي فِي مَيَادِينِ الْهَوَى
لَا سَابِقٌ أَبَدًا وَلَا مَسْبُوقُ ؟
مَا هَزَّنِي طَرَبٌ إِلَى أَرْضِ الْحِمَى
إِلَّا تَعَرَّضَ أَجْرَعٌ وَعَقِيقُ
شَوْقٌ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ مُفَرَّقٌ
نَحْوِي ، شَتِيتُ الشَّمْلِ مِنْهُ فَرِيقُ (١)
وَمَدَامِعٌ كُفِلَتْ بِعَارِضِ مُزْنَةٍ (٢)
لَمَعَتْ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ بُرُوقُ
فَكَأَنَّ جَفْنِيَ بِالدُّمُوعِ مُوَكَّلٌ
وَكَأَنَّ قَلْبِيَ لِلْجَوَى مَخْلُوقُ
قَدُمَ الزَّمَانُ فَصَارَ شَوْقِي عَادَةً
فَلْيَتْرُكَنَّ دَلَالَهُ الْمَعْشُوقُ
قَدْ كَانَ فِي الْهِجْرَانِ مَا يَزَعُ الْهَوَى (٣)
لَوْ يَسْتَفِيقُ مِنَ الْغَرَامِ مَشُوقُ

(١) أي يسير (٢) كفلت : أمدت ، والمزنة : السحابة البيضاء الماطرة
(٣) أي ما يكفه

لٰكِنَّنِي آبَى لِعَهْدِي أَنْ يُرَى
بَعْدَ الصَّفَاءِ وَوِرْدُهُ مَطْرُوقُ

إِنْ عَادَتِ الْأَيَّامُ لِي بِطُوَيْلِعٍ [1]
أَوْ ضَمَّنِي وَالنَّازِحِينَ طَرِيقُ

لَأُنَبِّهَنَّ عَلَى الْغَرَامِ بِزَفْرَتِي
وَلَتَطْرَبَنَّ بِمَا أَبُثُّ النُّوقُ

حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْقَيْلَوِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ شَرَفَ الْكُتَّابِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ كَانَ يَوْماً فِي مَجْلِسِ الْوَزِيرِ عَوْنِ الدِّينِ يَحْيَى بْنِ هُبَيْرَةَ فَجَاءَهُ فَرَّاشٌ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ وَحَدَّثَهُ بِحَضْرِي شَيْئاً كَانَ يُحِبُّ كِتْمَانَهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ [2]. قَالَ: وَاتَّفَقَ خُرُوجُ الْفَرَّاشِ وَقَدِ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ النَّاسُ فَشُغِلَ بِهِمْ عَنِّي، وَقُمْتُ أَنَا وَخَرَجْتُ وَمَضَيْتُ فَمَا وَصَلْتُ بَابَ الْعَامَّةِ حَتَّى جَاءَنِي مَنْ رَدَّنِي إِلَى حَضْرَتِهِ، فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: أَحْسَنَ اللهُ إِلَى مَوْلَانَا الْوَزِيرِ وَأَدَامَ أَيَّامَهُ. بَيْتَ الْحَمَاسَةِ؟ فَقَالَ نَعَمْ، امْضِ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، كَذَا الظَّنُّ بِمِثْلِكَ. قَالَ: وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ شَيْئاً مِمَّا جَرَى بَيْنَنَا، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ قَوْلَ شَاعِرِ الْحَمَاسَةِ:

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ
عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا [3]

---

(١) بطويلع تصغير طالع: ما يتفاءل به (٢) بهامش الأصل «لعله يجب كتمانه عن كل أحد» ولكن لاحاجة بالتركيب إلى هذا التنبير (٣) أى مجتمعها وجامع لها

وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَمَا وَالْعُيُونُ النُّجْلُ تُصْمِي نِبَالُهَا
وَلَمْعُ الثَّنَايَا كَالْبُرُوقِ تَخَالُهَا

وَمُنْعَطَفُ الْوَادِي تَأَرَّجَ نَشْرُهُ
وَقَدْ زَارَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ خَيَالُهَا

وَقَدْ كَانَ فِي الْهِجْرَانِ مَا يَزَعُ الْهَوَى
وَلَـكِنْ شَدِيدٌ فِي الطِّبَاعِ انْتِقَالُهَا

وَمِنْهَا :

أَيَا ابْنَ الْأُلَى جَادُوا وَقَدْ بَخِلَ الْحَيَا
وَقَادُوا الْمَذَاكِي (١) وَالدِّمَاءُ نِعَالُهَا

خُذِ الدَّهْرَ عَنِّي مِنْ رِضَاكَ بِعَزْمَةٍ
مُعَوَّدَةٍ أَلَّا يُفَلَّ رِعَالُهَا (٢)

وَوَجَدْتُ بِخَطِّ بَعْضِ بَنِي مُعَيَّةَ الْعَلَوِيِّينَ الْحَسَنِيِّينَ :
أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ (٣) ابْنُ جَيَا الْكَاتِبُ لِنَفْسِهِ :

قُلْ لِحَادِي عَشَرَ الْبُرُوجِ أَبَا الْعَا ... شِرِ مِنْهَا، رَبُّ الْقُرُونِ الثَّانِي
يَا ابْنَ شُكْرَانَ صِلَةً لِزَمَانٍ ... صِرْتَ فِيهِ تُعَدُّ فِي الْأَعْيَانِ
لَيْسَ طَبِّي (٤) ذَمَّ الزَّمَانِ وَلَـكِنْ ... أَنْتَ أَغْرَيْتَنِي بِذَمِّ الزَّمَانِ

(١) المذاكى : الخيل التى تم سنها وكملت قوتها ، أو التى أتى عليها بعد قروحها سنة أوسنتان (٢) ألا يفل : ألا ينهزم ، والرعال : الجماعة المتقدمة من الخيل .
(٣) بالأصل : « أبو الفتح » خطأ (٤) أى علمى أو دوائى .

وَمِنْ كَلَامِهِ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ لِابْنِ الْحَرِيرِيِّ كَتَبَهَا إِلَى سَدِيدِ الدَّوْلَةِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ يَشْكُرُهُ (١) : سَيِّدُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ فِي تَوَالِي مَبَارِّهِ، وَالْقُصُورِ مِنِّي عَنْ (٢) تَأْدِيَةِ حَقِّهِ وَإِيفَائِهِ، كَمَنْ يُقْرِضُ غَرِيمًا مَعَ عُسْرَتِهِ، وَيَتَكَثَّرُ بِمَنْ أَفْرَدَهُ الزَّمَانُ عَنْ أَهْلِهِ وَأُسْرَتِهِ، فَهَلَّا اقْتَصَرَ بِي مِنْ دَيْنِهِ عَلَى مَا تَقَادَمَ عَهْدُهُ، وَلَمْ يُشْفِعْهُ بِطَوْلٍ أَضْعَفَ قُوَى شُكْرِي وَكَانَ مُسْتَحْكِمًا عَقْدُهُ :

أَنْتَ امْرُؤٌ أَوْلَيْتَنِي مِنَنًا ... أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا
فَإِلَيْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَعْذِرَتِي ... لَاقَتْكَ بِالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفَا
لَا تُسْدِيَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً ... حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

فَأَمَّا مَا يَعْزُوهُ إِلَيَّ مِنَ الْبَرَاعَةِ وَحُسْنِ الصِّنَاعَةِ، وَيُقَرِّرُهُ مِنَ إِحْسَانٍ (٣) كَانَ الطَّيُّ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْإِذَاعَةِ، فَتِلْكَ حَالٌ إِنْ ثَبَتَ فِيهَا الدَّعَاوِي، وَاتَّفَقَ عَلَى صِحَّةِ نَقْلِهَا الْمُخَالِفُ وَالْمُوَالِي، فَإِنَّمَا (٤) جَرَيْتُ إِلَيْهَا بِجِيَادِهِنَّ التَّوَالِي لِسَوَابِقِهِ، الصَّوَادِي إِلَى مَنَاهِلِ حَقَائِقِهِ، وَأَيْنَ الرَّذَايَا (٥) بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ السَّابِقَاتِ ؟. وَالْمُقَصِّرَةُ (٦) مِنَ اللَّاحِقَاتِ ؟ وَالْمُقْرِفَةُ (٧) مِنْ كَرِيمَاتِ

---

(١) بهامش الأصل « راجع ص ١٨٢ » (٢) بالأصل « مع »
(٣) بالأصل « الاحسان » (٤) بالأصل « فانها » (٥) الرذايا : الهالكات هزالا لانطيق براحا ، جمع رذى ورذية (٦) والمقصرة : المتوانية التى كلت عن المشى فى السفر (٧) المقرفة : أى التى أمها عربية لا أبوها ، لأن الاقراف من جهة الفحل ، والهجنة من قبل الأم .

الْمَنَاسِبِ؟ وَالْمُكْدِيَةُ مَطَالِبُهَا (١) مِنْ نَجِيحَاتِ الْمَكَاسِبِ:

سَبقتَ إِلَى الْآدَابِ أَبْنَاءَ دَهْرِنَا
فَبُوْتَ بِعَادِيٍّ (٢) عَلَى الدَّهْرِ أَقْدَمِ
وَلَيْسَتْ كَمَا أَبْقَتْ ضُبَيْعَةُ أَضْجَمِ (٣)
وَلَيْسَتْ كَمَا سَادَتْ قَبَائِلُ جُرْهُمِ
وَلَكِنْ طَوْداً لَمْ يُحَلْحَلْ (٤) رَسِيُّهُ
وَفَارِعَةً قَعْسَاءَ لَمْ تُتَسَنَّمِ (٥)
إِذَا مَا بِنَاءٌ شَادَهُ الْفَضْلُ وَالتُّقَى تَهَدَّمَتِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَتَهَدَّمِ

فَاللهُ تَعَالَى يَحْرُسُ عَلَيْهِ مَا خَوَّلَهُ مِنْ هَذِهِ الْخَصَائِصِ النَّفِيسَةِ وَالْمِنَحِ الشَّرِيفَةِ، وَلَا تَعْدَمُ الْقُلُوبُ الرَّاحَةَ بِمُحَاضَرَتِهِ، كَمَا لَمْ يُخْلِهِ مِنَ النَّصْرِ إِذَا أَشْرَعَ رِمَاحَ الْجَدَلِ يَوْمَ مُنَاصَرَتِهِ بِمَنِّهِ وَجُودِهِ. فَأَمَّا اعْتِذَارُهُ عَنْ إِنْفَاذِ ذَلِكَ التَّأْلِيفِ، وَإِنْكَارُهُ لِلْفَرَاغِ مِنْهُ بَعْدَ التَّعْرِيفِ، فَمَا يَخْفَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْمُغَالَطَةِ، وَمَا يَقْصِدُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ قَطْعِ حِبَالِ

(١) أى التى لم تصادف مطالبها نجحا (٢) العادى: القديم جدا كأنه منسوب إلى عاد
(٣) اسم قبيلة، وأضجم لقب ضبيعة كقولك قيس قفة من الضجم محركة: وهو عوج فى الفم والشدق والشفة والذقن والعنق، وبهامش الأصل عن كلمة «أضجم» راجع كتاب الأغانى ج ٢١ ص ١٨٦ (٤) أى لم يزل عن موضعه ولم يتحرك
(٥) فارعة الجبل: أعلاه. وفارعة الطريق: أعلاه ومنقطعه، وقيل حواشيه، والمراد الأول بدليل ما قبله، ولم تسنم: أى لم يعلها أحد.

المُبَاسطَةِ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْمُعَاتَبَةَ إِذَا حَقَّتْ قَلَّمَا يَسْلَمُ مَعَهَا وِدَادٌ ، وَيَجُودُ فِي مَطَاوِيهَا مِنَ الصَّفَاءِ عِهَادٌ :

لَأَرْسَلْتُهَا مَقْطُوعَةَ الْعَقْلِ (١) تَغْتَدِي
شَوَارِدَ قَدْ بَالَغْنَ فِي الْجَوَلَانِ
قَوَارِصَ (٢) تَبْقَى مَا رَأَى الشَّمْسَ نَاظِرٌ
وَمَا سَمِعَتْ مِنْ سَامِعٍ أُذُنَانِ

لَكِنَّ الْمَقْصُودَ مَا عَادَ بِإِجْمَامِ خَاطِرِهِ وَصَفَاءِ مَشَارِبِهِ ، وَأَلَّا أَكُونَ عَلَيْهِ عَوْنًا لِلدَّهْرِ وَنَوَائِبِهِ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَلَى فِعَالِهِ أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى تَرْكِ وِصَالِهِ ، فَأَمَّا الْمُلْحَةُ فَإِنِّي وَجَدْتُهَا عِنْدَ الْوُصُولِ كَمَا سَمَّاهَا ، غَرِيبَةً فِي لَفْظِهَا وَمَعْنَاهَا ، عَارِيَةً مِنْ لِبْسَةِ التَّكَلُّفِ بَعِيدَةً عَنِ التَّصَنُّعِ تَقْتَادُ الْقُلُوبَ بِأَزِمَّتِهَا ، وَمَا كَانَ أَوْلَاهُ لَوْ قَرَنَهَا إِلَى ذَلِكَ الْعِقْدِ الْمَكْنُونِ وَالدُّرِّ الْمَصُونِ ، فَكَانَتِ النُّعْمَى تَكْمُلُ ، وَالْمَسَرَّةُ تَشْمَلُ ، وَهَا أَنَا أَرْتَقِبُ لِذَلِكَ السِّمْطِ أَنْ تُؤَلَّفَ فَرَائِدُهُ ، وَتُجْمَعَ بَدَائِدُهُ (٣) ، وَأَنْتَظِرُ لِوُصُولِهِ يَوْمًا تَقِلُّ هُمُومُهُ وَتَكْثُرُ حَوَاسِدُهُ ، فَمَا ذَاكَ بِمُتَعَذِّرٍ عَلَيْهِ مَتَى رَامَهُ ، وَلَا (٤) بِمُعْوِزِهِ إِنْ سَرَّحَ سَوَامَ الْفِكْرِ (٥) فِيهِ وَشَامَهُ (٦) ، وَلِرَأْيِهِ فِي ذَلِكَ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَإِنْجَازِ

(١) أى ضعيفته (٢) أى منغصات ومؤلمات (٣) أى متفرقاته (٤) بالأصل « فلا » (٥) سوام الفكر : خواصه التى تسبر الأمر وتنظر غوره .
(٦) نظر إليه أين يقصد ؟ .

الْوَعْدِ جَرْيًا عَلَى كَرِيمِ عَادَتِهِ ، مَزِيدٌ مِنْ عَلَاءٍ لَا يَطْرَأُ الْأُفُولُ عَلَى أَهِلَّتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ .

﴿ ٨١ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الزَّاهِرِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ * ﴾

محمد بن أحمد الزاهرى

الْأَنْدَلُسِيُّ ، رَجُلٌ فَاضِلٌ وَأَدِيبٌ كَامِلٌ مُتْقِنٌ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ بِبَغْدَادَ مِنَ ابْنِ كُلَيْبٍ وَابْنِ بُوشٍ وَغَيْرِهِمَا فَأَكْثَرَ ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ الْكَثِيرَ وَصَنَّفَ ، وَلَقِيتُهُ بِبَغْدَادَ وَكَانَ لِي صَدِيقًا مُعَاشِرًا حَسَنَ الصُّحْبَةِ عُذْرِيَّ الْقَلْبِ (١) جَيِّدَ الشِّعْرِ ، أَنْشَدَنِي كَثِيرًا مِنْ شِعْرِهِ لَمْ أُثْبِتْهُ ، ثُمَّ فَارَقَ بَغْدَادَ وَحَصَلَ فِي بِلَادِ الْجِبَالِ ، وَاسْتَوْطَنَ بُرُوجِرْدَ (٢) وَتَأَهَّلَ بِهَا وَوُلِدَ لَهُ ، وَصَنَّفَ بِهَا تَصَانِيفَ فِي الْأَدَبِ كَثِيرَةً مِنْهَا شَرْحُ الْإِيضَاحِ .

﴿ ٨٢ — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ بُرَيْكٍ ﴾

محمد بن أحمد الأنصارى

الْأَنْصَارِيُّ الدَّسْكَرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَرَفْطِيِّ (٣) ، وَالدَّسْكَرَةُ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى نَهْرِ الْمَلِكِ ، سَكَنَ بِهَا أَجْدَادُهُ وَقُرِفَ وَغَلِطَ اسْمُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَرَفْطَا (٤) ، وَهِيَ أَيْضًا قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى نَهْرِ

---

(١) عذرى القلب : شديد العشق والهوى والعفة ، ولكنه يعنى من ذلك رقة الشعور وإرهاف الحس (٢) بفتح الباء وضم الراء وكسر الجيم : بلدة بين همذان وبين الكرج (٣) نسبة إلى برفطى كجبركى : قرية من قرى نهر الملك ببغداد (٤) قرف : اتهم وخلط فيه

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ١١

الْمَلِكِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ هَذَا الِاسْمُ. وُلِدَ بِبَغْدَادَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ شُهُورِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمائَةٍ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ فِي أَوَّلِ رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمائَةٍ، وَخَلَّفَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ قِطْعَةً بِخَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ لَمْ تَجْتَمِعْ فِي زَمَانِنَا عِنْدَ كَاتِبٍ، وَكَانَ يُغَالِي فِي شِرَائِهَا. وَلَهُ شِعْرٌ مِنْ جُمْلَتِهِ:

أَبَدًا أَمِيلُ إِلَيْكَ مَيْلَ تَذَلُّلٍ ... وَتَصُدُّ صَدَّ تَجَنُّبٍ وَدَلَالِ
حَتْفُ الْمُتَيَّمِ مِنْكَ يَوْمُ قَطِيعَةٍ ... وَحَيَاتُهُ فِي الْحُبِّ يَوْمُ وِصَالِ
قَدْ كِدْتُ أَغْرَقُ فِي بِحَارِ مَدَامِعِي ... لَوْلَا التَّمَسُّكُ (١) فِيكَ بِالْآمَالِ
عَذُبَتْ مَرَاشِفُهُ وَصَالَ بِقَدِّهِ ... تَحْمِي جَنَى الْمَعْسُولِ بِالْعَسَّالِ (٢)
عَهْدِي وَظِلُّ الْوَصْلِ غَيْرُ مُقَلَّصٍ ... عَنَّا وَعُمْرُ الْمَطْلِ غَيْرُ مُطَالِ (٣)
وَكَأَنَّمَا لَبِسَ الزَّمَانُ سَنَاءَ بَدْ ... رِ الدِّينِ ذِي الْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ
خَضِرُ الْجَنَابِ فَإِنْ دَجَتْ فِي أَزْمَةٍ ... سُودُ الْخُطُوبِ فَأَبْيَضُ الْأَفْعَالِ (٤)
مَنَحَ ابْتِدَاءً رَافِعًا خَبَرَ النَّدَى ... وَكَفَى الْوُجُوهَ مَئُونَةَ التَّسْآلِ
كَثُرَتْ صَنَائِعُهُ فَقَلَّ نَظِيرُهُ ... وَكَذَا الْبُدُورُ قَلِيلَةُ الْأَمْثَالِ

---

(١) أي التعلق (٢) مراشفه: شفاهه. وصال: جال وحمل، والعسال: الرمح، والمراد أن قده الشبيه بالرمح العسال حمى ريقته الشبيهة بالعسل (٣) أي غير منقبض ومنزو. والمطل: التسويف، وغير مطال من الاطالة: أي غير ممتد.
(٤) خضر الجناب: كثير الخير، ودجت: أظلمت واشتدت، وأبيض الأفعال: حسنها

وَحَوَتْ أَزِمَّةَ دِجْلَةٍ أَعْمَالُهُ   وَكَذَا الْجِنَانُ تُحَازُ بِالْأَعْمَالِ [١]
حَاطَ الْعُلَا فَرِمَاحُهُ أَقْلَامُهُ   حَيْثُ الْمِدَادُ لَهَا رُءُوسُ نِصَالِ
فِي لَيْلِ ذَاكَ النِّقْسِ [٢] تَطْرُقُنَا الْمُنَى
فَكَأَنَّهُ فِي الْهُدْىِ طَيْفُ خَيَالِ
يَحْكِي بَيَاضُ الطِّرْسِ تَحْتَ سَوَادِهِ
أَسْرَارَ [٣] صُبْحٍ فِي صُدُورِ لَيَالِي

وَابْنُ الْبَرَفْطِيِّ هَذَا أَوْحَدُ عَصْرِنَا فِي حُسْنِ الْخَطِّ وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي التَّحْرِيرِ، قَدْ تَخَرَّجَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَسَافَرَ إِلَى دِمَشْقَ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ كُتَّابُهَا وَأَقَامَ بِحَلَبَ مُدَّةً مَدِيدَةً ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ، وَهُوَ صَدِيقُنَا أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَشْعَاراً مِنْهَا مَا أَثْبَتُّهُ. وَحَفَزَهُ [٤] السَّفَرُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَامِنِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ إِلَى تُسْتَرَ صُحْبَةَ الْأَمِيرِ ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ ابْنَيِ الْأَمِيرِ الْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا وَلَّاهُمَا أَرْضَ خُوزِسْتَانَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِمَا أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ، تَقَدَّمَ إِلَى ابْنِ الْبَرَفْطِيِّ بِالْخُرُوجِ فِي خِدْمَتِهِمَا وَالْكَوْنِ فِي جُمْلَتِهِمَا لِيَكْتُبَا عَلَيْهِ وَيُصْلِحَا خَطَّهُمَا بِهِ وَيَكُونَ

(١) الجنان: جمع جنة، وتحاز: تملك (٢) النقس: المداد
(٣) اسرار الصبح: خفاؤه (٤) أي ساقه.

مُعلماً لهما ، وهو دمِثُ الأَخلاقِ حسنُ العِشْرةِ، لينُ الكلامِ قصيرٌ من الرِّجالِ فيهِ دهاءٌ[1]، وكانَ فى أوّلِ أمْرِهِ مُعلماً ، فلما جادَ خطُّهُ صارَ مُحرِّراً ، وكانَ يُبالِغُ فى أثمانِ خُطوطِ ابْنِ البوّابِ تحصلَ لهُ منها ما لمْ يحصُلْ لأحدٍ غيرِهِ. وجدْتُ عِندهُ أكثرَ من عِشرينَ قِطعةً بخطِّهِ أرانيها .

وحدَّثني قالَ : بلغني عنْ رجلٍ مُعلّمٍ فى بعضِ محالِّ بغدادَ أنَّ عِندهُ جزازاً كثيراً ورِثهُ عنْ أبيهِ ، فخُيِّلَ لى أنهُ لا يخلو من شىءٍ من الخُطوطِ المنْسوبةِ ، فمضيتُ إليهِ وقلتُ لهُ : أحبُّ أنْ تُريني ما خلّفَ لكَ والدُكَ عسى أنْ أشترى منهُ شيئاً ، فصعِدَ بي إلى غُرفةٍ وجلستُ أُفتّشُ حتى وقعَ بيدى ورقةٌ بخطِّ ابنِ البوّابِ[2] قلمِ الرِّقاعِ أرانيها أيضاً، فضممْتُ إليها شيئاً آخرَ لا حاجةَ بي إليهِ وقلتُ لهُ: بكمْ هذا؟ فقالَ لى يا سيّدى : ما صلحَ لكَ فى هذا كلِّهِ شىءٌ آخرُ؟ فقلتُ لهُ: أنا السّاعةَ مُستعْجلٌ، ولعلّى أعودُ إليكَ مرةً أُخرى . فقالَ : هذا الّذى اخترْتَهُ لا قيمةَ لهُ خُذْهُ هِبةً منّى . فقلْتُ : لا أفعلُ وأعطيتُهُ قِطعةَ قُراضةٍ[3] مقدارُها نصفُ دانِقٍ[4] ،

---

(١) الدهاء : النكر وجودة الرأى والأدب (٢) بهامش الأصل « سقط هنا بعض الكلام » (٣) أى ما سقط بالقرض ، كقراضة الذهب أو الثوب .

(٤) الدانق سدس الدرهم كالدنيق .

فَاسْتَكْثَرَهَا وَقَالَ: يَا سَيِّدِى مَا أَخَذْتَ شَيْئًا يُسَاوِى هذَا الْمِقْدَارَ خُذْ شَيْئًا آخَرَ، فَقُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِى فِى شَىْءٍ آخَرَ، ثُمَّ نَزَلْتُ مِنْ غُرْفَتِهِ فَاسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ هذَا مُخَادَعَةٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ بَاعَنِى مَا جَهِلَهُ، وَوَاللهِ لَا جَعَلْتُ حَقَّ خَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ أَنْ يُشْتَرَى بِالْمُخَادَعَةِ، فَعُدْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: يَا أَخِى هٰذِهِ الْوَرَقَةُ بِخَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ. فَقَالَ: وَإِذَا كَانَتْ بِخَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ أَىَّ شَىْءٍ أَصْنَعُ؟ قُلْتُ لَهُ: قِيمَتُهَا ثَلَاثَةُ دَنَانِيرَ إِمَامِيَّةً. فَقَالَ: يَا سَيِّدِى لَا تَسْخَرْ بِى، وَلَعَلَّكَ قَدْ عَزَمْتَ عَلَى رَدِّهَا خُذْهَا وَحُطَّ الذَّهَبَ. فَقُلْتُ: بَلْ أَحْضِرْ مِيزَانًا لِلذَّهَبِ فَأَحْضَرَهَا، فَوَزَنْتُ لَهُ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ وَقُلْتُ لَهُ: بِعْتَنِى هذَا بِهذَا؟ فَقَالَ: بِعْتُكَ، فَأَخَذْتُهَا وَانْصَرَفْتُ.

﴿٨٣ — مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِىُّ الْإِمَامُ *﴾

محمد بن إدريس الشافعى

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَىِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ

(*) ترجم له فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج ثان ص ٤٤٧ بترجمة ضافية، وترجم له أيضاً فى طبقات القراء ج ثان ص ٩٥ بترجمة مسهبة جداً، وترجم له كذلك فى طبقات المفسرين ص ٢٢٧ .

مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ أُدِّ ابْنِ أُدَدَ .

وَهَاشِمٌ هَذَا الَّذِي فِي نَسَبِ الشَّافِعِيِّ لَيْسَ هُوَ هَاشِماً جَدَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذَاكَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، فَهَاشِمٌ هَذَا هُوَ ابْنُ أَخِي ذَاكَ . وُلِدَ فِيمَا حَكَاهُ الشَّافِعِيُّ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ قَالَ : وُلِدْتُ بِغَزَّةَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَحُمِلْتُ إِلَى مَكَّةَ وَأَنَا ابْنُ سَنَتَيْنِ قَالَ : وَكَانَتْ أُمِّي مِنَ الْأَزْدِ ، وَغَزَّةُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ : وُلِدْتُ بِعَسْقَلَانَ ، وَعَسْقَلَانُ مِنْ غَزَّةَ عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ وَكِلَاهُمَا مِنْ فِلَسْطِينَ .

وَكَانَ مَوْلِدُ الشَّافِعِيِّ يَوْمَ مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ ، وَلَا اخْتِلَافَ فِي أَنَّ وَفَاةَ أَبِي حَنِيفَةَ كَانَتْ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ . وَمَاتَ الشَّافِعِيُّ — رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ — فِي رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَكَانَ قُدُومُهُ مِصْرَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ .

وَقَدْ رَوَى الزَّعْفَرَانِيُّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ بْنِ الشَّافِعِيِّ : أَنَّ الشَّافِعِيَّ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ : وُلِدْتُ بِالْيَمَنِ فَخَافَتْ أُمِّي عَلَيَّ الضَّيْعَةَ ، فَحَمَلَتْنِي إِلَى

مَكَّةَ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ عشرٍ أَوْ شَبِيهٌ بِذَلِكَ ، وَتَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ بِالْيَمَنِ، بِأَرْضٍ أَهْلُهَا وَسُكَّانُهَا قبائِلُ الْيَمَنِ . وَبِلادُ غَزَّةَ وَعَسْقَلانَ كُلُّهَا مِنْ قَبَائِلِ الْيَمَنِ وَبُطُونِهَا . قُلْتُ وَهَذَا عِنْدِي تَأْوِيلٌ حَسَنٌ إِنْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ ، وَإِلَّا فَلاشَكَّ أَنَّه وُلِدَ بِغَزَّةَ وَانْتَقَلَ إِلَى عَسْقَلانَ إِلَى أَنْ تَرَعْرَعَ . وَأَمَّا طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ ، فَحَدَّثَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْيَمَنِ فَلَقِيَ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ وَهُوَ مُسْتَحَضٌّ فِي طَلَبِ الشِّعْرِ وَالنَّحْوِ وَالْغَرِيبِ. قَالَ فَقُلْتُ لَهُ :إِلَى كَمْ هَذَا ؟ لَوْ طَلَبْتَ الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ كَانَ أَمْثَلَ بِكَ ، وَانْصَرَفْتُ بِهِ مَعِي إِلَى الْمَدِينَةِ فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَأَوْصَيْتُهُ بِهِ . قَالَ : وَكَانَ فَتًى حُلْوًا . قَالَ: فَمَا تَرَكَ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ إِلَّا الْأَقَلَّ ، وَلا عِنْدَ شَيْخٍ مِنْ مَشَايِخِ الْمَدِينَةِ إِلَّا جَمَعَهُ ، ثُمَّ شَخَصَ إِلَى الْعِرَاقِ فَانْقَطَعَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فَحَمَلَ عَنْهُ ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ سِنِينَ . قَالَ : فَخَرَجْتُ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَكَلَّمْتُ لَهُ ابْنَ دَاوُدَ وَعَرَّفْتُهُ حَالَهُ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ .

حَدَّثَ الآبُرِىُّ ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَاصِمٍ الآبُرِىُّ السِّجْزِيُّ (١) قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ

(١) الآبرى بهمزة ممدودة وضم الباء : نسبة إلى مدينة آبر ، والسجزى بالفتح أو الكسر مع السكون : نسبة سماعية إلى إقليم سجستان ، ولقب محمد الذى ذكر هو الحافظ .

إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُوَلَّدِ الرَّقِّيَّ يَحْكِي عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى الْبَصْرِيِّ ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ جَبْرِيَةَ النَّيْسَابُورِيِّ كِلَاهُمَا عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ فِي الْحِكَايَةِ .

قَالَ الرَّبِيعُ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : كُنْتُ أَنَا فِي الْكُتَّابِ أَسْمَعُ الْمُعَلِّمَ يُلَقِّنُ الصَّبِيَّ الْآيَةَ فَأَحْفَظُهَا أَنَا ، وَلَقَدْ كُنْتُ - وَيَكْتُبُونَ أَئِمَّتَهُمْ[1] فَإِلَى أَنْ يَفْرُغَ الْمُعَلِّمُ مِنَ الْإِمْلَاءِ عَلَيْهِمْ - قَدْ حَفِظْتُ جَمِيعَ مَا أَمْلَى ، فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ : مَا يَحِلُّ لِي أَنْ آخُذَ مِنْكَ شَيْئًا . قَالَ : ثُمَّ لَمَّا خَرَجْتُ مِنَ الْكُتَّابِ كُنْتُ أَتَلَقَّطُ الْخَزَفَ[2] وَالدُّفُوفَ[3] وَكَرَبَ النَّخْلِ[4] وَأَكْتَافَ الْجِمَالِ[5] ، أَكْتُبُ فِيهَا الْحَدِيثَ وَأَجِيءُ إِلَى الدَّوَاوِينِ فَأَسْتَوْهِبُ مِنْهَا الظُّهُورَ[6] فَأَكْتُبُ فِيهَا حَتَّى كَانَتْ لِأُمِّي حِبَابٌ[7] فَمَلَأْتُهَا أَكْتَافًا وَخَزَفًا وَكَرَبًا مَمْلُوءَةً حَدِيثًا ، ثُمَّ إِنِّي خَرَجْتُ عَنْ مَكَّةَ فَلَزِمْتُ هُذَيْلًا فِي الْبَادِيَةِ أَتَعَلَّمُ كَلَامَهَا وَآخُذُ طَبْعَهَا وَكَانَتْ أَفْصَحَ الْعَرَبِ . قَالَ : فَبَقِيتُ فِيهِمْ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ،

---

(١) الواو للحال ، والضمير للصبية ، والأئمة جمع إمام : وهو مايتعلمه الغلام كل يوم من القرآن (٢) الخزف : الآجر وكل ما عمل من طين وشوى حتى يكون فخاراً

(٣) الدفوف : الجلود التي يعمل منها الطبل والفهامات جمع دف (٤) وكرب النخل : أصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معها ، الواحدة كربة .

(٥) أكتاف الجمال جمع كتف : عظم عريض خلف المنكب (٦) أى الأوراق

(٧) حباب : جمع حب ، وبهامش الأصل « أى جرار جمع جرة » .

أَرْحَلُ بِرَحِيلِهِمْ وَأَنْزِلُ بِنُزُولِهِمْ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مَكَّةَ جَعَلْتُ أُنْشِدُ الأَشْعَارَ وَأَذْكُرُ الآدَابَ وَالأَخْبَارَ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ ، فَمَرَّ بِي رَجُلٌ مِنَ الزُّبَيْرِيِّينَ مِنْ بَنِي عَمِّي فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِاللهِ : عَزَّ عَلَيَّ أَلَّا يَكُونَ مَعَ هَذِهِ اللُّغَةِ وَهَذِهِ الْفَصَاحَةِ وَالذَّكَاءِ فِقْهٌ ، فَتَكُونَ قَدْ سُدْتَ أَهْلَ زَمَانِكَ ، فَقُلْتُ : فَمَنْ بَقِيَ نَقْصِدُ ؟ فَقَالَ لِي : مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ . قَالَ : فَوَقَعَ فِي قَلْبِي فَعَمَدْتُ إِلَى الْمُوَطَّإِ فَاسْتَعَرْتُهُ مِنْ رَجُلٍ بِمَكَّةَ فَحَفِظْتُهُ فِي تِسْعِ لَيَالٍ ظَاهِراً قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَى وَالِي مَكَّةَ وَأَخَذْتُ كِتَابَهُ إِلَى وَالِي الْمَدِينَةِ ، وَإِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَبْلَغْتُ الْكِتَابَ إِلَى الْوَالِي ، فَلَمَّا أَنْ قَرَأَ قَالَ : يَا فَتَى إِنَّ مَشْيِي مِنْ جَوْفِ الْمَدِينَةِ إِلَى جَوْفِ مَكَّةَ حَافِياً رَاجِلاً أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنَ الْمَشْيِ إِلَى بَابِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، فَلَسْتُ أَرَى الذُّلَّ حَتَّى أَقِفَ عَلَى بَابِهِ . فَقُلْتُ : ـ أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ـ ، إِنْ رَأَى الأَمِيرُ يُوَجِّهُ إِلَيْهِ لِيَحْضُرَ . قَالَ : هَيْهَاتَ ، لَيْتَ أَنِّي إِذَا رَكِبْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِي وَأَصَابَنَا مِنْ تُرَابِ الْعَقِيقِ نِلْنَا بَعْضَ حَاجَتِنَا . قَالَ فَوَاعَدْتُهُ الْعَصْرَ وَرَكِبْنَا جَمِيعاً ، فَوَاللهِ لَكَانَ كَمَا قَالَ : لَقَدْ أَصَابَنَا مِنْ تُرَابِ الْعَقِيقِ . قَالَ : فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ فَقَرَعَ الْبَابَ فَخَرَجَتْ إِلَيْنَا جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ

فَقَالَ لَهَا الْأَمِيرُ : قُولِي لِمَوْلَاكِ إِنِّي بِالْبَابِ . قَالَ : فَدَخَلَتْ فَأَبْطَأَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ فَقَالَتْ : إِنَّ مَوْلَايَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ : إِنْ كَانَتْ مَسْأَلَةٌ فَارْفَعْهَا فِي رُقْعَةٍ يَخْرُجْ إِلَيْكَ الْجَوَابُ ، وَإِنْ كَانَ لِلْحَدِيثِ فَقَدْ عَرَفْتَ يَوْمَ الْمَجْلِسِ فَانْصَرِفْ ، فَقَالَ لَهَا : قُولِي لَهُ : إِنَّ مَعِي كِتَابَ وَالِي مَكَّةَ إِلَيْهِ فِي حَاجَةٍ مُهِمَّةٍ . قَالَ : فَدَخَلَتْ وَخَرَجَتْ وَفِي يَدِهَا كُرْسِيٌّ فَوَضَعَتْهُ ، ثُمَّ إِذَا أَنَا بِمَالِكٍ قَدْ خَرَجَ وَعَلَيْهِ الْمَهَابَةُ وَالْوَقَارُ ، وَهُوَ شَيْخٌ طَوِيلٌ مَسْنُونُ اللِّحْيَةِ (١) فَجَلَسَ وَهُوَ مُتَطَلِّسٌ (٢) فَرَفَعَ إِلَيْهِ الْوَالِي الْكِتَابَ ، فَبَلَغَ إِلَى هَذَا « إِنَّ هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَمْرِهِ وَحَالِهِ (٣) فَتُحَدِّثُهُ وَتَفْعَلُ وَتَصْنَعُ (٤) » رَمَى بِالْكِتَابِ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! أَوَصَارَ عِلْمُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْخَذُ بِالْوَسَائِلِ ؟ قَالَ : فَرَأَيْتُ الْوَالِيَ وَقَدْ تَهَيَّبَهُ أَنْ يُكَلِّمَهُ فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ : ـ أَصْلَحَكَ اللهُ ـ إِنِّي رَجُلٌ مُطَّلِبِيٌّ وَمِنْ حَالِي وَقِصَّتِي ، فَلَمَّا أَنْ سَمِعَ كَلَامِي نَظَرَ إِلَيَّ سَاعَةً وَكَانَتْ لِمَالِكٍ (٥) فِرَاسَةٌ فَقَالَ لِي : مَا اسْمُكَ ؟ قُلْتُ : مُحَمَّدٌ . فَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ ، اتَّقِ اللهَ

---

(١) أي طويلها (٢) أي لابس الطيلسان : وهو كساء مدور أخضر لا أسفل له معرب تالسان بالفارسية ، والجمع طيالسة (٣) بهامش الأصل « لعله سقط كذا وكذا » (٤) بهامش الأصل « لعله سقط ثم » (٥) بالكسر اسم من التفرس وهو المراد ، أما بالفتح : فالحذق بركوب الخيل وأمرها كالفروسة والفروسية .

وَاجْتَنِبِ الْمَعَاصِيَ ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ مِنَ الشَّأْنِ ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةً ، إِذَا كَانَ غَداً تَجِيءُ وَيَجِيءُ مَنْ يَقْرَأُ لَكَ . قَالَ : فَقُلْتُ أَنَا أَقُومُ بِالْقِرَاءَةِ . قَالَ : فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ وَابْتَدَأْتُ أَنْ أَقْرَأَهُ ظَاهِراً وَالْكِتَابُ فِي يَدِي ، فَكُلَّمَا تَهَيَّبْتُ مَالِكاً وَأَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ أَعْجَبَهُ حُسْنُ قِرَاءَتِي وَإِعْرَابِي (١) فَيَقُولُ : يَا فَتَى زِدْ حَتَّى قَرَأْتُهُ فِي أَيَّامٍ يَسِيرَةٍ ، ثُمَّ أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى تُوُفِّيَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الْيَمَنِ فَارْتَفَعَ لِي بِهَا الشَّأْنُ ، وَكَانَ بِهَا وَالٍ مِنْ قِبَلِ الرَّشِيدِ وَكَانَ ظَلُوماً غَشُوماً ، وَكُنْتُ رُبَّمَا آخُذُ عَلَى يَدَيْهِ وَأَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ . قَالَ : وَكَانَ بِالْيَمَنِ تِسْعَةٌ مِنَ الْعَلَوِيَّةِ قَدْ تَحَرَّكُوا (٢) وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَإِنَّ هَهُنَا رَجُلاً مِنْ وَلَدِ شَافِعٍ الْمُطَّلِبِ (٣) لَا أَمْرَ لِي مَعَهُ وَلَا نَهْيَ . قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْهِ هَارُونُ : أَنْ احْمِلْ هَؤُلَاءِ وَاحْمِلِ الشَّافِعِيَّ مَعَهُمْ فَقُرِنْتُ مَعَهُمْ . قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ أُدْخِلْنَا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ . قَالَ : فَدَعَا هَارُونُ بِالنِّطْعِ (٤) وَالسَّيْفِ وَضَرَبَ رِقَابَ الْعَلَوِيَّةِ ، ثُمَّ الْتَفَتَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا

---

(١) أي إفصاحي مع عدم اللحن في الاعراب (٢) بهامش الأصل « قد سقطت جملة معناها فكتب الوالي إلى الخليفة يقول : إن أناسا من العلوية قد تحركوا »

(٣) بهامش الأصل « لعله المطلبي » (٤) النطع : بساط من الأديم

المُطلبيُّ، لا يغلبنّكَ بفصاحته فإنّهُ رَجلٌ لسِنٌ. فقلتُ مهلاً يا أميرَ المؤمنينَ فإنكَ الداعِي وأنا المدْعوُّ، وأنتَ القادِرُ عَلى ما تُريدُ مِنّي، ولستُ القادرَ على ما أُريدُهُ منكَ، يا أميرَ المؤمنينَ، ما تقولُ في رَجلينِ: أحدُهما يرانِي أخاهُ، والآخرُ يرانِي عبدَهُ، أيُّهما أحبُّ إليَّ؟ قالَ: الذِي يراكَ أخاهُ. قالَ: قلتُ فذاكَ أنتَ يا أميرَ المؤمنينَ. قالَ فقالَ لِي: كيفَ ذاكَ؟ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، إنكُمْ ولدُ العبّاسِ، وهُمْ ولدُ عليٍّ، ونحنُ بنو المُطّلبِ، فأنتُمْ ولدُ العبّاسِ ترونَنا إخوتَكُمْ وهُمْ يرونَنا عبيدَهُمْ. قالَ: فسُرّيَ ما كانَ بهِ فاستوَى جالساً فقالَ: يا ابْنَ إدريس: كيفَ علمُكَ بالقرآنِ؟ قلتُ عنْ أيِّ علومِهِ تسألُني؟ عنْ حفظِهِ فقدْ حفظتُهُ ووعيتُهُ بينَ جنبَيَّ وعرفتُ وقفَهُ وابتداءَهُ، وناسخَهُ ومنسوخَهُ وليليَّهُ ونهاريَّهُ ووحشيَّهُ وإنسيَّهُ، وما خُوطبَ بهِ العامُّ يُرادُ بهِ الخاصُّ، وما خُوطبَ بهِ الخاصُّ يُرادُ بهِ العامُّ.

فقالَ لِي: واللهِ يابْنَ إدريسَ لقدِ ادّعيتَ علماً فكيفَ علمُكَ بالنجومِ؟ فقلتُ: إنّي لأعرفُ منها البرّيَّ من البحريِّ، والسهليَّ والجبليَّ والفيلَقَ (١) والمُصبحَ وما تجبُ معرفتُهُ. قالَ: فكيفَ

(١) بهامش الأصل «كلمة يونانية».

عِلْمُكَ بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ . قَالَ : فَقُلْتُ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَنْسَابَ اللِّئَامِ وَأَنْسَابَ الْكِرَامِ وَنَسَبِي وَنَسَبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَقَدِ ادَّعَيْتَ عِلْماً فَهَلْ مِنْ مَوْعِظَةٍ تَعِظُ بِهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : فَذَكَرْتُ مَوْعِظَةً لِطَاوُسَ الْيَمَانِيِّ فَوَعَظْتُهُ بِهَا ، فَبَكَى وَأَمَرَ لِي بِخَمْسِينَ أَلْفاً وَحُمِلْتُ عَلَى فَرَسٍ وَرَكِبْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَخَرَجْتُ ، فَمَا وَصَلْتُ الْبَابَ حَتَّى فَرَّقْتُ الْخَمْسِينَ أَلْفاً عَلَى حُجَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَوَّابِيهِ . قَالَ : فَلَحِقَنِي هَرْثَمَةُ وَكَانَ صَاحِبَ هَارُونَ فَقَالَ: اقْبَلْ هَذِهِ مِنِّي . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي لَا آخُذُ الْعَطِيَّةَ مِمَّنْ هُوَ دُونِي ، وَإِنَّمَا آخُذُهَا مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي . قَالَ: فَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ (١) .

قَالَ: وَخَرَجْتُ كَمَا أَنَا حَتَّى جِئْتُ مَنْزِلِي فَوَجَّهْتُ إِلَى كَاتِبِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَسَنِ بِمِائَةِ دِينَارٍ وَقُلْتُ : اجْمَعِ الْوَرَّاقِينَ اللَّيْلَةَ عَلَى كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ وَانْسَخْهَا لِي وَوَجِّهْ بِهَا إِلَيَّ . قَالَ : فَكُتِبَتْ لِي وَوُجِّهَ بِهَا إِلَيَّ .

قَالَ : اجْتَمَعْنَا أَنَا وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَلَى بَابِ هَارُونَ وَكَانَ يَجْلِسُ فِيهِ الْقُضَاةُ وَالْأَشْرَافُ وَوُجُوهُ النَّاسِ إِلَى أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ . قَالَ: وَاجْتَمَعْنَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . قَالَ : وَفِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَقُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَالْخَلْقُ يُعَظِّمُونَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ لِقُرْبِهِ مِنْ

---

(١) أي فغضب .

أَميرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَمَكُّنِهِ . قَالَ : فَانْدَفَعَ يُعَرِّضُ بِي وَيَذُمُّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : مَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ؟ وَأَيَّ شَيْءٍ يُحْسِنُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ؟ وَاللهِ لَقَدْ وَضَعْتُ كِتَاباً عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا لَا يُخَالِفُنِي فِيهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَداً يُخَالِفُنِي فِي كِتَابِي هَذَا تُبْلِغُنِي إِلَيْهِ آبَاطُ الْإِبِلِ[1] لَصِرْتُ حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : فَقُلْتُ إِنْ أَنَا سَكَتُّ نَكَّسْتُ رُءُوسَ مَنْ هَاهُنَا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَإِنْ أَنَا رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَسْخَطْتُ عَلَيَّ السُّلْطَانَ ، ثُمَّ إِنِّي أُسْتَخَرْتُ اللهَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ ، فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : — أَصْلَحَكَ اللهُ — ، طَعْنُكَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَذَمُّكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ؟ إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ[2] رَجُلاً وَاحِداً وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، فَأَلَّا[3] ذَكَرْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ بِعَيْنِهِ وَلَمْ تَطْعَنْ عَلَى أَهْلِ حَرَمِ اللهِ وَحَرَمِ رَسُولِهِ وَكُلُّهُمْ عَلَى خِلَافِ مَا ادَّعَيْتَهُ ، وَأَمَّا كِتَابُكَ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنَّكَ وَضَعْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَكِتَابُكَ مِنْ بَعْدِ « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » خَطَأٌ إِلَى آخِرِهِ ، قُلْتَ فِي شَهَادَةِ الْقَابِلَةِ كَذَا وَكَذَا وَهُوَ خَطَأٌ ، وَفِي مَسْأَلَةِ الْحَامِلِ كَذَا وَكَذَا وَهُوَ خَطَأٌ ، وَقُلْتَ فِي مَسْأَلَةِ كَذَا ، كَذَا وَكَذَا وَهُوَ خَطَأٌ ، فَاصْفَرَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ وَلَمْ يُحِرْ جَوَاباً . وَكَتَبَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ

(١) يريد ضرب آباط الإبل كناية عن طول المسافة . (٢) بهامش الأصل : لعله سقط « به » ولكن لاحاجة إلى ذلك . (٣) ألا : حرف تحضيض كهلا .

إِلَى الرَّشِيدِ بِمَا كَانَ فَضَحِكَ وَقَالَ : مَاذَا تُنْكِرُ لِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ الْمُطَّلِبِ أَنْ يَقْطَعَ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ (١) . قَالَ : فَعَارَضَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ دَخَلَ مَنْزِلَ رَجُلٍ فَرَأَى بَطَّةً فَفَقَأَ عَيْنَهَا ، مَاذَا يَجِبُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ قُلْتُ : يَنْظُرُ إِلَى قِيمَتِهَا وَهِيَ صَحِيحَةٌ وَقِيمَتِهَا وَقَدْ ذَهَبَتْ عَيْنُهَا ، فَيَقُومُ مَا بَيْنَ الْقِيمَتَيْنِ ، وَلَكِنْ مَا تَقُولُ أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فِي رَجُلٍ مُحْرِمٍ نَظَرَ إِلَى فَرْجِ امْرَأَةٍ فَأَنْزَلَ ؟ قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ لِمُحَمَّدٍ حَذَاقَةٌ بِالْمَنَاسِكِ (٢) . قَالَ : فَصَاحَ بِهِ مُحَمَّدٌ وَقَالَ لَهُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَسْأَلْهُ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُدْخِلْنَا عَلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا أَنِ اسْتَوَيْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لِي (٣) : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، تَسْأَلُ أَوْ أَسْأَلُ ؟ قَالَ : قُلْتُ ذَاكَ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ أَوَاجِبَةٌ هِيَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : وَلِمَ ؟ فَقُلْتُ : لِقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ » . فَدَلَّ أَنَّهَا وَاجِبَةٌ . قَالَ : وَمَا تُنْكِرُ مِنْ قَائِلٍ قَالَ لَكَ : إِنَّمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِيهِمْ ، فَلَمَّا زَالَ عَنْهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَالَتْ تِلْكَ الصَّلَاةُ ؟ فَقُلْتُ : وَكَذَلِكَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) أن يقطع الخ : أي أن يسكته بالحجة . (٢) المناسك : عبادات الحج .

(٣) بهامش الأصل «أي محمد بن الحسن»

لِنَبِيِّهِ : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » فَلَمَّا أَنْ زَالَ عَنْهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَالَتْ عَنْهُمُ الصَّدَقَةُ ؟ فَقَالَ : لَا . قُلْتُ : وَمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمَأْمُورُ بِهِمَا جَمِيعاً ؟ قَالَ : فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَا أَجْرَأَكُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ ؟ فَقُلْتُ : الْأَجْرَأُ عَلَى كِتَابِ اللهِ مَنْ خَالَفَهُ . قَالَ : فَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ » ، فَقُلْتُمْ أَنْتُمْ : نَقْضِي بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ (١) ، فَقُلْتُ : لَكِنَّا نَقُولُ بِمَا قَالَ اللهُ ، وَنَقْضِي بِمَا قَضَى بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنَّكَ أَنْتَ إِذَا خَالَفْتَ قَضَاءَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ خَالَفْتَ كِتَابَ اللهِ . قَالَ : وَأَيْنَ لَكُمْ رَدُّ الْيَمِينِ ؟ قَالَ : قُلْتُ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : وَأَيْنَ ؟ قُلْتُ : قِصَّةُ حُوَيْصَةَ وَمُحَيْصَةَ وَعَبْدِالرَّحْمَنِ حِينَ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ الْقَتِيلِ : تَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ صَاحِبِكُمْ ؟ قَالُوا : لَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نُعَايِنْ ؟ قَالَ : فَيَحْلِفُ لَكُمْ يَهُودُ ، فَلَمَّا أَنْ نَكَلُوا (٢) رَدَّ الْيَمِينَ إِلَى الْيَهُودِ . قَالَ : فَقَالَ لِي : إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ اسْتِفْهَاماً مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا

(١) بهامش الأصل « قد أطنب الشافعي في الجزأين السادس والسابع من أمه ، مدافعا عن رأيه في هذه المسألة »

(٢) أي جبنوا وامتنعوا من الحلف .

بِحَضْرَتِكَ يَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْهِمُ مِنَ الْيَهُودِ. فَقَالَ الرَّشِيدُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَابْنَ الْحَسَنِ، رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْهِمُ مِنَ الْيَهُودِ؟. نِطَعٌ وَسَيْفٌ، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْجِدَّ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قُلْتُ مَهْلاً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الْخَصْمَيْنِ إِذَا اجْتَمَعَا تَكَلَّمَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا لَا يَعْتَقِدُهُ لِيَقْطَعَ بِهِ صَاحِبَهُ، وَمَا أَرَى أَنَّ مُحَمَّداً يَرَى نَقْصاً لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ. قَالَ: فَسَرَّيْتُ عَنْهُ. قَالَ: ثُمَّ رَكِبْنَا جَمِيعاً وَخَرَجْنَا مِنَ الدَّارِ. قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ فَعَلْتَهَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ فَكَيْفَ رَأَيْتَهَا بَعْدَ ذَلِكَ؟.

وَلِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ مُنَاظَرَاتٌ فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ، اقْتَصَرْنَا عَلَى هَذِهِ قَصْداً لِلِاخْتِصَارِ.

﴿ مُنَاظَرَةُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ مَعَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴾

نَقَلْتُ مِنْ تَارِيخِ نَيْسَابُورَ لِلْحَاكِمِ، وَمِنْ كِتَابِ مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ لِلْآبُرِيِّ، وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ قَصْداً لِلِاخْتِصَارِ مَعَ نِسْبَةِ كُلِّ قَوْلٍ إِلَى قَائِلِهِ.

حَدَّثَ الْآبُرِيُّ بِإِسْنَادِهِ: قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ نَكْتُبُ أَحَادِيثَ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، فَجَاءَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَقَالَ لِي يَا أَبَا يَعْقُوبَ: قُمْ حَتَّى أُرِيكَ رَجُلاً لَمْ

تَرَ عَيْنَاكَ مِثْلَهُ. قَالَ: فقمْتُ فَأَتَى بِي فِناءَ زَمْزَمٍ فإذا هُنَاكَ رَجُلٌ عليه ثِيَابٌ بِيضٌ تَعلو وَجْهَهُ السُّمْرَةُ، حَسَنُ السَّمْتِ، حَسَنُ العقلِ، وأجلسني إِلَى جَانِبِهِ فقالَ لَهُ: يا أبا عَبْدِ اللهِ، هَذَا إسحاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ الحَنْظَلِيُّ فرَحَّبَ بِي وَحَيَّانِي، فذاكرتُهُ وَذَاكَرَنِي فانفجرَ لِي مِنْهُ عِلْمٌ أَعْجَبَنِي حِفْظُهُ[1] قالَ: فلمّا أنْ طَالَ مَجْلِسُنَا قلتُ لَهُ: يا أبا عبدِ اللهِ قُمْ بِنَا إِلَى الرَّجُلِ، قَالَ: هَذَا هُوَ الرَّجُلُ، فقلتُ يا سُبْحَانَ اللهِ، أقمتَنا من عِنْدِ رَجُلٍ يقولُ: « حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ » فما توهمْتُ إلَّا أنْ تأتيَ بِنَا إِلَى رَجُلٍ مِثْلِ الزُّهْرِيِّ أَوْ قَرِيبٍ[2] مِنْهُ. فأتيتَ بنا إلى هذا الشابِّ « أَوْ هَذَا الحَدَثِ[3] » فقالَ لِي يا أبا يعقوبَ: اقتبسْ مِنَ الرَّجُلِ، فإنَّهُ مارأتْ عيناي مِثْلَهُ. قالَ الآبُرِيُّ: قالَ إسحاقُ: فسألتُهُ عن سُكْنَى بُيُوتِ مَكَّةَ « أَرادَ الكِرَى[4] » فقالَ جائزٌ. فقلتُ: إي يَرْحَمُكَ اللهُ، وجعلتُ أذكرُ لَهُ الحديثَ عن عائشةَ وعبدِ الرَّحمنِ وعُمَرَ وأصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ومَنْ كَرِهَ كِرَى بُيُوتِ مكَّةَ وهو ساكتٌ يَسْمَعُ وأنا

---

(١) كانت فى الأصل: « علم أعجبه حفظى » وعلق عليه الهامش بقوله: « هكذا فى الأصل، ولعل الصواب: علم عجز عنه حفظى أو علم أعجبنى حفظه » وقد أخترنا الثانى لأنه أقرب تحريفا . (٢) بالأصل: « قريبا » خطأ عربية (٣) بالأصل « الحديث » تحريف (٤) الكرى: إيجار الدار للغير، وكذا الدابة

أَسْرُدُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا فرغتُ سَكَتَ سَاعَةً وَقَالَ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : هَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ أَوْ دَارٍ ؟ قَالَ : فَوَاللهِ مَا فَهِمْتُ عَنْهُ مَا أَرَادَ بِهَا وَلَا أَرَى أَنَّ أَحَدًا فَهِمَهُ . قَالَ الْحَاكِمُ : فَقَالَ إِسْحَاقُ : أَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ فَقَالَ نَعَمْ ، فَقُلْتُ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ هِشَامٍ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى ذَلِكَ ، وَأَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى ذَلِكَ . قَالَ الْحَاكِمُ : وَلَمْ يَكُنِ الشَّافِعِيُّ عَرَفَ إِسْحَاقَ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ لِبَعْضِ مَنْ عَرَفَهُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَنْظَلِيُّ بْنِ رَاهَوَيْهِ الْخُرَاسَانِيُّ . فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ : أَنْتَ الَّذِي يَزْعُمُ أَهْلُ خُرَاسَانَ أَنَّكَ فَقِيهُهُمْ ؟ قَالَ إِسْحَاقُ : هَكَذَا يَزْعُمُونَ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : مَا أَحْوَجَنِي أَنْ يَكُونَ غَيْرُكَ فِي مَوْضِعِكَ ، فَكُنْتُ آمُرُ بِعَرْكِ أُذُنَيْهِ . وَقَالَ الْحَاكِمُ فِي خَبَرٍ آخَرَ : قَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ : لَوْ قُلْتُ قَوْلَكَ احْتَجْتُ إِلَى أَنْ أُسَلْسِلَ ، أَنَا أَقُولُ لَكَ : « قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَأَنْتَ تَقُولُ : « عَطَاءٌ وَطَاوُسٌ وَمَنْصُورٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَالْحَسَنُ وَهَؤُلَاءِ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ » هَلْ [1] لِأَحَدٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) فى الأصل : « بل » تحريف

حُجَّةٌ ؟ . قَالَ إِسْحَاقُ لِبَعْضِ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَرَاوِزَةِ (١) بِلِسَانِهِمْ : « مَرْدَكْ لَا كَمَا لَانِيسْت (٢) » قَرْيَةٌ عِنْدَهُمْ بِمَرْوَ يَدَّعُونَ الْعِلْمَ ، وَلَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ وَاسِعٌ . وَقَالَ الْآبُرِىُّ : قَالَ إِسْحَاقُ لِبَعْضِ مَنْ مَعَهُ : الرَّجُلُ مَالَانِيٌّ ، وَمَالَانُ (٣) : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مَرْوَ أَهْلُهَا فِيهِمْ سَلَامَةٌ . قَالَ الْحَاكِمُ فِي خَبَرِهِ : فَلَمَّا سَمِعَ الشَّافِعِيُّ تَرَاطُنَهُ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ نَسَبَهُ إِلَى شَيْءٍ . فَقَالَ تُنَاظِرُ ؟ وَكَانَ إِسْحَاقُ جَرِيئًا فَقَالَ : مَاجِئْتُ إِلَّا لِلْمُنَاظَرَةِ . فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ » الْآيَةَ . نَسَبَ الدَّارَ إِلَى الْمَالِكِينَ أَوْ إِلَى غَيْرِ الْمَالِكِينَ قَالَ إِسْحَاقُ : إِلَى الْمَالِكِينَ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ أَصْدَقُ الْأَقَاوِيلِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ » ، أَنَسَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّارَ إِلَى مَالِكٍ أَوْ إِلَى غَيْرِ مَالِكٍ ؟ . قَالَ إِسْحَاقُ : إِلَى مَالِكٍ . فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : وَقَدِ اشْتَرَى

---

(١) جمع مروزى نسبة سماعية إلى مرو عاصمة خراسان ، والقياسية مروى باسكان الراء وسمع فيها الفتح كما نبه بهامشه . (٢) جاء بهامش الأصل : « يعنى : الرجل من أهل قرية لا كمالان ، وهى قرية بمرو اشتهر أهلها بسلامة الصدر والبله والغفلة وقلة التصور ، وقد أشار ياقوت الى هذه القصة فى معجم البلدان ج ٤ ص ٣٤٢ فحرفها طابعها » وكان الأولى بالهامش أن يقول فى ترجمة العبارة « الرجل لا كمالانى »

(٣) كانت فى الأصل : « مالكان » والصواب ماذكرنا ، كما نبه ياقوت فى « لا كمالان » و « مالان » ، فضلا على أنه لاتوجد قرية من قرى مرو باسم مالكان .

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ دَارَ الْحَجَّامِينَ فَأَسْكَنَهَا ، وَذَكَرَ لَهُ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَوْا دُورَ مَكَّةَ وَجَمَاعَةً بَاعُوهَا . وَقَالَ إِسْحَاقُ لَهُ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ » . فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : اقْرَأْ أَوَّلَ الْآيَةِ . قَالَ : « وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ » . قَالَ الْآبُرِيُّ : قَالَ الشَّافِعِيُّ : وَالْعُكُوفُ يَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ : « لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ » وَالْعَاكِفُونَ يَكُونُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ » ؟ فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ[1] عَزَّ وَجَلَّ : « سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ » فِي الْمَسْجِدِ خَاصٌّ ، فَأَمَّا مَنْ مَلَكَ شَيْئًا فَلَهُ أَنْ يُكْرِيَ وَأَنْ يَبِيعَ . « قَالَ الْحَاكِمُ » : وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : وَلَوْ كَانَ كَمَا تَزْعُمُ لَكَانَ لَا يَجُوزُ أَنْ تُنْشَدَ فِيهَا ضَالَّةٌ[2] وَلَا يُنْحَرَ فِيهَا الْبُدْنُ وَلَا تُنْثَرَ فِيهِ الْأَرْوَاثُ ، وَلَكِنْ هَذَا فِي الْمَسْجِدِ خَاصَّةً . قَالَ : فَسَكَتَ إِسْحَاقُ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ . وَفِي خَبَرِ الْآبُرِيِّ : فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ مَا قَالَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ أَوْ دَارٍ » ؟ . عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ فَهِمَ مَا ذَهَبَ عَنَّا[3] . قَالَ إِسْحَاقُ :

(١) بالأصل « فدل قوله » باسقاط « ذلك أن » كما نبه الهامش

(٢) الضالة : الشيء المفقود الذي تسعى وراءه (٣) أي ما غاب عنا

وَلَوْ كُنْتُ قَدْ أَدْرَكَنِي هَـذَا الْفَهْمُ وَأَنَا بِحَضْرَتِهِ لَعَرَفْتُهُ ذَاكَ ، ثُمَّ نَظَرْنَا فِي كُتُبِهِ فَوَجَدْنَا الرَّجُلَ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ .

قَالَ الْآبُرِيُّ : وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ مَا حُكِيَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ بِلِحْيَتِهِ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ : وَاحَيَائِي مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ ، يَعْنِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ .

وَمِنْ كِتَابِ الْحَاكِمِ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الْفَقِيهَ الْأَدِيبَ الشَّاشِيَّ أَبَا بَكْرٍ الْقَفَّالَ ، إِمَامَ عَصْرِهِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِلشَّافِعِيِّينَ يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ أَوَّلَ مَا قَدِمْتُ نَيْسَابُورَ وَتَكَلَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَا شَابٌّ حَدَثُ السِّنِّ فَقَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ مِنْ أَهْلِ الشَّاشِ . قَالَ لِي إِلَى مَنِ اخْتَلَفْتَ [1] ؟ . قُلْتُ إِلَى أَبِي اللَّيْثِ . قَالَ : وَأَبُو اللَّيْثِ هَذَا أَيَّ مَذْهَبٍ يَعْتَقِدُ ؟ قُلْتُ حَنْبَلِيٌّ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ قُلْ شَافِعِيٌّ ، وَهَلْ كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ إِلَّا غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِ الشَّافِعِيِّ ؟ قَالَ : وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ الْقَفَّالُ بِالشَّاشِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَمِنْ كِتَابِ الْآبُرِيِّ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرَّازِيُّ ،

---

(١) أي ترددت لطلب العلم

حدثنا الحسن بن حبيب الدمشقي عن محمود المصري وكان من أفصح الناس قال: سمعت ابن هشام. قال محمود: وما رأيت بعيني ممن فهمت عنه مثل ابن هشام. قال محمود: ورأيت الشافعي وأنا صغير. قال محمود: وسمعت ابن هشام يقول: جالست الشافعي زمانا فما سمعته تكلم بكلمة إلا(١) اعتبرها المعتبر، لا يجد كلمة في العربية أحسن منها. قال: وسمعت ابن هشام يقول: الشافعي كلامه لغة يحتج بها.

وحدثت عن الحسن بن محمد الزعفراني قال: كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية قال: فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي. قال: وسمعت أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي الفقيه ببغداد قال: سمعت حسان بن محمد يحكي عن الأصمعي أنه قال: صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي. قال: وحكى لنا عن مصعب الزبيري قال: كان أبي والشافعي يتناشدان، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظا وقال: لا تعلم بهذا أحدا من أهل الحديث فإنهم لا يحتملون

(١) بهامش الأصل « لعله إلا إذا الخ » ولكن لاحاجة إلى ذلك، ولعله كان أولى بالهامش أن يعتبر سقوط « إذ » قبل « لايجد »

هَذَا . قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَم بِهَذَا الشَّأْنِ مِنِّى ، وَقَدْ كُنتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَى الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ .

وَحَدَّثَ ابْنُ خُزَيْمَةَ قَالَ : سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ عَبْدِ الأَعْلَى يَقُولُ : كَانَ الشَّافِعِيُّ إِذَا أَخَذَ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، قُلْتُ هُوَ بِهَذَا أَعْلَمُ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي الشِّعْرِ وَإِنْشَادِهِ ، قُلْتُ هُوَ بِهَذَا أَعْلَم ، وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي الْفِقْهِ ، قُلْتُ هُوَ بِهَذَا أَعْلَمُ . وَتَحَدَّثَ ابْنُ عُيَيْنَةَ بِحَدِيثٍ (١) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَأَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلَى مَكُنَاتِهَا (٢) » . قَالَ : وَكَانَ الشَّافِعِيُّ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُيَيْنَةَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ سُفْيَانُ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، مَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلَى مَكُنَاتِهَا » ؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : إِنَّ عِلْمَ الْعَرَبِ كَانَ فِي زَجْرِ الطَّيْرِ وَالْخَطِّ وَالِاعْتِيَافِ (٣) ، كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا غَدَا مِنْ مَنْزِلِهِ يُرِيدُ أَمْرًا نَظَرَ أَوَّلَ طَيْرٍ يَرَاهُ ، فَإِنْ سَنَحَ عَنْ يَسَارِهِ فَاجْتَازَ عَنْ يَمِينِهِ قَالَ : هَذَا طَيْرُ الأَيَامِنِ ، فَمَضَى فِي حَاجَتِهِ وَرَأَى أَنَّهُ يَسْتَنْجِحُهَا . وَإِنْ سَنَحَ عَنْ يَمِينِهِ فَمَرَّ عَنْ يَسَارِهِ قَالَ : هَذَا طَيْرُ الأَشَائِمِ ، فَرَجَعَ وَقَالَ : هَذِهِ حَالَةٌ مَشْئُومَةٌ ، فَيُشْبِهُ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

(١) جاء بهامش الأصل « فى الأصل أنه يحدث » (٢) المكنات : البيض ، مفردها مكنة بفتح الميم مع كسر الكاف وضمها وتسكينها (٣) الاعتياف : التكهن بالطير وغيرها .

«وَأَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلَى مَكِنَاتِهَا» أَيْ لَا تُهَيِّجُوهَا، فَإِنَّ تَهْيِيجَهَا وَمَا تَعْمَلُونَ بِهِ مِنَ الطِّيَرَةِ لَا يَصْنَعُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَصْنَعُ فِيمَا تُوَجِّهُونَ فِيهِ قَضَاءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: وَكَانَ سُفْيَانُ يُفَسِّرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ.

وَحَدَّثَ الْآبُرِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّقِّيُّ إِمْلَاءً قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ قَالَ: جَاءَ الشَّافِعِيُّ يَوْمًا إِلَى أَبِي يَعُودُهُ وَكَانَ عَلِيلًا فَوَثَبَ أَبِي إِلَيْهِ فَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ أَجْلَسَهُ فِي مَكَانِهِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: فَجَعَلَ يُسَائِلُهُ سَاعَةً، فَلَمَّا وَثَبَ الشَّافِعِيُّ لِيَرْكَبَ قَامَ أَبِي فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ وَمَشَى مَعَهُ، فَبَلَغَ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ فَوَجَّهَ إِلَى أَبِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، يَا سُبْحَانَ اللهِ! آضْطَرَّكَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَمْشِيَ إِلَى جَانِبِ بَغْلَةِ الشَّافِعِيِّ؟ فَقَالَ لَهُ أَبِي: وَأَنْتَ يَا أَبَا زَكَرِيَّا لَوْ مَشَيْتَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ لَانْتَفَعْتَ بِهِ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبِي: مَنْ أَرَادَ الْفِقْهَ فَلْيَشَمَّ ذَنَبَ هَذِهِ الْبَغْلَةِ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا نُعَيْمُ ابْنُ حَمَّادٍ فَحَضَّنَا عَلَى طَلَبِ الْمُسْنَدِ (١)، فَلَمَّا قَدِمَ الشَّافِعِيُّ وَضَعَنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ (٢). وَرِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ حُمَيْدِ بْنِ الرَّبِيعِ

(١) المسند: الحديث الذى يعزى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويرفع إليه.

(٢) وضعنا الخ: دلنا على الطريق الواضح، وأزال الشبهات.

الخرّاز (١) قال : سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ : ما أعلمُ أحداً أعظمَ منّةً على الإسلامِ في زمنِ الشافعيِّ من الشافعيِّ ، وإنّي لأدعو اللهَ لهُ في أدبارِ صلواتي فأقولُ : اللّهمّ اغفرْ لي ولوالديّ ولمحمّدِ بنِ إدريسَ الشافعيِّ . وحدّثَ الحارثُ بنُ محمّدٍ الأمويُّ عنْ أبي ثورٍ إبراهيمَ بنِ خالدٍ الكلبيِّ قالَ : كنتُ منْ أصحابِ محمّدِ بنِ الحسنِ ، فلمّا قدمَ الشافعيُّ علينا جئتُهُ إلى مجلسِهِ شبهَ المستهزىءِ فسألتُهُ عنْ مسألةٍ منَ الدّورِ (٢) فلمْ يجبْني وقالَ لي : كيفَ ترفعُ يديكَ في الصّلاةِ ؟ قلتُ : هكذا . قالَ لي أخطأتَ . فقلتُ : كيفَ أصنعُ ؟ فقالَ حدّثني ابنُ عيينةَ عنِ الزّهريِّ عنْ سالمٍ عنْ أبيهِ أنّ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ : « كانَ يرفعُ يديهِ حذوَ منكبيهِ ، وإذا ركعَ ، وإذا رفعَ » (٣) . قالَ أبو ثورٍ : فوقعَ في قلبي منْ ذاكَ ، فجعلتُ أزيدُ في المجيءِ إلى الشافعيِّ وأقصّرُ في الاختلافِ إلى محمّدِ بنِ الحسنِ . فقالَ لي ابنُ الحسنِ يوماً : يا أبا ثورٍ ، أحسبُ هذا الحجازيَّ قدْ غلبَ عليكَ . قالَ : قلتُ أجلْ ، الحقُّ معهُ . قالَ : وكيفَ ذاكَ ؟ قالَ : فقلتُ كيفَ ترفعُ يديكَ في

---

(١) بهامش الأصل : « راجع ميزان الاعتدال عدد ٢٢٨٤ »

(٢) بهامش الأصل : « يعني دار الحرب وغيرها » . (٣) بهامش الأصل : « قوله في الأم ج ٢ ص ٩٠ أوضح » « وإذا أراد أن يركع وبعد ما يرفع رأسه من الركوع » .

الصَّلاةِ ؟ فَأَجابَنِي عَلَى نَحْوِ مَا أَجبْتُ الشافِعِيَّ فقلْتُ أَخْطأْتَ، قَالَ: كَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قُلْتُ حَدَّثَنِي الشَّافِعِيُّ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ وَإِذَا رَفَعَ » قَالَ أَبُو ثَوْرٍ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرٍ قَالَ: يَا أَبَا ثَوْرٍ، خُذْ مَسْأَلَتَكَ فِي الدَّوْرِ فَإِنَّمَا مَنَعَنِي أَنْ أُجِيبَكَ يَوْمَئِذٍ أَنَّكَ [1] كُنْتَ مُتَعَنِّتاً [2]

وَحَدَّثَ الْمُزَنِيُّ وَهُوَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا، وَلِلْإِخْوَانِ مُفَارِقًا، وَلِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، وَعَلَى اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ وَارِداً، وَلَا وَاللهِ مَا أَدْرِي رُوحِي تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ فَأُعَزِّيهَا ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

فَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي [3] فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا

(١) كانت بالأصل « لأنك » تحريف كما نبه بالهامش (٢) كانت بالأصل «متعنيا» تحريف كما نبه بالهامش، والصواب متعنتا: أى سائلا على وجه التلبيس أو التعجيز

(٣) أى عظم على

فَلَوْلَاكَ لَمْ يُقْدَرْ بِإِبْلِيسَ (١) عَابِدٌ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمَا ؟

وَحَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ (٢) قَالَ : كَانَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَجْلِسُ فِي حَلْقَتِهِ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ فَيَجِيئُهُ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامُوا وَجَاءَ أَهْلُ الْحَدِيثِ فَيَسْأَلُونَهُ تَفْسِيرَهُ وَمَعَانِيَهُ ، فَإِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ قَامُوا فَاسْتَوَتِ الْحَلْقَةُ لِلْمُذَاكَرَةِ وَالنَّظَرِ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ الضُّحَى تَفَرَّقُوا ، وَجَاءَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَرُوضِ وَالنَّحْوِ وَالشِّعْرِ ، فَلَا يَزَالُونَ إِلَى قُرْبِ انْتِصَافِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وَحَدَّثَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ قَالَ : قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يَا أَبَا مُوسَى ، رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ ، مَا أَقُولُهُ لَكَ إِلَّا نُصْحًا ، لَيْسَ إِلَى (٣) السَّلَامَةِ مِنَ النَّاسِ سَبِيلٌ ، فَانْظُرْ مَا فِيهِ صَلَاحُ نَفْسِكَ فَالْزَمْهُ ، وَدَعِ النَّاسَ وَمَا هُمْ فِيهِ .

وَحَدَّثَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ : كُنَّا نَحْضُرُ مَجْلِسَ بِشْرٍ الْمَرِّيسِيِّ (٤) فَكُنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى مُنَاظَرَتِهِ ، فَمَشَيْنَا إِلَى أَحْمَدَ

---

(١) لم يقدر الخ : لم يقس به (٢) بهامش الأصل « لعله زائد » ولكن من الجائز أن يكون الضمير للمزني المحدث آنفاً (٣) فى الأصل « إلا » تحريف

(٤) نسبة إلى مريسة : قرية فى ولاية باسمها من صعيد مصر ، وبشر هذا ابن غياث مولى زيد بن الخطاب أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة ، ثم اشتغل بالكلام وعرفت عنه أقوال شنيعة ، وببغداد درب يعرف بدرب المريسي ينسب إليه .

ابن حنبل فقلنا له: ائذن لنا في أن نحفظ الجامع الصغير الذي لأبي حنيفة، لنخوض معهم إذا خاضوا. فقال: اصبروا فالآن يقدم(١) عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة. قال: فقدم علينا الشافعي فمشوا إليه وسألناه شيئاً من كتبه، فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه فلما رآني قال: ما جاء بك يا صاحب حديث؟ قال: قلت: ذرني من هذا، «إيش» الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟، فناظرته فقطعته(٢) فقال: ليس هذا من كيسكم(٣) هذا من كلام رجل رأيته بمكة، معه نصف عقل أهل الدنيا.

وحدث الربيع بن سليمان قال: كنا عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم، ثم كتب فيها ودفعها إليه قال: فقلنا يسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذا فيها:

سل المفتي المكي هل في تزاور
وضمة مشتاق الفؤاد جناح؟

قال: وإذا إجابة أسفل من ذلك:

---

(١) بضم الدال وفتحها (٢) أي غلبته وأبطلت حجته. (٣) أي من فطنتكم وحذقكم.

أَقُولُ مَعَاذَ اللهِ أَنْ يُذْهِبَ التُّقَى
تلاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ(١)

قَرَأْتُ فِي أَمَالٍ أَمْلاهَا أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ عَلَى بَعْضِ تَلَامِذَتِهِ قَالَ الشَّيْخُ: كَانَ الشَّافِعِيُّ — رَحِمَهُ اللهُ — يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْجُمَعِ جَالِسًا لِلنَّظَرِ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَأَلْقَتْ إِلَيْهِ رُقْعَةً فِيهَا:

عَفَا اللهُ عَنْ عَبْدٍ أَعَانَ بِدَعْوَةٍ خَلِيلَيْنِ كَانَا دَائِمَيْنِ عَلَى الْوُدِّ
إِلَى أَنْ مَشَى وَاشِي الْهَوَى بِنَمِيمَةٍ
إِلَى ذَاكَ مِنْ هَذَا فَزَالَا عَنِ الْعَهْدِ

قَالَ: فَبَكَى الشَّافِعِيُّ — رَحِمَهُ اللهُ — وَقَالَ: لَيْسَ هَذَا يَوْمَ نَظَرٍ، هَذَا يَوْمُ دُعَاءٍ وَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ حَتَّى تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ. وَمِثْلُهُ مَا بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ بِرُقْعَةٍ فِيهَا:

سَلِ الْمُفْتِيَ الْمَكِّيَّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
إِذَا اشْتَدَّ وَجْدٌ بِامْرِئٍ كَيْفَ يَصْنَعُ؟

قَالَ: فَكَتَبَ الشَّافِعِيُّ تَحْتَهُ:

يُدَاوِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ
وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ

فَأَخَذَهَا صَاحِبُهَا وَذَهَبَ بِهَا ثُمَّ جَاءَهُ وَقَدْ كَتَبَ تَحْتَ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ الْجَوَابُ:

---

(١) الجراح جمع الجراحة ، أو اسم من جرحه

فَكَيْفَ يُدَاوِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ غُصَّةٌ (١) يَتَجَرَّعُ

فَكَتَبَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ
فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ أَنْفَعُ

وَيُرْوَى لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ :

أَأَنْثُرُ دُرًّا بَيْنَ سَارِحَةِ الْبَهَمْ (٢)
وَأَنْظِمُ مَنْثُوراً لِرَاعِيَةِ الْغَنَمْ ؟؟

لَعَمْرِي لَئِنْ ضُيِّعْتُ فِي شَرِّ بَلْدَةٍ
فَلَسْتُ مُضِيعاً فِيهِمُ غُرَرَ الْكَلِمْ

لَئِنْ سَهَّلَ اللهُ الْعَزِيزُ بِلُطْفِهِ
وَصَادَفْتُ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمْ

بَثَثْتُ (٣) مُفِيدًا وَاسْتَفَدْتُ وِدَادَهُمْ
وَإِلَّا فَمَكْنُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَتَمْ

وَمَنْ مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْماً أَضَاعَهُ
وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ (٤) فَقَدْ ظَلَمْ

---

(١) الغصة : الشجا ، وما غص به الانسان من طعام أو غيظ ؛ وما اعترض فى الحلق فأشرق ، والهم والحزن . (٢) البهم : بالسكون ويحرك كما فى الشعر هنا : اسم جمع بهمة : وهي مجماوات الضأن والمعز ؛ قيل والبقر وتجمع على بهام ؛ وجمع الجمع بهامات ؛ وسيرد هذا البيت بعد وفيه كلمة « النعم » أى الابل بدل البهم (٣) أى نشرت .
(٤) المستوجبين : المستحقين الجديرين بتلق العلم .

وَلَهُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فِي تَعْزِيَةٍ :

إِنِّي أُعَزِّيكَ لَا أَنِّي عَلَى طَمَعٍ ... مِنَ الْخُلُودِ وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ

فَمَا الْمُعَزَّى بِبَاقٍ بَعْدَ صَاحِبِهِ ... وَلَا الْمُعَزِّي وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينِ

وَحَدَّثَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ الشَّافِعِيِّ قَالَ : كَانَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيِّ امْرَأَةٌ يُحِبُّهَا فَقَالَ :

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ (١) أَنْ تُحِبَّ ... وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ

وَيَصُدَّ عَنْكَ بِوَجْهِهِ ... وَتَلِجَّ أَنْتَ فَلَا تُغِبُّهُ (٢)

وَحَدَّثَ الْآبُرِيُّ بِإِسْنَادٍ إِلَى الْمُزَنِيِّ عَنِ الشَّافِعِيِّ قَالَ : كُنَّا فِي سَفَرٍ بِأَرْضِ الْيَمَنِ فَوَضَعْنَا سُفْرَتَنَا (٣) لِنَتَعَشَّى وَحَضَرَتْ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ فَقُلْنَا نُصَلِّي ثُمَّ نَتَعَشَّى ، فَتَرَكْنَا سُفْرَتَنَا كَمَا هِيَ ، وَكَانَ فِي السُّفْرَةِ دَجَاجَتَانِ فَجَاءَ ثَعْلَبٌ فَأَخَذَ إِحْدَى الدَّجَاجَتَيْنِ فَلَمَّا قَضَيْنَا صَلَاتَنَا أَسِفْنَا عَلَيْهَا وَقُلْنَا حُرِمْنَا طَعَامَنَا ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الثَّعْلَبُ وَفِي فِيهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ الدَّجَاجَةُ فَوَضَعَهُ فَبَادَرْنَا إِلَيْهِ لِنَأْخُذَهُ وَنَحْنُ نَحْسَبُهُ الدَّجَاجَةَ قَدْ رَدَّهَا ، فَلَمَّا قُمْنَا خَالَصَهَا فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْأُخْرَى فَأَخَذَهَا مِنَ السُّفْرَةِ وَأَصَبْنَا الَّذِي قُمْنَا إِلَيْهِ لِنَأْخُذَهُ لِيفَةً قَدْ هَيَّأَهَا مِثْلَ الدَّجَاجَةِ .

(١) بالأصل : « أليس شديدا » ولكن الهامش قال : « الصحيح « ومن البلية » كما هو في وفيات الأعيان ولذا آثرناه . (٢) أغب الزائر كغب : جعل زيارته كل أسبوع ، وأغبت الحمى وغبت : جاءت يوما وتركت يوما . (٣) السفرة : طعام المسافر ، ومايبسط تحت الخوان من جلد أو غيره .

وَحَدَّثَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ : سُئِلَ الشَّافِعِيُّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَ فِيهَا ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا الْمُشْكِلَاتُ تَصَدَّيْنَ لِي[1] كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا بِالنَّظَرْ
لِسَانٌ كَشِقْشِقَةِ الْأَرْحَبِيِّ[2] أَوْ كَالْحُسَامِ الْيَمَانِي الذَّكَرْ
وَلَسْتُ بِإِمَّعَةٍ[3] فِي الرِّجَالِ أُسَائِلُ هَذَا وَذَا مَا الْخَبَرْ ؟
وَلَكِنَّنِي مِدْرَهُ الْأَصْغَرَيْنِ[4] جَلَّابُ خَيْرٍ وَفَرَّاجُ شَرّْ

وَحَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : لَمَّا دَخَلَ الشَّافِعِيُّ مِصْرَ أَوَّلَ قُدُومِهِ إِلَيْهَا جَفَاهُ النَّاسُ فَلَمْ يَجْلِسْ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَالَ : فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ قَدِمَ مَعَهُ: لَوْ قُلْتَ شَيْئًا يَجْتَمِعُ إِلَيْكَ النَّاسُ ، قَالَ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَأَنْثُرُ دُرًّا بَيْنَ سَارِحَةِ النَّعَمْ
وَأَنْظِمُ مَنْثُوراً لِرَاعِيَةِ الْغَنَمْ ؟؟

الْأَبْيَاتَ الَّتِي مَرَّتْ آنِفًا . وَجَرَى بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَبَيْنَ بَعْضِ مَنْ صَحِبَهُ مُجَانَةٌ فَقَالَ :

---

(١) أى تعرضن لى . (٢) الشقشقة : شىء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فانما يشبه بالفحل ، والأرحبي نسبة إلى أرحب : قبيلة من بنى رحب ، أو فحل أو مكان ، ومنه النجائب الأرحبيات . (٣) الامعة والامع : الرجل يتابع كل أحد على رأيه لا يثبت على شىء . (٤) مدره الخ : المدره : المقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال ، وزعيم القوم والمتكلم عنهم ، والأصغران : القلب واللسان .

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ
إِذَا شِئْتُ لَاقَيْتُ امْرَأً لَا أُشَاكِلُهُ
أُحَامِقُهُ (١) حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ
وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهُ

وَحَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ:

يَا رَاكِبًا قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى
وَاهْتِفْ بِقَاعِدِ خَيْفِهَا (٢) وَالنَّاهِضِ
سَحَرًا (٣) إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مِنًى
فَيْضًا كَمُلْتَطِمِ الْفُرَاتِ (٤) الْفَائِضِ
إِنْ كَانَ رَفْضًا (٥) حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ
فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

وَمِنْ كِتَابِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَتَقُولُ بِهَذَا؟ فَارْتَعَدَ الشَّافِعِيُّ وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ وَحَالَ وَتَغَيَّرَ وَقَالَ: وَيْحَكَ،

---

(١) أحامقه : أجاريه فى حمقه . (٢) المحصب : موضع رمى الجمار فى منى . وخيفها : غرة بيضاء فى الجبل الأسود الذى خلف جبل أبى قبيس ، وبها سمى مسجد الخيف (٣) سحرا : أى فى وقت السحر : وهو آخر الليل (٤) الملتطم من الأمواج : التى يضرب بعضها بعضا . (٥) الرفض : التشدد والتعصب فى المذهب .

أَىُّ أَرْضٍ تُقلُّنِي ؟ وَأَىُّ سَماء تُظِلُّنِي إِذَا رَوَيْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ أَقلْ بِهِ، نعم عَلى الرَّأسِ وَالْعَيْنَيْنِ. قَالَ: وَسَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَتَذْهَبُ عَنهُ سُنَّةٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتعزُبُ عَنْهُ، فَمَهْمَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ أَصَّلْتُ مِنْ أَصْلٍ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِلَافُ مَا قُلْتُ، فَالقَوْلُ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَوْلِي وَجَعَلَ يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ. وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمَيْمُونِيِّ: مَالَكَ لَا تَنْظُرُ فِي كُتُبِ الشَّافِعِيِّ ؟ فَمَا مِنْ أَحَدٍ وَضَعَ الْكُتُبَ مُنْذُ(١) ظَهَرَتْ أَتْبَعُ لِلسُّنَّةِ مِنَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ: قَرَأْتُ شِعْرَ الشَّنْفَرَى عَلَى الشَّافِعِيِّ بِمَكَّةَ. قَالَ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى السَّاجِيُّ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلرِّيَاشِيِّ فَقَالَ: مَا أُنْكِرُهُ، قَرَأْتُهَا عَلَى الْأَصْمَعِيِّ فَقَالَ: أَنْشَدَنِيهَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ. وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِعَمِّي يَا عَمَّاهُ، عَلَى مَنْ قَرَأْتَ شِعْرَ هُذَيْلٍ ؟ فَقَالَ: عَلَى رَجُلٍ مِنْ آلِ الْمُطَّلِبِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ.

---

(١) كانت بالأصل « حتى » وقد وضعت مكانها « منذ » كما نبه الهامش

وَحدَّثَ الصُّولِيُّ عَنِ الْمُبَرِّدِ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ الشَّافِعِيُّ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ وَآدَبِ النَّاسِ وَأَعْرَفِهِمْ بِالقِرَاءَاتِ. وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى عبدِ الْمَلِكِ ابْنِ هِشَامٍ النَّحْوِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ الْمَغَازِي أَنَّهُ قَالَ : طَالَتْ مُجَالَسَتُنَا لِلشَّافِعِيِّ (١) فَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ لَحْنَةً قَطُّ وَلَا كَلِمَةً غَيْرُهَا أَحْسَنُ مِنْهَا. وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى جُبَيْرِ بْنِ مطْعِمٍ قَالَ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبَى مِنْ خَيْبَرَ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عفَّانَ فَقُلْنَا: يَارَسُولَ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ إِخْوَتُكَ بَنُو هَاشِمٍ لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُمْ لِمَكَانِكَ الَّذِي جَعَلَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْهُمْ، أَرَأَيْتَ إِخْوَتَنَا مِنْ بَنِي الْمُطَّلِبِ أَعْطَيْتَهُمْ وَتَرَكْتَنَا؟ وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ. فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ»، ثُمَّ شَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ (٢). وَهَذَا لِأَنَّ عَبْدَ مَنَافٍ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ: هَاشِمٌ وَالْمُطَّلِبُ وَعَبْدُ شَمْسٍ جَدُّ بَنِي أُمَيَّةَ وَنَوْفَلٌ. وَكَانَ جُبَيْرُ بْنُ مطْعِمٍ مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ، وَعُثْمَانُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَهُمَا أَخَوَا الْمُطَّلِبِ. وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ النَّقَّالِ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ:

---

(١) كانت كلمة « الشافعي » ساقطة من الأصل كما نبه الهامش (٢) زاد الهامش « في كتاب الخمس ».

أَنَا أَدْعُو اللهَ لِلشَّافِعِيِّ أَخُصُّهُ بِهِ. وَبِإِسْنَادِهِ: كَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مَهْدِيٍّ إِلَى الشَّافِعِيِّ وَهُوَ شَابٌّ أَنْ يَضَعَ لَهُ كِتَابًا فِيهِ مَعَانِي القُرْآنِ وَيَجْمَعَ قَبُولَ الْأَخْبَارِ فِيهِ وَحُجَّةَ الْإِجْمَاعِ، وَبَيَانَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَوَضَعَ لَهُ كِتَابَ الرِّسَالَةِ [1]. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَا أُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا وَأَدْعُو لِلشَّافِعِيِّ فِيهَا. وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: كَانَ الفِقْهُ قُفْلًا عَلَى أَهْلِهِ حَتَّى فَتَحَهُ اللهُ بِالشَّافِعِيِّ. وَبِاسْنَادِهِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ: سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَرَأْيٌ صَحِيحٌ. وَسُئِلَ عَنْ آخَرَ فَقَالَ: لَا رَأْيَ وَلَا حَدِيثَ. وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ وَارَةَ [2] قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ مِنْ مِصْرَ أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ أُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِي: كَتَبْتَ كُتُبَ الشَّافِعِيِّ؟ فَقُلْتُ لَا. فَقَالَ لِي: فَرَّطْتَ، مَا عَرَفْنَا الْعُمُومَ مِنَ الْخُصُوصِ، وَنَاسِخَ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنْسُوخِهِ حَتَّى جَالَسْنَا الشَّافِعِيَّ. قَالَ ابْنُ وَارَةَ: فَحَمَلَنِي ذَلِكَ عَلَى أَنْ رَجَعْتُ إِلَى مِصْرَ فَكَتَبْتُهَا. وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ الزَّعْفَرَانِيُّ: كُنْتُ مَعَ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ فِي جَنَازَةٍ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا، مَا تَقُولُ فِي الشَّافِعِيِّ؟ فَقَالَ دَعْنَا،

(١) بهامش الأصل «هى المقدمة على الأم» (٢) بهامش الأصل «ذكره الذهبى فى الطبقات ج ٦ ص ٥٢».

لَوْ كَانَ الْكَذِبُ لَهُ مُطلقاً لَكَانَتْ مُرُوءَتُهُ تَمْنَعُهُ أَنْ يَكْذِبَ. وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَجَرَى ذِكْرُ الشَّافِعِيِّ فَرَأَيْتُ أَحْمَدَ يَرْفَعُهُ وَقَالَ: يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُقَرِّرُ لَهَا دِينَهَا». فَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى، وَأَرْجُوا أَنْ يَكُونَ الشَّافِعِيُّ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُخْرَى. وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ: الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ حَسَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهُ يَقُولُ: كُنَّا فِي مَجْلِسِ الْقَاضِي أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ سُرَيْجٍ (١) سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ فَقَامَ إِلَيْهِ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَقَالَ لَهُ: أَبْشِرْ أَيُّهَا الْقَاضِي فَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا، وَإِنَّهُ تَعَالَى بَعَثَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ، وَبَعَثَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَتَيْنِ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ وَتُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَبَعَثَكَ عَلَى رَأْسِ الثَّلَاثِمِائَةٍ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

اثْنَانِ قَدْ مَضَيَا فَبُورِكَ فِيهِمَا ... عُمَرُ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ حِلْفُ السُّودَدِ
الشَّافِعِيُّ الْأَلْمَعِيُّ (٢) مُحَمَّدٌ ... إِرْثُ النُّبُوَّةِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدِ

(١) بهامش الأصل « اسمه أحمد ، وترجمته فى وفيات الأعيان »
(٢) الألمعى : الذكى المتوقد

أَبْشِرْ أَبَا الْعَبَّاسِ إِنَّكَ ثَالِثٌ مِنْ بَعْدِهِمْ سَقْيًا لِنَوْبَةِ أَحْمَدِ

قَالَ: فَصَاحَ الْقَاضِي وَبَكَى وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ نَعَى إِلَيَّ نَفْسِي. قَالَ: فَمَاتَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ.
وَذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ ابْنَ سُرَيْجٍ مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَبِإِسْنَادِ الْبَيْهَقِيِّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: اجْتَمَعَ لِلشَّافِعِيِّ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِغَيْرِهِ.
فَأَقُولُ: ذَلِكَ شَرَفُ نَفْسِهِ وَمَنْصِبِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ رَهْطِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهَا صِحَّةُ الدِّينِ وَسَلَامَةُ الِاعْتِقَادِ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَمِنْهَا سَخَاوَةُ النَّفْسِ، وَمِنْهَا مَعْرِفَتُهُ بِصِحَّةِ الْحَدِيثِ وَسَقَمِهِ، وَمِنْهَا مَعْرِفَتُهُ بِنَاسِخِ الْحَدِيثِ وَمَنْسُوخِهِ، وَمِنْهَا حِفْظُهُ لِكِتَابِ اللَّهِ وَحِفْظُهُ لِأَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْرِفَتُهُ بِسِيَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِسِيَرِ خُلَفَائِهِ، وَمِنْهَا كَشْفُهُ لِتَمْوِيهِ (١) مُخَالِفِيهِ، وَمِنْهَا تَأْلِيفُ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَالْجَدِيدَةِ، وَمِنْهَا مَا اتَّفَقَ لَهُ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالتَّلَامِذَةِ مِثْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ فِي زُهْدِهِ وَعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ وَإِقَامَتِهِ عَلَى السُّنَّةِ، وَمِثْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْهَاشِمِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيِّ، وَالْحُسَيْنِ الْقَلَانِسِيِّ (٢)، وَأَبِي ثَوْرٍ إِبْرَاهِيمَ

---

(١) التمويه: التخليط والاخبار على خلاف الواقع والتلبيس (٢) بهامش الأصل «عند السبكي ج ١ ص ٢٥٦ القلاس»

ابْنِ خالِدٍ الـكَلْبِيّ ، والحسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الصبّاحِ الزَّعفرانيّ ، وأَبِي يعقوبَ يوسفَ بْنِ يحْيَي البُوَيْطِيّ ، وحَرْمَلَةَ بْنِ يحْيَي التجيبيّ ، والرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ المُرَادِي ، وأَبِي الْوَلِيدِ مُوسَى ابْنِ الجَرُودِ (١) ، والحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ النَّقَّالِ ، وأَحْمَدَ بْنِ خالِدٍ الخَلَّالِ ، وأَبِي عُبَيْدٍ القَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ . والقَائِمُ بِمَذْهَبِهِ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَي الْمُزَنِيُّ .

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْبَيْهَقِيُّ : إِنَّمَا عَدَّ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ جَمَاعَةً يَسِيرَةً ، وَقَدْ عَدَّ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ مَنْ رَوَى عَنْهُ أَحَادِيثَهُ وَأَخْبَارَهُ أَوْ كَلَامَهُ زِيَادَةً عَلَى مِائَةٍ ، هَذَا مَعَ قُصُورِ سِنِّهِ عَنْ سِنِّ أَمْثَالِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ ، وَإِنَّمَا تَكْثُرُ الرُّوَاةُ عَنِ الْعَالِمِ إِذَا جَاوَزَ سِنُّهُ السِّتِّينَ أَوِ السَّبْعِينَ ، وَالشَّافِعِيُّ لَمْ يَبْلُغْ فِي السِّنِّ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ .

وَمِنْ كِتَابِ مَرْوٍ مُسْنَدًا إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الفِرْيَابِيِّ قَالَ : وَقَفْتُ بِمَكَّةَ عَلَى حَلْقَةٍ عَظِيمَةٍ وَفِيهَا رَجُلٌ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ : هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ أُخْبِرْكُمْ بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلِ صَحَابِيٍّ .

---

(١) بهامش الأصل « عند السبكي بن أبي الجارود »

فقلتُ في نفسي: إنّ هذا الرّجل جريء، ثمّ قلتُ له: ماتقول في المحرِم يقتل الزّنبور؟ فقال: قال الله تعالى: «وما آتاكم الرّسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا». وحدّثنا سفيان بن عيينة عن عبدِ الملكِ بن عُميرٍ عن ربعيٍّ عن حذيفة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اقتدوا بالّذين من بعدي أبي بكرٍ وعمر». وحدّثنا سفيان بن عيينة عن مسعرٍ عن قيس بن مسلمٍ عن طارقِ بن شهابٍ أنّ عمر رضي الله عنه أمر المحرِم بقتلِ الزّنبورِ.

وعن المزنيّ سمعتُ الشّافعيّ يقول: رأيتُ بالمدينةِ أربع عجائب. رأيتُ جدّةً لها إحدى وعشرون سنةً، ورأيتُ رجلًا فلّسه القاضي في مُدّين[1] نوى، ورأيتُ شيخًا قد أتى عليه تسعون سنةً يدور نهاره حافيًا راجلًا على القيانِ[2] يعلّمهنّ الغناء فإذا جاءت الصّلاة صلّى قاعدًا، وكان بالمدينةِ والٍ وكان رجلًا صالحًا فقال: مالي لا أرى النّاس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الوُلاة؟ فقالوا: إنّك لا تضرب أحدًا ولا تؤذي النّاس. فقال أهكذا؟ عليّ بالإمام فنصب

(١) مثنى مد: وهو مكيال قدره رطلان عند أهل العراق، ورطل وثلث عند أهل الحجاز. (٢) القيان: الجوارى المغنيات، جمع قينة.

بَيْنَ العُقَابَيْنِ (١) وَجَعَلَ يُضْرَبُ وَالإِمَامُ يَقُولُ : — أَعَزَّ اللهُ الأَمِيرَ — «إِيشْ» جُرْمِي (٢) ، وَهُوَ يَقُولُ : حَمَلْنَا بِنَفْسِكَ ، حَتَّى اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ .

وَعَنْ خَيْثَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَيْدَرَةَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الشَّافِعِيِّ فَقَالَ لَهُ : — أَصْلَحَكَ اللهُ — صَدِيقُكَ فُلَانٌ عَلِيلٌ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : وَاللهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَأَيْقَظْتَنِي لِمَكْرُمَةٍ ، وَدَفَعْتَ عَنِّي اعْتِذَاراً يَشُوبُهُ الْكَذِبُ ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامُ ، هَاتِ السِّبْتِيَّةَ (٣) ثُمَّ قَالَ : لَلْمَشْيُ عَلَى الْحَفَاءِ (٤) ، عَلَى عِلَّةِ الْوَجَاءِ (٥) فِي حَرِّ الرَّمْضَاءِ (٦) مِنْ ذِي طَوًى (٧) ، أَهْوَنُ مِنَ اعْتِذَارٍ إِلَى صَدِيقٍ يَشُوبُهُ الْكَذِبُ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرَى رَاحَةً لِلْحَقِّ عِنْدَ قَضَائِهِ
وَيَثْقُلُ يَوْماً إِنْ تَرَكْتُ عَلَى عَمْدِ
وَحَسْبُكَ حَظّاً أَنْ تُرَى غَيْرَ (٨) كَاذِبٍ
وَقَوْلُكَ لَمْ أَعْلَمْ وَذَاكَ مِنَ الْجَهْدِ

(١) بهامش الأصل ذكر الجاحظ فى رسائله « مصر ١٣٢٤ ص ١٦ » « وقلة التكلى بحبل العقابين » (٢) أى شىء ذنبي ؟ (٣) السبتية : نعال سبت شعرها أى حلق بالدباغ فلانت (٤) أى بلا خف ولا نعل . (٥) الوجاء : اسم من وجأه باليد والسكين : ضربه فى أى موضع كان . (٦) الرمضاء : الأرض الحارة الحامية من شدة حر الشمس ، وأيضا شدة الحر (٧) أى جوع . (٨) فى الأصل « عذر » وصححت إلى « غير » كتنبيه هامشه .

وَمَنْ يَقْضِ حَقَّ الْجَارِ بَعْدَ ابْنِ عَمِّهِ
وَصَاحِبِهِ الْأَدْنَى عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
يَعِشْ سَيِّداً يَسْتَعْذِبُ[1] النَّاسُ ذِكْرَهُ
وَإِنْ نَابَهُ حَقٌّ أَتَوْهُ عَلَى قَصْدِ

وَمِمَّا يُرْوَى لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

أَصْبَحْتُ مُطَّرَحاً فِي مَعْشَرٍ جَهِلُوا
حَقَّ الْأَدِيبِ فَبَاعُوا الرَّأْسَ بِالذَّنَبِ
وَالنَّاسُ يَجْمَعُهُمْ شَمْلٌ وَبَيْنَهُمُ
فِي الْعَقْلِ فَرْقٌ وَفِي الْآدَابِ وَالْحَسَبِ
كَمِثْلِ مَا الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ يَشْرَكُهُ
فِي لَوْنِهِ الصُّفْرُ، وَالتَّفْضِيلُ لِلذَّهَبِ
وَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَطِبْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ
لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ

وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ بِنْتِ الشَّافِعِيِّ قَالَ : قَالَ الشَّافِعِيُّ بِمَكَّةَ حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى مِصْرَ :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى مِصْرِ
وَمِنْ دُونِهَا قَطْعُ الْمَهَامِهِ وَالْقَفْرِ

(١) بالأصل « يستغرب » تحريف كما نبه الهامش

فوالله ما أدري ألِلفوز والغِنى
أُساق إليها أم أُساق إلى القبر ؟؟

قال : فخرج فقُطِع عليه الطريق فدخل بعض المساجد وليس عليه إلا خرقة ، فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد فقال :

عليّ ثياب لو يُباع جميعها
بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها
نفوس الورى كانت أجلّ وأكبرا
وما ضرّ نصل السيف إخلاق غمده
إذا كان عضباً أين وجهته فرى ؟

قرأت في كتاب خطط مصر لأبي عبد الله محمد بن سلامة ابن جعفر بن علي القضاعي المصري صاحب كتاب الشهاب قال : محمد بن إدريس الشافعي المطلبي الفقيه يكنى أبا عبد الله ، توفي في سلخ رجب سنة أربع ومائتين بمصر ، ودفن غربي الخندق في مقابر قريش وحوله جماعة من بني زهرة من ولد عبد الرحمن بن عوف الزهري وغيرهم ، وقبره مشهور هناك مجمع على صحته ، ينقل الخلف عن السلف

فِي كُلِّ عَصْرٍ إِلَى وَقْتِنَا هذَا، وَهُوَ الْبَحرِيُّ مِنَ الْقُبُورِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَجْمَعُهَا مَصْطَبَةٌ وَاحِدَةٌ غَرْبِيَّ الْخَنْدَقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَشْهَدِ، وَالْقَبْرَانِ الْآخَرَانِ اللَّذَانِ إِلَى جَنْبِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ أَحَدُهُمَا قَبْرُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ بْنِ أَعْيَنَ بْنِ لَيْثِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى قُرَيْشٍ، مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَدُفِنَ إِلَى جَنْبِ مِنَ الشَّافِعِيِّ وَهُوَ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ، وَهُوَ الْقَبْرُ الْأَوْسَطُ مِنَ الْقُبُورِ الثَّلَاثَةِ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ وَالْمَالِ وَالدَّبَابِج[1]، وَكَانَ يُزَكِّي الشُّهُودَ وَلَمْ يَشْهَدْ قَطُّ لِدَعْوَةٍ سَبَقَتْ فِيهِمْ، وَالْقَبْرُ الثَّالِثُ قَبْرُ وَلَدِهِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ وَقَبْرُهُ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ، وَعَبْدُ الرَّحْمنِ هذَا هُوَ صَاحِبُ كِتَابِ فُتُوحِ مِصْرَ وَكَانَ عَالِمًا بِالتَّوَارِيخِ.

يُقَالُ: إِنَّ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدِمَ إِلَى مِصْرَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ، وَكَانَ سَبَبُ قُدُومِهِ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ الْعَبَّاسِ اسْتَصْحَبَهُ فَصَحِبَهُ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ هذَا خَلِيفَةً لِأَبِيهِ عَبْدِ اللهِ عَلَى مِصْرَ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّافِعِيُّ بِمِصْرَ إِلَى أَنْ وَلِيَ السَّرِيُّ ابْنُ الْحَكَمِ الْبَلْخِيُّ[2] — مِنْ قَوْمٍ يُقَالُ لَهُمُ الزُّطُّ[3] — مِصْرَ

(١) جمع ديباج، وبالأصل: «والدبابج» بدون نقط (٢) بهامش الأصل: «في سنة مائتين». (٣) الزط: طائفة من أهل الهند معرب: جت.

وَٱسْتقامتْ له ، وَكَانَ يُكرِمُ الشَّافِعِيَّ وَيُقَدِّمُهُ وَلا يُؤْثِرُ أَحدًا عليْهِ ، وَكَانَ الشَّافِعِيُّ مُحَبَّبًا إِلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ لِعِلْمِهِ وَفِقْهِهِ ، وَحُسْنِ كَلَامِهِ وَأَدَبِهِ وَحِلْمِهِ ، وَكَانَ بِمِصْرَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ يُقَالُ لَهُ فِتْيَانُ فِيهِ حِدَّةٌ وَطَيْشٌ ، وَكَانَ يُنَاظِرُ الشَّافِعِيَّ كَثِيرًا وَيَجْتَمِعُ النَّاسُ عَلَيْهِمَا ، فَتَنَاظَرَا يَوْمًا فِي مَسْأَلَةِ بَيْعِ الْحُرِّ وَهُوَ الْعَبْدُ الْمَرْهُونُ إِذَا أَعْتَقَهُ الرَّاهِنُ وَلَا مَالَ لَهُ غَيْرُهُ ، فَأَجَابَ الشَّافِعِيُّ بِجَوَازِ بَيْعِهِ عَلَى أَحَدِ أَقْوَالِهِ ، وَمَنَعَ فِتْيَانُ مِنْهُ ، لِأَنَّهُ يُمْضِي عِتْقَهُ بِكُلِّ وَجْهٍ وَهُوَ أَحَدُ أَقْوَالِ الشَّافِعِيِّ ، فَظَهَرَ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ فِي الْحِجَاجِ [1] ، فَضَاقَ فِتْيَانُ بِذَلِكَ ذَرْعًا [2] فَشَتَمَ الشَّافِعِيَّ شَتْمًا قَبِيحًا فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ حَرْفًا وَمَضَى فِي كَلَامِهِ فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَرَفَعَ ذَلِكَ رَافِعٌ إِلَى السَّرِيِّ ، فَدَعَا الشَّافِعِيَّ وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ وَعَزَمَ عَلَيْهِ [3] فَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى ، وَشَهِدَ الشُّهُودُ عَلَى فِتْيَانَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ السَّرِيُّ : لَوْ شَهِدَ آخَرُ مِثْلُ الشَّافِعِيِّ عَلَى فِتْيَانَ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَأَمَرَ فِتْيَانُ فَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ وَطِيفَ بِهِ عَلَى جَمَلٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مُنَادٍ يُنَادِي : هَذَا جَزَاءُ مَنْ سَبَّ آلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) الحجاج : المحاجة والمجادلة والمخاصمة فى المناظرة . (٢) أى وسعا

(٣) أى أقسم عليه .

وَسَلَّمَ (١). ثُمَّ إِنَّ قَوْمًا تَعَصَّبُوا لِفِتْيَانَ مِنْ سُفَهَاءِ النَّاسِ وَقَصَدُوا حَلْقَةَ الشَّافِعِيِّ حَتَّى خَلَتْ مِنْ أَصْحَابِهِ وَبَقِيَ وَحْدَهُ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ وَضَرَبُوهُ فَحُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ عَلِيلًا حَتَّى مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ.

قَالَ ابْنُ يُونُسَ: كَانَ لِلشَّافِعِيِّ ابْنٌ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، قَدِمَ مَعَ أَبِيهِ مِصْرَ وَتُوُفِّيَ بِهَا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ. وَقِيلَ: كَانَ لَهُ وَلَدٌ آخَرُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ أَيْضًا يَرْوِي عَنْ سُفْيَانَ ابْنِ عُيَيْنَةَ. وَلِيَ قَضَاءَ الْجَزِيرَةِ وَتُوُفِّيَ بِهَا بَعْدَ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ. هَذَا آخِرُ مَا ذَكَرَهُ الْقُضَاعِيُّ نَقَلْتُهُ عَلَى وَجْهِهِ.

وَمِنْ مَشْهُورِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ: أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْمُزَنِيُّ مَاتَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. وَالرَّبِيعُ ابْنُ سُلَيْمَانَ وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَوْرَعِهِمْ وَأَكْثَرِهِمْ تَصْنِيفًا. وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللهِ صَحِبَ الشَّافِعِيَّ وَقَرَأَ عَلَيْهِ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، وَدُفِنَ إِلَى جَنْبِ الشَّافِعِيِّ مَعَ قَبْرِ أَخِيهِ وَأَبِيهِ الْمَذْكُورَيْنِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ. وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ ابْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْمُرَادِيُّ «مَوْلًى لَهُمْ» الْمُؤَذِّنُ الْفَقِيهُ يُكْنَى

(١) بهامش الأصل «لكون الشافعي مطلبيا» أي يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر فيما تقدم

أَبَا مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ الْمَشْهُورُ بِصُحْبَتِهِ ، وَمَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ[(١)] وَمِائَتَيْنِ ، وَقَبْرُهُ غَرْبِيَّ الْخَنْدَقِ مِمَّا يَلِي الْفُقَاعِي[(٢)] ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَوَى بِمِصْرَ عَنِ الشَّافِعِيِّ وَكَانَ جَلِيلًا مُصَنِّفًا ، حَدَّثَ بِكُتُبِ الشَّافِعِيِّ كُلِّهَا وَنَقَلَهَا النَّاسُ عَنْهُ وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَعَانَ الْمُزَنِيَّ عَلَى غُسْلِ الشَّافِعِيِّ ، وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ابْنِ الْأَعْرَجِ الْجِيزِيُّ مَوْلَى الْأَزْدِ وَأَظُنُّهُ صَحِبَ الشَّافِعِيَّ ، وَمَاتَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ وَقَبْرُهُ بِالْجِيزَةِ . وَهَذَا فِهْرِسْتُ كُتُبِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كِتَابُ الطَّهَارَةِ ، كِتَابُ مَسْأَلَةِ الْمَنِيِّ ، كِتَابُ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ ، كِتَابُ الْإِمَامَةِ ، كِتَابُ إِيجَابِ الْجُمُعَةِ ، كِتَابُ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ ، كِتَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ ، كِتَابُ صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ ، كِتَابُ صَلَاةِ الْجَنَائِزِ ، كِتَابُ الْحُكْمِ فِي تَارِكِ الصَّلَاةِ ، كِتَابُ الصَّلَاةِ الْوَاجِبَةِ وَالتَّطَوُّعِ وَالصِّيَامِ ، كِتَابُ الزَّكَاةِ الْكَبِيرُ ، كِتَابُ زَكَاةِ الْفِطْرِ ، كِتَابُ زَكَاةِ مَالِ الْيَتِيمِ ، كِتَابُ الصِّيَامِ الْكَبِيرُ ، كِتَابُ الْمَنَاسِكِ الْكَبِيرُ ، كِتَابُ الْمَنَاسِكِ الْأَوْسَطُ ، كِتَابُ مُخْتَصَرِ الْمَنَاسِكِ ، كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ ، كِتَابُ الْبُيُوعِ الْكَبِيرُ ، كِتَابُ الصَّرْفِ

(١) كانت بالأصل « سبع » والصواب « سبعين » كما ذكر السبكي ونبه الهامش

(٢) بهامش الأصل « لعله الفقاعي »

وَالتِّجَارَةِ ، كِتَابُ الرَّهْنِ الْكَبِيرُ ، كِتَابُ الرَّهْنِ الصَّغِيرُ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ ، كِتَابُ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ ، كِتَابُ جِمَاعِ الْعِلْمِ ، كِتَابُ الْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ ، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ ، كِتَابُ الْإِجَارَاتِ الْكَبِيرُ ، كِتَابُ كَرْيِ الْإِبِلِ وَالرَّوَاحِلِ ، كِتَابُ الْإِجَارَاتِ إِمْلَاءً ، كِتَابُ اخْتِلَافِ الْأَجِيرِ وَالْمُسْتَأْجِرِ ، كِتَابُ الدَّعْوَى وَالْبَيِّنَاتِ ، كِتَابُ الْإِقْرَارِ وَالْمَوَاهِبِ ، كِتَابُ رَدِّ الْمَوَارِيثِ ، كِتَابُ بَيَانِ فَرْضِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كِتَابُ صِفَةِ نَهْيِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كِتَابُ النَّفَقَةِ عَلَى الْأَقَارِبِ ، كِتَابُ الْمُزَارَعَةِ ، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ ، كِتَابُ الْوَصَايَا الْكَبِيرُ ، كِتَابُ الْوَصَايَا بِالْعِتْقِ ، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ لِلْوَارِثِ ، كِتَابُ وَصِيَّةِ الْحَامِلِ ، كِتَابُ صَدَقَةِ الْحَيِّ عَنِ الْمَيِّتِ ، كِتَابُ الْمُكَاتَبِ ، كِتَابُ الْمُدَبَّرِ ، كِتَابُ عِتْقِ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ ، كِتَابُ الْجِنَايَةِ عَلَى أُمِّ الْوَلَدِ ، كِتَابُ الْوَلَاءِ وَالْحِلْفِ ، كِتَابُ التَّعْرِيضِ بِالْخِطْبَةِ ، كِتَابُ الصَّدَاقِ ، كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ [١] ، كِتَابُ تَحْرِيمِ مَا يُجْمَعُ مِنَ النِّسَاءِ ، كِتَابُ الشِّغَارِ ، كِتَابُ إِبَاحَةِ الطَّلَاقِ ، كِتَابُ الْعِدَّةِ ، كِتَابُ الْإِيلَاءِ ، كِتَابُ الْخُلْعِ وَالنُّشُوزِ ، كِتَابُ الرَّضَاعِ ، كِتَابُ

(١) كان فى الأصل : «كتاب عشرة الصداق» وصحح إلى النساء كما جاء بالأم ج ٥ ص ٩٠

الظِّهَارِ، كِتَابُ اللِّعَانِ، كِتَابُ أَدَبِ الْقَاضِى، كِتَابُ الشُّرُوطِ، كِتَابُ اخْتِلَافِ الْعِرَاقِيِّينَ، كِتَابُ اخْتِلَافِ عَلِيٍّ وَعَبْدِ اللهِ، كِتَابُ سِيَرِ الْأَوْزَاعِيِّ، كِتَابُ الْغَصْبِ، كِتَابُ الِاسْتِحْقَاقِ، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، كِتَابُ إِقْرَارِ أَحَدِ الِابْنَيْنِ بِأَخٍ، كِتَابُ الصُّلْحِ، كِتَابُ قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ، كِتَابُ الْأُسَارَى [1] وَالْغُلُولِ، كِتَابُ الْقَسَامَةِ، كِتَابُ الْجِزْيَةِ، كِتَابُ الْقَطْعِ فِى السَّرِقَةِ، كِتَابُ الْحُدُودِ، كِتَابُ الْمُرْتَدِّ الْكَبِيرِ، كِتَابُ الْمُرْتَدِّ الصَّغِيرِ، كِتَابُ السَّاحِرِ وَالسَّاحِرَةِ، كِتَابُ الْقِرَاضِ، كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، كِتَابُ الْوَدِيعَةِ، كِتَابُ الْعُمْرَى، كِتَابُ بَيْعِ الْمَصَاحِفِ، كِتَابُ خَطَإِ الطَّبِيبِ، كِتَابُ جِنَايَةِ مُعَلِّمِ الْكُتَّابِ، كِتَابُ جِنَايَةِ الْبَيْطَارِ وَالْحَجَّامِ، كِتَابُ اصْطِدَامِ الْفَرَسَيْنِ وَالنَّفْسَيْنِ، كِتَابُ بُلُوغِ الرُّشْدِ، كِتَابُ اخْتِلَافِ الزَّوْجَيْنِ فِى مَتَاعِ الْبَيْتِ، كِتَابُ صِفَةِ النَّفْيِ، كِتَابُ فَضَائِلِ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، كِتَابُ الْوَلِيمَةِ، كِتَابُ صَوْلِ الْفَحْلِ، كِتَابُ الضَّحَايَا، كِتَابُ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ، كِتَابُ قَسْمِ الصَّدَقَاتِ، كِتَابُ الِاعْتِكَافِ، كِتَابُ الشُّفْعَةِ، كِتَابُ السَّبْقِ وَالرَّمْيِ، كِتَابُ الرَّجْعَةِ، كِتَابُ اللَّقِيطِ وَالْمَنْبُوذِ، كِتَابُ الْحَوَالَةِ وَالْكَفَالَةِ، كِتَابُ كِرَى الْأَرْضِ، كِتَابُ التَّفْلِيسِ، كِتَابُ اللُّقَطَةِ، كِتَابُ فَرْضِ الصَّدَقَةِ،

(١) بضم الهمزة وفتحها

كِتَابُ قَسْمِ الْفَيْءِ ، كِتَابُ الْقُرْعَةِ ، كِتَابُ صَلَاةِ الْخَوْفِ ، كِتَابُ الدِّيَاتِ ، كِتَابُ الْجِهَادِ ، كِتَابُ جِرَاحِ الْعَمْدِ ، كِتَابُ الْخَرْصِ ، كِتَابُ الْعِتْقِ ، كِتَابُ عِمَارَةِ الْأَرَضِينَ ، كِتَابُ إِبْطَالِ الِاسْتِحْسَانِ ، كِتَابُ الْعُقُولِ ، كِتَابُ الْأَوْلِيَاءِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، كِتَابُ صَاحِبِ الرَّأْيِ ، كِتَابُ سِيَرِ الْوَاقِدِيِّ ، كِتَابُ حَبَلِ الْحَبَلَةِ ، كِتَابُ خِلَافِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ ، كِتَابُ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ[١] . قَالَ : وَالَّذِي لَمْ يَسْمَعْهُ الرَّبِيعُ مِنَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ : كِتَابُ الْوَصَايَا الْكَبِيرُ ، كِتَابُ اخْتِلَافِ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبْدِ اللهِ ، كِتَابُ دِيَاتِ الْخَطَإِ ، كِتَابُ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ ، كِتَابُ الْإِقْرَارِ بِالْحُكْمِ الظَّاهِرِ ، كِتَابُ الْأَجْنَاسِ ، كِتَابُ اتِّبَاعِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كِتَابُ مَسْأَلَةِ الْجَنِينِ ، كِتَابُ وَصِيَّةِ الشَّافِعِيِّ ، كِتَابُ ذَبَائِحِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، كِتَابُ غُسْلِ الْمَيِّتِ ، كِتَابُ مَا يُنَجِّسُ الْمَاءَ مِمَّا خَالَطَهُ ، كِتَابُ الْأَمَالِي فِي الطَّلَاقِ ، كِتَابُ مُخْتَصَرِ الْبُوَيْطِيِّ ، رَوَاهُ الرَّبِيعُ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(١) بهامش الأصل « قد اشتمل كتاب الأم المطبوع فى مصر على أكثر هذه التآليف أو على كلها .

انتهى الجزء السابع عشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء الثامن عشر ﴾

(وأوله ترجمة)

﴿ محمد بن أزهر بن عيسى الأخبارى ﴾

تولى مراجعة هذا الجزء بناء على خطاب وزارة المعارف

رقم ١٧٨٣ المؤرخ ٤/٨/١٩٣٧

الاستاذ السباعى بيومى

المدرس بدار العلوم

فهرس

الجزء السابع عشر

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومى